يوليو (تموز) ١٩٨٨، ذو القعدة ١٤٠٨

المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest July '88 N° 116

عودة الى التيتانيك ٣
مخاوف عصرية ١٩
سينيسيتا، هوليوود أوروبا ٢٤
سباق زوارق أم صراع جبابرة؟ ٣٠
موعد مع العام ٢٠٠٠ .... ٣٧
نعمة النظر ٣٩
الاحترام جوهر الزواج الناجح ٤٤
رامانوجان، عبقري سبق زمانه ٤٧
عزيزتي آن لاندرز ٥٣
عالجوا القلق... بالقلق ٥٧
لا تجارة بلا أخلاق ٦٣
... وخرجت مثل فلينة (مأساة واقعية) ٦٦

سيجارة بعد سيجارة... فتذوب متعة الجنس!

(ص ٤١)

لورد هاو، فردوس أوستراليا ٧٢
ربات المنازل في عصر الآلة ٩٠
دمى إندونيسيا ٩٣
إرشادات زراعية ٩٩
آخر الابتكارات: كتب على كاسيت ١٠٦
شتيفي غراف نجمة التنس ١١٦
كتاب الشهر: أيها العالم ما أجملك! ١٢٣

حديقة افكار ٤٣ – الطب ٦١ – دائرة المعارف ١٢١

اوسع المجلات انتشاراً في العالم

٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً

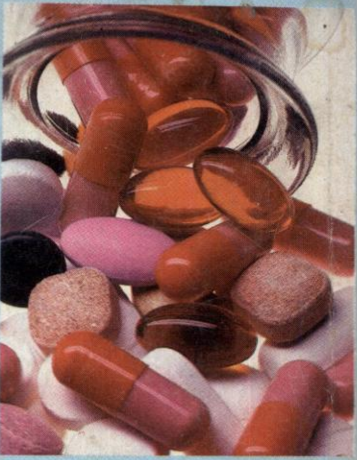

حبوب تدّمر الرياضيين

(ص ٧٩)

رهينة تروي: هكذا هربت من بيروت

(ص ١٠)

سوبرمان الفضاء

(ص ١١٠)

فندق الشام

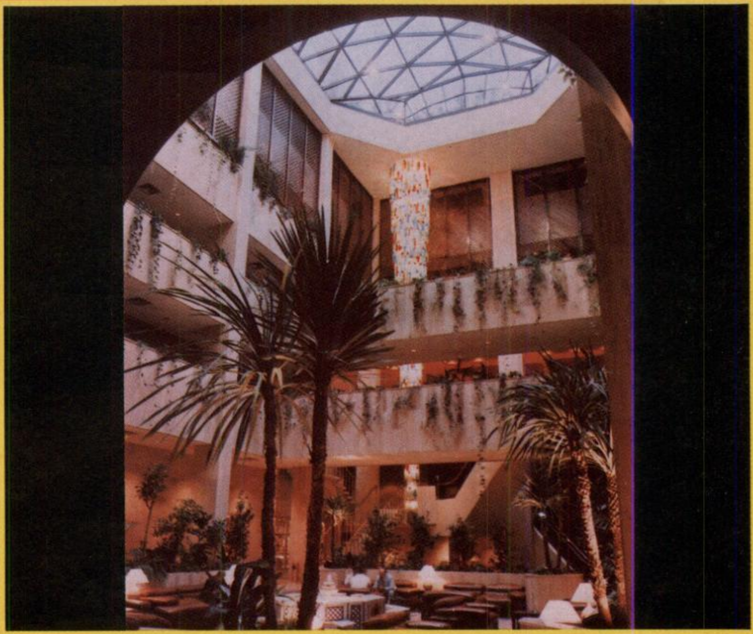

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولاتنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها

للحجز : فندق الشام - ص. ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام
عراقة في التقاليد

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: **ادمون صعب.**

امانة التحرير: **راغدة حداد.** الاخراج: **جورج غالي.** الخطوط: **جبران مطر.**

الامتياز: **شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس.** الناشر: **شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت**

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: **الدكتور لوسيان دحداح.**

المدير العام المعاون: **داني دحداح - باز.**

التحرير والادارة: **مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.**

الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: **فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.**

الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ: **المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.**

الطباعة: **المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.**

التوزيع: **الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.**

AL MUKHTAR min Reader's Digest

© 1988 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.

Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

July 88 N° 116 (New Series) Vol. 10

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: **كين غيلمور.** مدير التحرير: **فرنسيس ج. شيل.** المدير العام: **جورج ف. غرون.**

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

ثمن العدد

لبنان ١٠٠ل - سورية ١٥ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١،٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٦ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

Carnation®
Coffee-mate®

كريمة مُبيِّضة للقهوة
كوفي-ميت يجعَل طعم قهوتك سَلِساً لذيذاً
ويُغنيك عن المواد الدسِمة

كارنيشن
كوفي-ميت

يُضيفُ إلى قهوتِك نكهة غنِيّة

مِن إنتاج Carnation كارنيشن

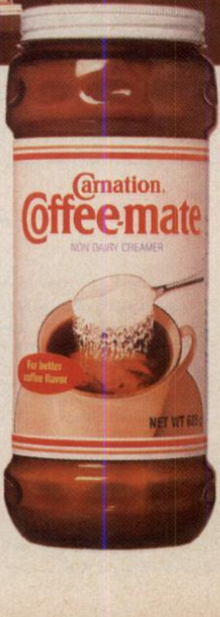

المختار
من ريدرز دايجست
يوليو (تموز) ١٩٨٨ السنة العاشرة (سلسلة جديدة)

مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

عَـودة إلى التيتانيك

بعد مرور ثلاثة أرباع قرن على غرق "التيتانيك" استقبلت هذه السفينة الاسطورية "زواراً" على عمق ثلاثة كيلومترات

إضمحل نور النهار في زرقة الاعماق عندما وصلت السرعة الهبوطية لمركبة الغوص "آلفين" إلى أقصاها أي ٣٠ متراً في الدقيقة. وبهذه السرعة قُدِّر لبعثتنا المكونة من ثلاثة رجال الوصول الى قعر المحيط في نحو ساعتين. وكان ذلك صباح ١٣ يوليو (تموز) عام ١٩٨٦. ولدى بلوغنا القعر كان أملنا أن نلقي نظرة عن كثب على حطام "التيتانيك" التي حددنا موقعها في السنة السابقة خلال بعثة فرنسية - أمريكية مشتركة. لكن غموضاً كبيراً كان في انتظارنا. ففي غوصنا الى عمق ٣٨٠٠ متر كنا كرواد فضاء يحطون على كوكب بعيد دونما أمل في النجاة في حال حدوث خطأ أو خلل.

حشرنا أنفسنا، أنا والقائد رالف هوليس ومساعده دادلي فوستر، داخل غرفة القيادة البالغ قطرها مترين، تماماً كالسردين المحشور في علبة كروية. لم نتكلم إلا قليلاً أثناء هبوطنا السريع نحو الاعماق المظلمة.

إن الهبوط الطويل الحر يعطي عادة شعوراً بالسكينة. ولكن لم يكن من وقت لدينا للتأمل الهادئ، إذ واجهتنا متاعب منذ اللحظات الاولى. اكتشفنا أولاً أن جهاز استكشاف المواقع في المركبة

Photographs, paintings and text adapted from «The Discovery of the Titanic,» by Dr. Robert Ballard, published by Warner / Madison Press Books and protected by copyright as provided therein. Photos: Robert Ballard and Martin Bowen / WHOI

"آلفين" (١) توقف عن العمل إما بسبب مياه البحر الجليدية أو بسبب الضغط المتعاظم. ومن دون هذا الجهاز كنا كالعميان لا نرى أمامنا أكثر من بضعة أمتار. وبعدما وصلنا الى عمق ١٨٠٠ متر لاحظ رالف تسرّب الماء الى صندوق البطارية التي تزود المركبة الكهرباء. وشكرنا الله لوجود بطارية احتياط، فلم يشكل العطل خطراً على حياتنا لكنه كبّل قدرتنا على الغوص، فأدركنا أن اقامتنا في الأعماق ستكون قصيرة ذلك اليوم. وأخيراً سجل الجهاز الصوتي لسبر الأعماق (٢) اقترابنا السريع من القعر، وبدأ ذلك القعر الغامض يبين شيئاً فشيئاً.

التيتانيك، مدفونة ومهترئة - كانت أضواء المركبة تخترق الظلام. ونظرنا من خلال كوى الرؤية جاهدين لالتقاط أي أثر للسفينة، ولكن لم يكن هناك ما يشير الى التيتانيك ولا الى حطامها، لم نرَ سوى دفق من الوحول. وجرف التيار حبيبات بدت من الكوى كالثلج الرقيق المتساقط.

كانت التيتانيك في مكان ما قربنا لا تبعد أكثر من ١٢٠ متراً. فوق سطح الماء ليست هذه المسافة شيئاً يحسب، ولكن في هذا العمق البالغ أكثر من ثلاثة كيلومترات في جحيم مظلم، فإن بضع مئات من الأمتار تعادل أكثر من ألف كيلومتر. ومن دون جهاز استكشاف المواقع، لم يسعنا إلا تخمين موقع السفينة الغريق.

(١) Sector-scanning Sonar

(٢) Echo sounder

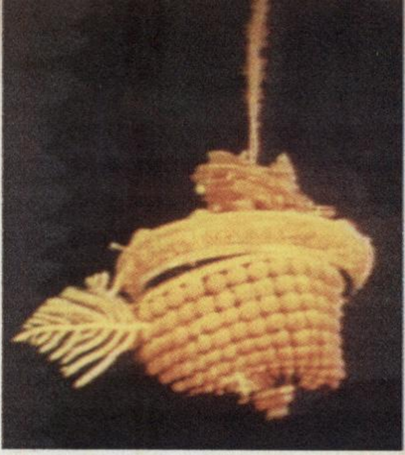

مصباح يتدلى من سلك في التيتانيك.

أدار رالف المركبة غرباً فبدا قعر المحيط غريباً، اذ ارتفع على نحو فجائي، فأدركنا ان هذا الارتفاع لا يُعقل أن يكون ظاهرة طبيعية. تسارعت نبضات قلبي، فقلت لرالف: "اتجه يمنة، أظنني أرى حائطاً من السواد في الجهة الاخرى لهذه الهضبة."

حرك رالف المركبة ببطء شديد إلى الأمام حتى أوقفه مشهد لم يرَ مثيلاً له في مئات من رحلات الغوص الى عمق المحيط، اذ انتصبت أمامنا لوحة حديد غير متناهية ترتفع من القعر. إنه هيكل التيتانيك الضخم. وزفرت طويلاً اذ كنت، من غير وعي، أمسك أنفاسي.

بعدما وجدنا التيتانيك كان علينا العودة الى السطح والرجوع الى سفينتنا الأم لنحل مشاكلنا الميكانيكية ونتمكن من الغوص مجدداً في اليوم التالي.

عمل طاقم "آلفين" خلال الليل على اصلاح الغواصة المريضة، وهذه عملية قلّما تحصل في البحر. وفي اليوم التالي صعد مارتن بوين الى متن المركبة لمعاينة "جايسون" وهو الربوط (٣) المركز في مقدم المركبة "آلفين". كان مارتن خبيراً في ادارة الآليات التي يتم التحكم بها من بعد لاسلكياً، وكان عليه ان يسيّر "جايسون" في أول اختبار له في أعماق المحيط. وكان "جايسون" عيناً جوالة مجهزة بآلات تصوير فيديو وعادية ومتصلة بالمركبة "آلفين" بواسطة حبل يبلغ طوله ستين متراً. وكان الهدف تسيير هذا الجهاز فوق الحطام أو داخله اذا أمكن، لينقل إلينا تسجيلاً صورياً شاملاً للأماكن الخطرة التي يصعب علينا ولوجها.

كان علينا ايجاد منفذ لهذا الجهاز الى داخل السفينة اذا أردنا النجاح في تسييره. فأخذت أتفحص بعض الصور الملتقطة عام ١٩٨٥ خلال رحلات استكشافية أجرتها مركبات غوص غير مأهولة. ووجدت أن المدخل الوحيد الممكن كان السلم الكبيرة الأمامية في السفينة، فنظراً الى تحطم القبة الزجاجية الأنيقة التي كانت تغطي السلم، برز ممر واسع أملناه منفذاً سهلاً لادخال "جايسون" عميقاً في السفينة.

---

(٣) الربوط «robot» هو ما يعرف بالرجل الآلي.

كرسي من الحديد الصب يرتاح في الاعماق.

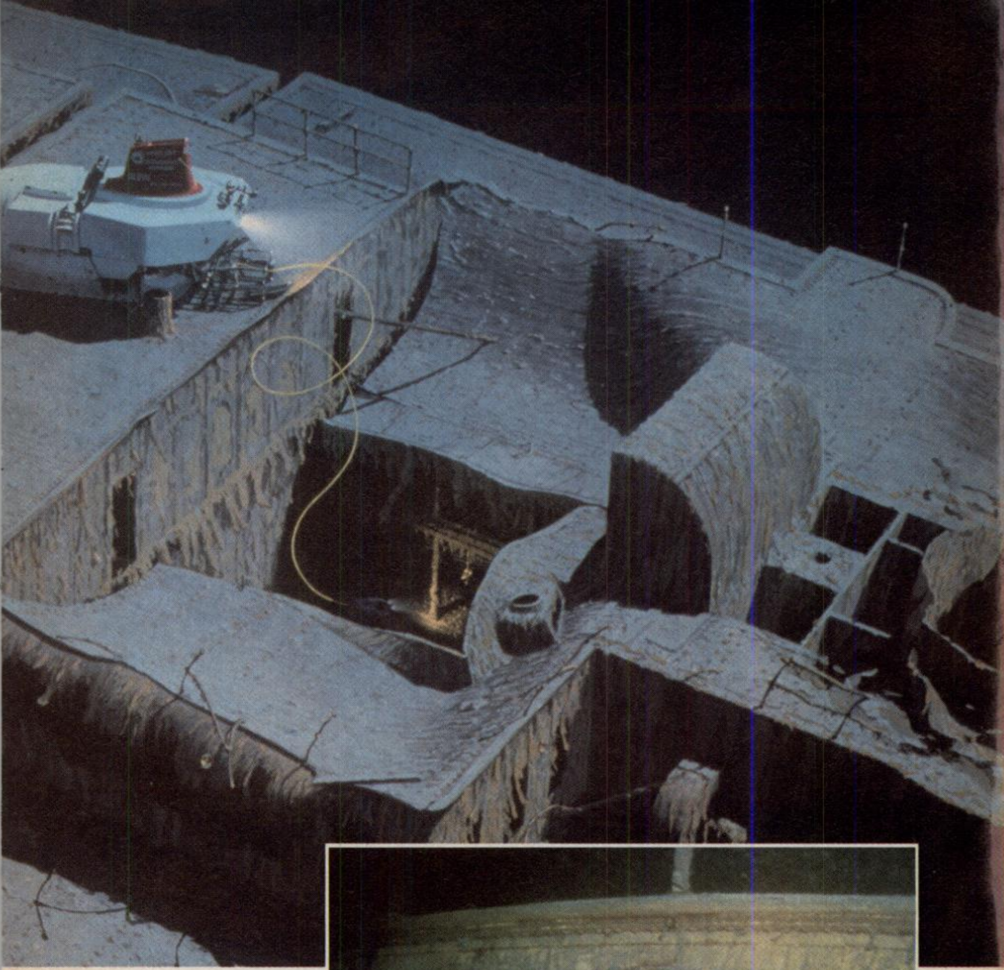

رسم تصويري لمركبة الغوص "آلفين" وهي تنتظر على متن التيتانيك فيما الربوط "جايسون" يستكشف حجرة "السلّم الكبيرة." والى اليمين، "جايسون" ينظر عبر نافذة احدى الحجرات.

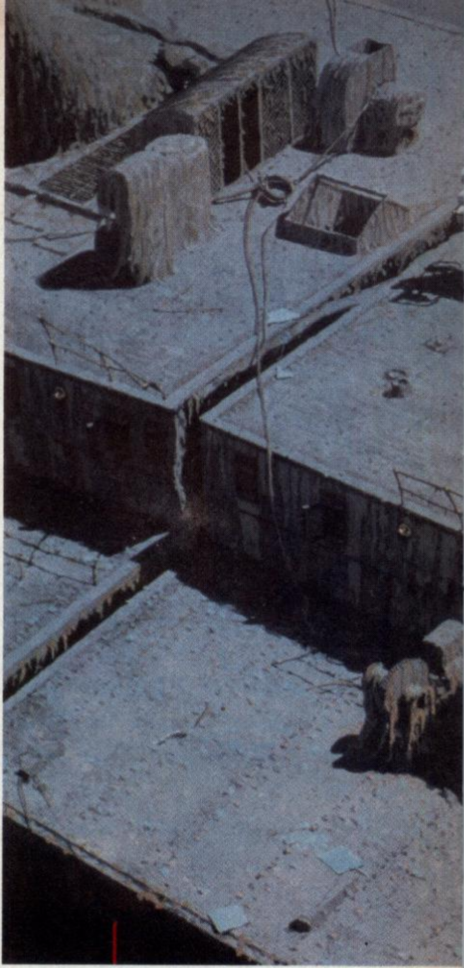

كانت مشاهدتنا الثانية للتيتانيك مثيرة جداً. كان الطرف الحاد لمقدم السفينة يلوح في الظلام كأنه يتجه نحونا مباشرة، فكان رد فعلي الاول أن علينا تغيير اتجاهنا. لكن التيتانيك كانت رابضة لا تستطيع الحراك فمقدمها غارق الى عمق عشرين متراً في القعر الموحل، ومراسيها لا تزال مكانها. السفينة اذاً مدفونة عميقا ولا تمكن زحزحتها.

وعندما اقتربنا منها بدا هيكلها المعدني كأنه يذوب في أنهار من الصدأ تصب في القعر وتتجمع في برك يبلغ عرض الواحدة منها حوالى ١٢ متراً.

ارتفعنا الى ما فوق الجدار المخيف لمقدم السفينة. في بعض الاماكن شكّل الصدأ حول الثقوب "رموشاً" دامعة كأن التيتانيك تبكي. وقرب الدرابزون الأعلى تدلت رواسب صدأ متحجر على شكل هوابط.

كابوس خفي - بينما كانت المركبة "آلفين" تدور فوق مقدم التيتانيك ذهلت لأحجام الاشياء التي شاهدتها: مرابط حبال ضخمة وسلاسل كبيرة للمرساة ورحويّات (رافعات) ذات رؤوس برونزية شديدة الضخامة. وكانت السفينة بدت لي في السابق بعيدة وغير محسوسة، أما الآن فهي قريبة مني،إنها شيء مادي حقيقي. جاهدت لأنظر الى الارضية الخشبية التي كانت تحتنا بحوالى متر، فوجدت أن معظمها تحول ألوفاً من الأنابيب الكلسية البيضاء التي يبلغ طول واحدها حوالى خمسة سنتيمترات وهي مساكن رخويات بحرية. تبدد أملنا بالعثور على خشب

ولكن بعدما غادرنا السطح غُمرت محركات "جايسون" بالمياه فتوقفت عن العمل. فكانت خيبتنا كبيرة، لكننا قررنا متابعة الغوص. كان أمامنا ١٢ يوماً فقط للعمل في هذا المكان، لذلك أردت ألا أضيع دقيقة واحدة، وارتأيت أننا نستطيع انجاز أمور كثيرة من دون "جايسون."

سليم في المتن. إن ألوف الكائنات البحرية سببت خراباً أكبر مما تسببه مياه البحر الاكّالة.

بدأت أتساءل عما اذا كانت بطانة المتن المعدنية تتحمل ثقل مركبتنا. وعندما حطت "آلفين" أحدثت صوتاً مخنوقاً. لو تداعت هذه البطانة الفولاذية لتحطمنا تحت المتن، لكنها صمدت وعرفنا أن متن التيتانيك يستطيع تحمّل حط مركبتنا في المستقبل.

ارتفعنا وتوجهنا نحو المؤخر. فبدا لنا هيكل السفينة الضخم، ثم ظهرت الطبقة الثانية وتبعتها الاولى ومن ثم الطبقة العليا حيث منصة الربان. اختفت الحجرة الخشبية لمدير الدفة تماماً، أما جهاز التحكم بالمحرك، حيث كانت الدفة مثبتة، فكان سليماً مصقولاً بفعل التيار المائي.

وتابعنا تحركنا فوق الفجوة حيث كانت المدخنة الكبيرة مثبتة. وكل ما وجدناه من بقايا القمع البالغ ارتفاعه ٢٣ متراً كان أجزاء معدنية مثلمة. اجتزنا المتن خلف المدخنة وعبرنا الى بيت السلّم الكبيرة.

انحرف رالف بالمركبة عبر نوافذ الطبقة الاولى المخصصة لتنزه ركاب الدرجة الاولى. كانت قطع كبيرة من الصدأ تتدلى من هذه الطبقة. وأحدث انعكاس أضواء "آلفين" تأثيراً غريباً كأن حفلة تجري في جناح الدرجة الاولى والاضواء تشع عبر النوافذ.

فجأة ارتجت المركبة وتساقط شلال من الصدأ مغطياً كوى الرؤية فيها، فصرخت: "لقد اصطدمنا بشيء! ترى ما هو؟" فرد رالف: "لست أدري، سأتراجع."

كان كابوس خفيّ يتوعد قبطان المركبة، فتراجعَ بحذر شديد خارج الهيكل وصعد بنا بهدوء. وبرز أمام الكوة الامامية في مركبتنا أحد الأعمدة التي كانت تستعمل في رفع زوارق النجاة وخفضها. هذا هو الشيء الذي اصطدمنا به. كان العمود يربط زورق النجاة الرقم "٨" الذي رفضت ايدا شتراوس ركوبه مفضلة البقاء والموت بجانب زوجها إيزيدور. وقد بدا متن الزورق كأنه مزدحم بركاب يصرخون: "النساء والاطفال أولاً!"

وكنا علمنا من الصور التي التقطت عام ١٩٨٥ أن مؤخر السفينة تحطم ورسا على بعد ٦٠٠ متر من المقدم. فتابعنا تحركنا للبحث عنه. وخلف فجوة القمع الرقم "٤" كان المتن غائصاً في زاوية شديدة الانحدار، فاختفت خطوط السفينة الجميلة وتحولت صفيحة فولاذية ملتوية وممزقة. غيرنا اتجاهنا وبدأنا الصعود.

طوافة تحت الماء – في اليوم التالي قادنا دادلي فوستر الى الفتحة الجانبية للقسم الأمامي من السفينة، وهبطنا على المتن بالقرب من بيت السلم الكبيرة. كان على مارتن تحريك "جايسون"، رجل الأعماق الآلي، فبدا متوتراً. لم نكن نعلم ما اذا كان في وسع "جايسون" تحمّل ضغط المحيط البالغ ٤٢٠ كيلوغراماً على السنتيمتر المربع، وإن يكن يستطيع ذلك من حيث المبدأ. استعمل مارتن جهاز التحكم وحرّك "جايسون" بحذر شديد وأخرجه من مرأبه، وقد حوّلته المحركات الاربعة الصغيرة طوّافة تعمل تحت الماء نزولا وصعوداً في ظلمة السلم الكبيرة.

في البداية لم "يرَ" جايسون شيئاً. ولكن عندما أنزل أكثر بانت له غرفة من خارج فتحة في الطبقة الاولى. وحين رجّحه مارتن رأى شيئاً على مسافة قريبة فقال بهدوء: "هنالك شيء يشبه الثريا." فقلت: "لا، هذا مستحيل! كيف صمدت الى الآن؟"

مع أن السفينة سقطت مسافة ثلاثة كيلومترات واصطدمت بالقعر بقوة تعادل قوة اصطدم قطار بجبل، فقد بقيت هذه الثريا مثبتة وسليمة. طلبت من مارتن أن يحاول دخول تلك الغرفة، فغادر "جايسون" بيت السلم وتقدم نحو الثريا مقترباً منها الى مسافة نصف متر.

عندئذ تدخل دادلي على نحو قاطع قائلا: "بوب، لم يعد لدينا متسع من الوقت. علينا الصعود الى السطح."

كان على طاقم "آلفين" التقيد ببرنامج صارم. ولكن أن تكون داخل التيتانيك و"جايسون" يهبط السلم الكبيرة فهذا تحقيق لحلم، لذلك أردت أن أصرخ احتجاجاً.

صور مؤثرة – في الايام التالية قمنا بثماني عمليات غوص أخرى قبل أن نغادر الموقع. وقادتنا رحلتنا السادسة الى منطقة الحِطام بين مقدم السفينة المهشمة وأجزاء مؤخرها. ألوف من تجهيزات السفينة كانت مبعثرة على أرض المحيط، بينها أوانٍ خزفية وأطباق فضية وقدور ومقالٍ وأكواب وأحذية ومغاطس حمّامات.

فجأة وجدتني أحدق الى عيني وجه صغير أبيض. ولبرهة وجيزة خلت أنني أمام جثة متحجرة فذعرت. لكنني ما لبثت أن عرفت أن ذلك كان رأس دمية خزفية وقد اختفى شعرها وثيابها. وتحولت صدمتي حزناً وتساءلت: ترى هل كانت الفتاة صاحبة الدمية بين الناجين المحظوظين أم أنها تشبثت بدميتها عندما كانت تغرق في المياه الباردة؟

وفي رحلتنا الثامنة استكشفنا الجزء الخلفي الذي عانى الخراب أكثر من المقدم. وثبتنا لوحة تذكارية لتخليد ذكرى ألف وخمسمئة شخص فقدوا مع السفينة، فقد كان المؤخر مقبرة كثير من الذين قضوا.

واذ شارفت رحلتنا الحادية عشرة الأخيرة نهايتها بعد جولة في سطح التنزه مع "جايسون"، بدا متن السفينة غير واضح بسبب الظلام، وكان آخر ما رأيته السطح المهشم لجناح الموظفين، كما شاهدت عمود إنزال زورق النجاة الرقم "٨". وبموجة من الكآبة أدركت أنها ربما كانت المرة الأخيرة أزور هذه السفينة العظيمة.

لقد رست التيتانيك في مقرها الاخير ولن ترفع بعد اليوم. اذ ان المحيط العميق هو المكان الآمن والمناسب ليكون نصباً تذكارياً لخطأ سببه التعجرف ولعمر ضائع ولبراءة لن تستعاد، وأكثر من ذلك لأناس قضوا. في المستقبل، عندما أتذكر التيتانيك، سأراها جاثمة في القعر شامخة على رغم اهترائها وقد وجدت السلام في الاعماق.

روبرت بالارد

الكاتب عالم مرموق واحد ابرز جيولوجيي البحار في العالم.

منذ وقوعه في الأسر
كافح هذا الصحافي الأمريكي ضد الاختفاء
في الثقب الاسود الذي يزدرد الرهائن في لبنان

سَمَكة في الثقبِ الأسْوَد

خرجت قرابة العاشرة صباحاً متوجهاً من صيدا الى بيروت في رحلة تدوم ساعة. وكان معي صديقي الطبيب علي عسيران ابن وزير الدفاع اللبناني عادل عسيران. وكان يقود سيارة علي الـ"فولفو" العتيقة سائقه الخاص وهو شرطي سابق اسمه سليمان سليمان.

وصلنا الى ضاحية بيروت الجنوبية، ملاذ الشيعة الذين نزحوا من قراهم في الجنوب بعد القصف المدفعي الاسرائيلي في السبعينات. كانت صور الزعيم الايراني آية الله الخميني معلقة فوق الطرق وملصقة على الجدران، وفوق أحد الحواجز علقت لافتة لحزب الله الذي تدعمه ايران. إننا لم نلج قسماً من لبنان فحسب، بل ولجنا عالماً آخر. وتراءى لي أنه في مكان ما من هذه الأحياء الفقيرة يحتجز عدد من الأجانب الذين خطفوا في السنوات الأخيرة في لبنان.

وما ان اجتزنا حاجز تفتيش سورياً حتى تجاوزتنا سيارة "مرسيدس" خضراء تسير ببطء في زحمة المرور الصباحية. ذكرت مازحاً أن المرسيدس أضاعت لوحتيها الرسميتين. فجأة توقفت متعامدة أمام سيارتنا قاطعة علينا الطريق.

فتحت ابواب المرسيدس ووثب منها أربعة شبان أو خمسة شاهرين أسلحتهم. وترجل أربعة مسلحين أخر سراعاً من سيارة ثانية توقفت خلفنا. وأمر المسلحون علياً وسليمان بمغادرة السيارة فيما لبثت أنا في المقعد الخلفي لا أجرؤ على التحرك. سدد أحدهم رشاشه عبر الشباك الخلفي الايمن وأوعز الي بالخروج. بحثت عن مكان أفر اليه، لكن الرجال المدججين كانوا في كل مكان.

شرع المسلحون يجرونني نحو المرسيدس. في تلك اللحظة تذكرت ديفيد هرست مراسل صحيفة "الغارديان" اللندنية الذي كاد أن يخطف في بيروت قبل عام. واذ سألته مستفسراً كيف أوتي الشجاعة ليفر من خاطفيه

Condensed from Rolling Stone (December 3, '87), © 1987 by Straight Arrow Publishers, Inc., New York, N.Y. Illustrations: Jeffrey Terreson

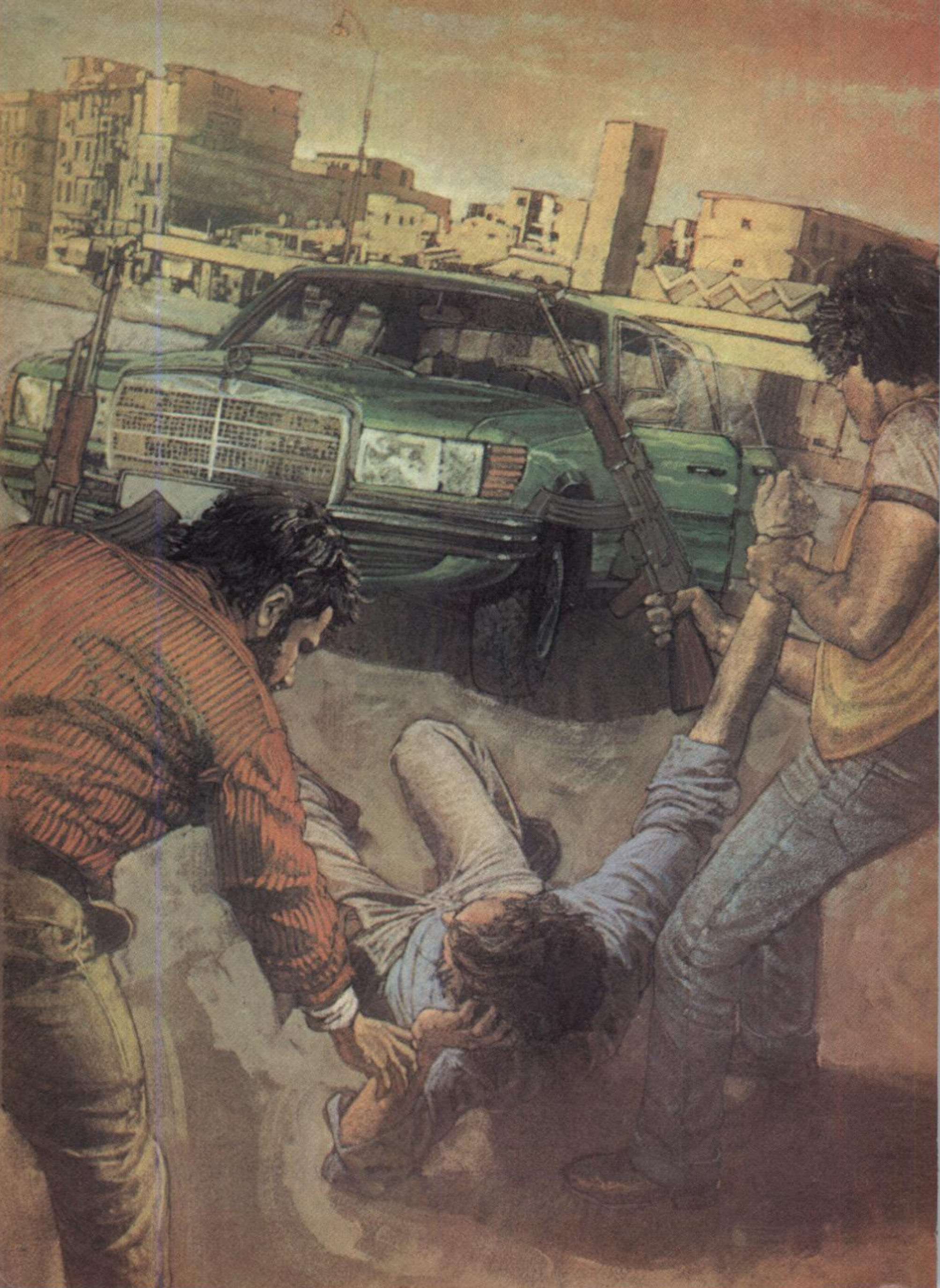

قال: "لم أطق فكرة السقوط في ذلك الثقب الاسود."

عاركت كي لا أدخل السيارة. سدد أحد الملتحين سلاحه إلي صائحاً: "سأقتلك." أفزعني الصوت أكثر من السلاح. وضربني شاب آخر على مؤخر رأسي بعقب رشاشه فطرحني أرضاً. وقبل ان أعي ما حدث كنت في المرسيدس.

وفيما نحن نتجه شرقاً صوب المطار اتصل أحد المسلحين عبر جهاز لاسلكي قائلاً بالعربية إنهم "آتون بالسمك." لقد وضعوا لي الطعم وصادوني. وها هم الآن يأخذونني الى البيت. شعرت كأنني أنحدر أكثر فأكثر الى الثقب الاسود الذي ذكره هرست.

الاربعاء في ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٨٧ أصبحت الاجنبي الرابع والعشرين في عداد "المخطوفين" في لبنان. لقد عشت في لبنان بين ١٩٧٤ ١٩٧٦ كصحافي مستقل، وعملت في ١٩٨٣ و١٩٨٤ مراسلا لشبكة «ABC» الامريكية أغطي أخبار منطقة الشرق الاوسط. وها قد عدت الى المنطقة لتأليف كتاب.

كانت زوجتي في لندن وصحبي وزملائي جميعاً ألحّوا علي ألا أعود الى بيروت الغربية. وإذ كنت مدركاً امكان الخطف فقد كنت محترزاً. كانت زياراتي خاطفة الى النصف "المسلم" من المدينة قادماً من القسم "المسيحي" في بيروت الشرقية الآمن نسبياً. وكان معي مرافق أو سائق أينما ذهبت. وكنت أبدّل منوال تنقلي، ولم أذكر قط على الهاتف إلى أين أنا ذاهب. لكن ذلك كله لم يكن كافياً.

توقفت المرسيدس أمام مبنى مقنطر أتلفته الحرب يرفرف عليه علم ايران كما لاح لي. أمرني المسلحون باغماض عيني واقتادوني إلى حجرة تقشرت جدرانها. أجلسوني قبالة زاوية وأوثقوا معصميّ خلف ظهري وأبلغوني ألا أتحرك أو أجيل بصري بعيداً عن الزاوية. ونخسني صبي بمسدسه قائلاً "أنت عميل في الاستخبارات الأمريكية."

رسالة بالدم - خلال نصف الساعة التالي ابتهلت الى ربي بصمت. كنت مشغول البال على زوجتي فيونا واولادنا الخمسة الذين تراوح أعمارهم بين عامين وأربعة عشر عاماً. كيف سيكون وقع النبأ عليهم؟ ثم فكرت في علي وسليمان وصليت كي لا يحتجز أي منهما كرهينة، ليس كرمى لهما فقط، بل من أجلي أنا أيضاً. فإذا كانا طليقين أمكنهما أن يتصلا بالجيش السوري ويحاولا انقاذي. شعرت بقلبي يهبط اذ اختلست نظرة فرأيتهما وقد أجلسا الى الحائط مربوطي الايدي ومعصوبي العيون.

الأحد في ٢١ يونيو (حزيران) كان يومنا الخامس في الاسر. لقد نقلنا الى مبنى آخر. أنا الآن معصوب العينين ومقيد الى سرير. ولعجزي عن الاتصال بعلي وسليمان بدأت أتحدث بصمت الى أفراد أسرتي. كنت أخال كل يوم أن أحد أفراد العائلة الى جانبي.

لم يسمح لنا بالاستحمام أو الحلاقة.

وفي النهاية لان أحد الحرس وسمح لي بأن أستعمل موسى للحلاقة في الحمام. جلست على المرحاض وأمسكت الموسى وجرحت راحتي. ثم أزلت لفة الكرتون الموضوعة داخل ورق الحمام، وبريشة من وسادتي سطرت رسالة بالدم: "أرجوكم، ساعدوني. اسمي تشارلز غلاس أنا رهينة في الطبقة الرابعة من هذا المبنى."

وقذفت اللفة من نافذة الحمام.

كان معنا خمسة حراس أو ستة وفي حوزتهم مسدسات كاتمة للصوت. وما كانوا ليتركونا وحدنا الا حين ندخل الحمام.

يوم الأربعاء، وهو الثامن لاحتجازنا، جلس أحد الحرس في كرسي الى جانب سرير علي وشرع يروي نكتاً شنيعة بالعربية. حسبت أنهم على وشك اطلاق علي وسليمان. وكان لي صديق مسيحي خطف قبل عام وأخبرني أن حرسه غدوا ودودين في اليوم الاخير لاحتجازه. وسرعان ما اقتاد حارسان علياً وسليمان خارج الغرفة، ولم أرهما بعد ذلك قط.

يوم السبت في ٢٧ يونيو (حزيران) نقلني الخاطفون الى حجرة يبلغ طولها أربعة أمتار وعرضها ثلاثة، أنشئت لتكون زنزانة لامد طويل. النافذة مغطاة بقطعة معدنية صدئة. وقد كبّل معصمي الى قيد في الجدار الاسمنتي.

في الليلة التالية سلمني أحد الحراس رسالة قائلا: "اقرأها." نزعت العصابة عن عيني وقرأت المذكرة، التي يفترض أن أوجهها الى علي عسيران محذراً من أنني سأقتل إن هو حاول انقاذي.

قال الحارس: "ستكتب هذه لنا،" وسلمني قلماً. نسخت ما ورد في المذكرة مبقياً على أغلاط النحو والتهجئة. واذ خرج الحارس احتفظت بالقلم وأخفيته داخل حشية فراشي. كنت بالغ السعادة. فهذا أول تأكيد بأن علياً وسليمان طليقان.

"أنا تشارلز غلاس" - كتبت بالقلم، على صفحة مزقتها من كتاب أعطيته، رسالة أخرى بالانكليزية والفرنسية والعربية، عارضاً مبلغ ١٠ آلاف دولار مكافأة لمن ينقذني. ولكن لم يكن من سبيل لايصال الرسالة الى الخارج. وتمكنت من فتح شباك الحمام، لكنه كان مسدوداً بمروحة مدوِّمة. وذات يوم دخلت الحمام أثناء انقطاع التيار الكهربائي، وهو أمر دائم الحدوث في بيروت. فتحت الشباك. وإذ كانت المروحة متوقفة تمكنت من دفع الرسالة الى الخارج.

في السادس من يوليو (تموز) جاءني عضوان أعلى رتبة في المجموعة وسألاني: "أترغب في التعاون معنا إذا وعدناك بالعودة الى بلدك؟"

أجبت دونما تردد: "أجل."

- اذاً، اقرأ هذه.

تناولت ورقة فيها بيان يبدأ بالآتي: "أنا تشارلز غلاس. كثيرون منكم يعرفونني صحافياً، لكن القلائل على علم بالحقيقة. لقد استخدمت الصحافة غطاء لتمويه عملي الرئيسي مع وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية."

قلت: "هذا غير صحيح."

فرد أحدهم: "لا أهمية لذلك. ان لم تقرأه فلن ترى عائلتك ثانية."

وخرج الرجلان وعادا مع مصور. قرأت البيان بلكنة أمريكية جنوبية، وهي محاولة أردت أن ألمح فيها الى أني محتجز في الضاحية الجنوبية لبيروت. وحاولت أيضاً أن أظهر أصابعي مشبوكة دلالة على أني لم أقصد ما أقول.

وعلمت في ما بعد أن زملائي في شبكة «ABC» عرضوا الشريط على زوجتي ففاجأتهم اذ أخذت تضحك قائلة: "انه يمثل."

كان أملي في النجاة معلقاً بالرسائل التي القيت بها عبر مروحة الحمام. ولكن انقضت أسابيع من دون أي حدث.

قرأت كتباً واشتركت في مباريات شطرنج وهمية مع ابنيّ ادوارد وجورج اللذين تغلبا عليّ دائماً. كانت رتابة الأسر قاتلة، تقطعها فترات وجيزة وعنيفة من الكآبة أو الغبطة.

بعد ظهر ذات يوم اندفع أحد الخاطفين الى حجرتي، وهو الذي دأب على سؤالي عن صلاتي بوكالة الاستخبارات الأمريكية. وصاح: "ما هذا؟" ملوحاً برسالتين تحت أنفي كي أراهما من تحت العصابة. قال مهدداً بقنبلة يدوية في يده الأخرى: "إن ارتكبت أخطاء كهذه فلن ترى أولادك أبداً. كم ورقة من هذه أرسلت؟"

وكنت ألقيت تسع رسائل من نافذة الحمام. قلت: "أربعاً، على ما أعتقد."

أوعز الرجل إلى أحد الحراس بالبحث عن الرسائل الأخرى، وقال: "أنت تدركِ أننا اذا لم نعثر على الورقتين الاخريين فسننقلك الى مكان آخر."

عاد الحارس صفر اليدين. وفي وقت متقدم من تلك الليلة دُفعت الى المرسيدس الخضراء. وجلسنا بالسيارة مدة خمس دقائق الى أن وصلنا الى مبنى آخر. وساقني الحراس إلى غرفة هناك وطرحوني على حشية قذرة على الأرض وأنا معصوب العينين مقيد.

في الصباح التالي كنت مستلقياً بهدوء متظاهراً بالنوم وأنا أسترق نظرات عجلى الى الغرفة من تحت عصابة عيني. الى يميني قرب مصراع النافذة خزانة ملابس كبيرة. وخلافاً للغرفة السابقة، لم تكن نوافذ هذه الحجرة مكسوة بالمعدن، كما انها تفضي إلى شرفة. يبدو أنهم اضطروا الى نقلي بسرعة، وهذا المكان لم يعدّ كسجن مناسب.

بدأت آمل أنْ قد تكون ثمة فرصة للفرار أخيراً. فبتحريك الخزانة يمكنني أن أفتح المصاريع فأبلغ الشرفة. وهذا أمر سهل، لكن الصعوبة هي في نزع القيود من معصمي ورسغي.

حلقات مفقودة – صباح اليوم التالي لفّ الحراس شريطاً لاصقاً حول قيد معصمي. كان القيد يحدث قرقعة عالية كلما تحركت، ولم يرد الخاطفون أن يسمع الجيران ذلك. وأبقوا حلقتين من القيد غير مشدودتين، وهما الأولى والسادسة، لينفذ فيهما القفل. نقلت الشريط من الحلقة السابعة الى السادسة، حتى إذا ما أخذوني الى الحمام ذلك المساء وأعادوا قَفْل قيد معصمي، وفّر لي ذلك حلقة اضافة. ومنذ ذلك الوقت بات القيد واسعاً بحيث يمكنني التملص منه.

بقيت الصعوبة الأساسية في قيد الرسغ، فحلقاته أصغر. كانت ثمة ١٤ حلقة حول رسغ قدمي، وحوالى نصف متر من السلسلة يصل الى ثقب في الجدار. ولكي يتسنى لي إفلات رسغي من القيد كنت أحتاج إلى ١٨ حلقة. ولكن كيف الحصول على الحلقات الأربع الاضافية؟ عمدت الى شبك حلقتين من القيد وربطتهما بخيط من عصابة عيني، فبات القيد ضيقاً. ولما أعاد الحارس قَفْله منحني حلقة اضافية من غير أن يدري. ولتمويه الخيط حككته بصدأ القيد. وغدوت قادراً على حلحلة القيد بقَطْع الخيوط.

استلزمني الأمر أسبوعاً للحصول على ١٨ حلقة. عزمت على مغادرة المكان تلك الليلة، وشرعت أراجع في ذهني تفاصيل فراري. ولكن عندما أعاد الحارس قفل قيودي بعد اصطحابي الى الحمام، تقطع بعض الخيوط، واذ خرج، عددت حلقات رسغي: انها سبع عشرة! أخذت أجذب القيد بقوة مذعوراً كوحش هائج محاولاً أن أنزعه، لكني لم أفلح.

طليق أو ميت – أمضيت الأيام القليلة التالية معالجاً القيد، لكن عدد الحلقات بقي يراوح بين ١٦ و١٧. وأخيراً، صبيحة الاثنين ١٧ أغسطس (آب) أبقى الحارس الذي أعادني من الحمام ١٨ حلقة.

لم يسعني أن أجازف بفك قيدي ثانية لآكل أو أقصد الحمام. واذ جاءني الحراس بطبقي الغداء والعشاء أخبرتهم أني مريض لا أستطيع الأكل. واذ عادوا مساء ليفكّوا قيودي لدخول الحمام قلت اني ما زلت مريضاً ولا أرغب الا في النوم.

تلك الليلة بدت مشاهدة الحراس للتلفاز بلا نهاية. وأخيراً ذهبوا الى

غرفتهم. ولم يطل بي الأمر حتى سمعت التنفس المكدود لاحدهم وشخير الآخر. اضطجعت لساعة ساكناً مصغياً الى الشخير ومسرّاً في نفسي: بحلول الصباح سأكون اما طليقاً واما ميتاً.

جذبت القيد ببطء حول معصمي الأيسر وكدت أسقطه الى الأرض. ثم سحبت الحلقات في قيد رسغي قاطعاً الخيوط الأربعة واحداً واحداً. حرّكت الخزانة عن المصراع متوقفاً لدى سماعي صريف الخشب. أخيراً غدا في وسعي أن أفتح الباب وأندس خارجاً الى الشرفة. أخذت أتفرس في العالم الماثل خارج زنزانتي. السماء صافية والليل دافىء ساكن والشوارع مهجورة. تنشقت عميقاً ونظرت الى أسفل. كانت أمامي سقطة من ست طبقات أو سبع.

وكان المخرج الوحيد من الشرفة، عدا ذاك الذي يعيدني الى زنزانتي، عبر باب مفضٍ الى المطبخ. دخلت وسرت بهدوء عبر المطبخ ومنه الى الممر حيث رأيت الباب المفتوح لغرفة نوم الحراس.

وبعد انعطافي يساراً اتجهت صوب الباب الامامي. وببطء أدرت المفتاح. ثمة مزلاجان سحبتهما وأدرت المقبض جاذباً الباب بتؤدة. وانسللت خارجاً ومعي المفتاح، ثم أغلقت الباب ورائي. هبطت السلّم الى مدخل المبنى ومنه الى الطريق الاسفلت.

رحت أعدو بفرح غامر وبأسرع ما أستطيع على رغم أني لم أمش أكثر من خطوات معدودات يومياً لمدة شهرين. وكلما سمعت سيارة تقترب كنت أتوارى في الظلال. ثم رأيت نوراً أصفر منبعثاً من فرن مفتوح، دخلت الفرن وطلبت أن استعمل جهاز الهاتف، لكن رجلين خلف المنضدة شرعا يتجادلان في العربية.

الوقت ينفد. قد يفيق الحراس في أي لحظة. خطوت الى الخارج. وتوقفت أمامي سيارة فيها رجل وامرأة وطفل، فسألتهم بالعربية: "هل تتكرمون بايصالي الى فندق سمرلاند؟ ابني مريض جداً والطبيب في ذلك الفندق."

سألني السائق: "هل أنت أجنبي؟"

كان منظري عجيباً: لحيتي طويلة لم أحلقها منذ أسبوع، وقدماي حافيتان. لكن المرأة قالت: "خذه الى السمرلاند... من أجل الطفل."

قال لي موظف الاستقبال في الفندق: "السيد غلاس! ماذا تفعل هنا؟"

كنت أعرف موظفي الفندق اذ نزلت هناك غير مرة. قلت: "لقد هربت من حزب الله. خبئني."

عندئذ ناداني البواب: "تعال بسرعة." وأخذني الى أحد المكاتب وأشار علي بأن أجلس. كنت أرتجف.

وأوضح لي رئيس جهاز الأمن في الفندق أن القوة الوحيدة التي يسعها أن تساعدني في هذا الشطر من بيروت هي الجيش السوري. وفي ما بعد اصطحبني رائد سوري كان مدعواً الى حفلة في الفندق الى شقة قائده.

قال اللواء علي ديب: "أنت شغلتنا كثيراً. لقد أصدر رئيسنا أوامره الينا شخصياً بالعثور عليك." ثم أضاف: "ينبغي أن يكون لسوريا شرف تقديمك في دمشق."

قرابة الخامسة من ذلك الصباح

انطلقنا في قافلة عسكرية سورية نحو دمشق. وفيما نحن متجهون جنوباً على الجادة الساحلية نظرت خلفي الى ما قد يكون آخر منظر تراه عيناي لبيروت والساحل اللبناني. انعطفنا يساراً الى تلال الشوف. كان البناؤون يشيدون الجدران على طول الطريق، كدأبهم منذ قرن. وفي شعاع ما قبل بزوغ الفجر كان الفلاحون في شراويلهم السود وقلنسواتهم البيض يحمّلون الخبز في سلال على ظهور الحمير.

وفيما نحن ندنو من قمة جبل لبنان شاهدت الشمس ترتفع فوق ذرى أشجار الصنوبر. أنزلت حاجب الشمس لأحمي عيني من أشعتها وأخبرت مرافقي الضابط أن هذه هي المرة الاولى منذ ٦٣ يوماً أرى الشمس. فرفع الحاجب قائلاً: "اذاً انظر اليها. أنظر الى الشمس."

تشارلز غلاس

في وقت لاحق من ذلك اليوم سلّم تشارلز غلاس الى مسؤولين أمريكيين في دمشق. ثم نقل جواً الى لندن على متن طائرة قدمتها شبكة «ABC» حيث اجتمع بزوجته وأولاده. وهو منهمك حالياً في تأليف كتابه "قبائل لها رايات."

أريد زوجتي!

أعمل في المتحف البحري بولاية ماين مسؤولا عن ترميم اللوحات الزيتية لقباطنة البحر وزوجاتهم في القرن التاسع عشر. ومرة أنهيت العمل على لوحة القبطان جون كورتيس وأعدتها الى مكانها في "مكتبة كورتيس التذكارية"، لكنني كنت لا أزال أعمل على ترميم لوحة زوجته. وبعد سبعة أشهر من الجهد المتواصل تلقيت بطاقة من المكتبة جاء فيها: "انني أفتقد زوجتي، كم ترى يقتضي من الوقت لتنظيفها؟ جون كورتيس."

ن.ل.س.

مزاح على الحدود

في رحلتي الاولى خارج البلاد أعطيت موظف الامن العام جواز سفري، فراح يتفحصه، ثم أخذ ينظر الي تارة والى الجواز طوراً. وران صمت طويل قبل أن ينطق: "هل لي أن أهنئك يا سيدتي؟ انك تبدين مختلفة كثيراً عن صورتك في الجواز."

س.ل.ف.

برقية "حميرية"

اتخذت فرقة من الجيش البريطاني حماراً كجالب حظ لها. ولسوء الحظ ماتت البهيمة بعد عدة أيام. وكان قائد الفرقة غائباً آنذاك، فأرسل اليه مساعده البرقية الآتية: "الحمار مات. هل نبتاع حماراً آخر أم ننتظر عودتك؟"

أ.أ.

مَخاوفُ عَصْريّة

ان الطريقة التي نناقش بها أمور الساعة توهمنا بأن نهاية العالم قريبة

انهيار اقتصادي؟ الانهيار الحقيقي في البورصة (كالذي حصل في الولايات المتحدة عام ١٩٢٩) يحدث عندما تتجه بلدان العالم الى افلاس مصرفي وتتوقع مرور اثنتي عشرة سنة من الفتور الاقتصادي ونسبة ٣٣ في المئة من البطالة. قد يعنّ لنا أن ندعو ما حصل في أمريكا في ١٩ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ انهياراً اقتصادياً، لكن هذه التسمية ليست دقيقة جداً. فاذا كان العام ١٩٢٩ هو عام الطوفان الذي دفن كل شخص وكل شيء، فان العام ١٩٨٧ هو أشبه بسيل محدود. صحيح أن فقاعة كبيرة انفجرت، لكنها ليست نهاية العالم.

Condensed from Washington Post (November 20, '87). © 1987 by The Washington Post Co., Washington, D.C. Illustration: Peter Bono

ان استعمال عبارة "انهيار اقتصادي" لما حصل ينطوي على شيء من المرح والابتهاج الشخصي، فكأنك تقول: "لقد تخطيت الانهيار الاقتصادي عام ١٩٨٧."

الازمات تنطوي على عنصر اثارة. والمجتمعات المستقرة والثرية والناجحة تتمتع في أوقات السلم بعدة امتيازات، لكن الاثارة ليست بينها في غالب الاحيان. والآن، وقد أوصدت أبواب الفضاء الخارجي موقتاً كمسرح للروائع، فان الحاجة الى المسرحيات المأسوية يجب أن تؤمَّن في شكل آخر: في تضخيم الاخبار السيئة بطريقة مسرحية.

خذ الحرب مثلاً. بما أن لعبة كرة القدم أصبحت بديلاً أقل ارضاء، فان الملذات البديلة من القتال ينبغي أن تطلب في مكان آخر، في الخيال مثلاً. خلال مناقشة الكونغرس مسألة التورط الامريكي في حرب الخليج قيل إن البحارة الامريكيين في حال خطر. لكن الامر لم يكن كافياً بالنسبة الى أحد النواب الذي صعد الى المنبر ليصرح بالآتي: "نحن اليوم في حال حرب شاملة وإن تكن غير معلنة."

وعالم الطب مصدر غزير آخر للمسرحيات. والموضوع اليوم هو، طبعاً، الآيدز (١) الذي تحدث عنه مسؤول حكومي أمريكي رفيع المستوى قائلاً ان الطاعون الاسود الذي تفشى في القرن الرابع عشر يبدو عَرَضاً بسيطاً اذا قورن بالآيدز. إن تشبيه هذا المرض الذي ينتقل بصعوبة ويُمنع بسهولة بذلك الوباء القاتل غير المميِّز الذي أهلك ثلث سكان أوروبا في ثلاث سنوات، هو سوء تصرف سياسي، الا أنه يستوعب تماماً الغُلُوّ المحيط بالايدز.

لكن الآيدز هو حقاً مشكلة صحية رئيسية كما أنه مرض مميت. وقبل الآيدز كان توقنا الى الجنون ينشط مع أمراض أقل إرضاءً بكثير. أتذكرون هلع القوباء؟

لقد تتابعت رؤانا الكارثية من غير انقطاع بحيث يصعب اقتفاؤها. في السنتين ١٩٨١ و١٩٨٢، في قمة حملة التجميد النووي، لم يكن هناك مهرب من فكرة أن الغد سيكون "اليوم التالي" (٢). وفي العام ١٩٧٢ تكهن "نادي روما" بأن العالم سينضب منه الذهب والقصدير والزئبق والفضة قبل العام ١٩٨٨، وبعد أربع سنوات سيصبح النفط من الذكريات. وقبل ذلك، عام ١٩٦٨، تكهن بول إرليك في كتابه "القنبلة السكانية" بحدوث مجاعة واسعة الانتشار وبالطاعون وبحرب نووية بحلول العام ١٩٨٣. واليوم نُحذَّر من أن قلة الولادات ستضع نهاية للعالم.

انهيار، حرب، طاعون، أطفال كثيرون، أطفال قليلون. ان ما يبقي النهاية بعيدة هو الاسلوب المرح الذي تعرض فيه الكوارث: لقد تخطينا أزمة أخرى!

تشارلز كروثامر

(١) الآيدز هو مرض فقدان المناعة المكتسبة.
(٢) "اليوم التالي" (The Day After) فيلم تلفزيوني يصور الخراب الشامل الذي يتبع حرباً نووية.

نفاد الصبر بلسان طفل: انه الانتظار بعَجَلة.

ل.ب.س.

حذارِ! قد يكمن العجز الجنسي في َالسيجارة التي تحملها!

التدخين يهدِّد حياتكم الجنسّية

Photo: Chris Hackett / The Image Bank

هل يمكن أن يكون هناك دليل على الرجولة أكثر من ُفارس "مارلبورو" وهو يمتطي حصانه القوي أو ذاك الشاب في اعلان "كاميل" الذي يبدو ثاقب النظرات وهو يتأمل تحدياً صعباً؟

غالباً ما تصوّر الاعلانات التدخين كنوع من اكتمال الرجولة. ولكن من دواعي السخرية أن التدخين قد يزيد احتمال الاصابة بالعنّة، أي العجز الجنسي، كما تبيّن الدراسات الحديثة.

يعتقد الباحثون أنه في عمر الخمسين يعجز أكثر من ٢٥ في المئة من الرجال، أو يكادون، عن التوصل الى انتصاب مُرضٍ. ولأن أولئك الرجال نادراً ما يتحدثون عن هذا الامر، لا يعلم أحد كم من الزيجات تتحطم بسبب هذا الوضع وكم من الضحايا اليائسة تلجأ الى الكحول والمخدرات.

قبل عشر سنين كان الاطباء يعزون تسع حالات عنّة من كل عشر إلى مشاكل عاطفية. أما اليوم فاننا ندرك أن السبب الرئيسي في نصف الحالات على الاقل هو جسدي.

بدأ الاشتباه بوجود رابط بين العجز الجنسي والتبغ حين لاحظ الباحثون الطبيّون عدداً هائلا من المدخنين بين المصابين بعجز جنسي يعود سببه الى مشاكل في الاوعية الدموية. وأفادت دراسة شملت ١١٦ رجلا "عاجزاً" في جامعة بريتوريا بجنوب أفريقيا عام ١٩٨٦ أن ١٠٨ منهم مدخّنون. كما اكتشفت دراستان أكثر توسعاً أن ثلثي العاجزين جنسياً يدخنون بنسبة ضعفي معدل التدخين بين الذكور عموماً (أجريت إحدى الدراستين في مركز أبحاث العنّة في باريس ونشرت نتائجها في الصحيفة البريطانية الطبية "لانسيت" عام ١٩٨٥. وأجرت جامعة كوين ومستشفى

كينغستون العمومي في أونتاريو بكندا الدراسة الثانية في العام ١٩٨٦). إلّا أن هذه الدراسات لم تحدد كيف يساهم التدخين في الاصابة بالعنّة. لذلك احتاج العلماء الى براهين مخبرية عن الضرر الجسيم الذي يحلّ بالجهاز الجنسي بسبب تعاطي التبغ، بالمقارنة مع عوامل كالتقدم في السن وتناول الكحول.

العامل الابرز – من أجل فهم صعوبة الحصول على هذه البراهين، لنتأمل فيزيولوجْيا الانتصاب المعقدة والتي ما زالت غير مفهومة تماماً: داخل القضيب خزانان رفيعان طويلان يعملان كبالونين. يحوي كل منها مجموعتين من الصمامات، واحدة تدفع الدم الى الداخل وأخرى تدفعه الى الخارج. أثناء الاثارة الجنسية، ترتخي الصمامات "المدخِلة" فجأة، وهي حلقات عضلية حول الشرايين القضيبية، فينتفخ "البالونان" ويضغطان الصمامات "المخرِجة" فتنغلق جزئياً. وإذ يزيد الدم المتدفق على الدم الخارج يصبح العضو صلباً بعد وقت قصير.

ويدوم الانتصاب مع استمرار التوازن بين الدفق الداخل والدفق الخارج. إنما اذا انسدّ أحد الاوعية "المدخِلة" الرئيسية، وإن بنسبة ٢٥ في المئة، فقد يتعطل الانتصاب.

يدرك العلماء منذ زمن بعيد أن التدخين لسنوات يُمكن أن يعيق تدفق الدم الى أطراف الجسم. وقد بينت المعاينات أن تسعة أشخاص من عشرة يعانون انسداداً سطحياً في الاوعية الدموية، هم من المدخنين.

أيمكن أن يؤثر المرض الوعائي في القضيب أيضاً؟ في العام ١٩٨٦ عمد العالم النفساني ورئيس الدراسة الكندية مايكل كوندرا، وزملاؤه في أقسام علم النفس وأبحاث المجاري البولية والطب العقلي، الى التعمق في الاجابة عن هذا السؤال. فاستخدموا طوقاً صغيراً خاصاً لقياس ضغط الدم في الشرايين القضيبية عند ١٧٨ عاجزاً جنسياً من المدخنين وغير المدخنين. ومن طريق هذا الفحص وسلسلة شاملة من فحوص أخرى، اكتشفوا أن واحداً من كل أربعة مدخنين يشكو ضعفا في دوران الدم في القضيب، فيما يعاني واحد من كل ١٢ غير مدخنين هذه المشكلة. وبحسب المقاييس الاحصائية، أثبت ذلك وجود رابط بين التدخين واختلال الدورة القضيبية بنسبة تفوق ٩٠ في المئة.

وأكدت أبحاث أخرى هذه العلاقة. ففي دراسة دامت سنتين ونصف سنة ونشرت في العام ١٩٨٧، اقترح سبعة باحثين في المركز الطبي بجامعة جورج واشنطن اجراء جراحات لـ٣٥٣ مصاباً بعجز جنسي. وقد اعتمد هؤلاء الباحثون عشرة اختبارات خارجية لتحديد سبب الاصابة. فإلى الداء الواضح في الاوعية الدموية، ارتبط التدفق غير الطبيعي الى القضيب بالتدخين كأبرز العوامل.

اختبار منقذ – الى هذا التأثير الطويل المدى، هل للتدخين أيضاً تأثير فوري في التجاوب الجنسي؟

في هذا المجال أجرت مجموعة من الباحثين من جامعة جنوب ايلينوي

وجامعة فلوريدا في تالاهاسي اختباراً مثيراً زود بموجبه ٤٢ مدخناً أدوات لقياس سرعة الانتصاب، فيما سجلت آلات مختلفة مؤشرات أخرى للمرض الوعائي السطحي. ومن أجل إزالة أي تأثير للايحاء، أخبر الباحثون مرضاهم أنهم يريدون قياس تأثير السجائر كمثير جنسي. ولتجنب التفاوت في فعل التدخين استخدم الباحثون سجائر غنية بالنيكوتين وأخرى قليلة النيكوتين. وزيادة في الدقة قدموا الى مجموعة ثالثة حلوى النعناع بدلا من السجائر.

وبعد تدخين سيجارة واحدة أو مضغ قطعة من النعناع، نقل كل رجل الى غرفة منفردة حيث شاهد فيلماً مثيراً مدة دقيقتين فيما جرت مراقبة تجاوبه الجنسي. بعد ذلك انتظر كل منهم عشر دقائق ليدخن سيجارتين أو يتناول قطعة أخرى من النعناع ثم يشاهد فيلماً آخر وتجرى مراقبته من جديد.

وكانت النتيجة أن الانتصاب عند مدخني السجائر الغنية بالنيكوتين أبطأ منه عند مدخني السجائر القليلة النيكوتين أو متناولي حلوى النعناع.

وفي حين أن تأثير النيكوتين فوري فنادراً ما يحدث العجز الجنسي المزمن بين عشية وضحاها. إذ يلاحظ المصاب تدريجياً أنه يستغرق وقتاً أطول ليحرز انتصابا، أو أن انتصابه يبدو أضعف من المعتاد، وقد يفقده تماماً.

هل يساعد التوقف عن التدخين في التخلص من العجز الجنسي؟

تجيب عن هذا السؤال دراسة دامت ستة أشهر وأجراها الدكتور ميتشل أدسون وزملاؤه في قسم أبحاث المجاري البولية في مستشفى واشنطن. فخلال ليلتين سجلوا انتصابات مجموعة من ٦٠ رجلا عاجزين جنسياً أثناء النوم. عادة، للرجال انتصابات عدة أثناء النوم، ولكن كان لمعظم المرضى في هذه الدراسة انتصابات غير وافية مما يدل على أن سبب العجز خلل جسدي. وبعد الفحص طلب من ٢٠ من المرضى المسرفين في التدخين الانقطاع عن السجائر لستة أسابيع قبل الخضوع لفحص جديد.

وحين أعيد اجراء فحص "الانتصاب النومي" بعد ستة أسابيع، حقق سبعة من الرجال الذين توقفوا عن التدخين انتصابات وافية.

ليس التدخين بالطبع السبب الوحيد للعجز الجنسي. وقد حددت الدراسة الفرنسية التي نشرت في صحيفة "لانسيت" أربعة عوامل رئيسية للعجز الجنسي العائد الى ضعف في الدورة الدموية: التدخين، والبول السكري، وارتفاع نسبة الكولسترول، وارتفاع ضغط الدم. لكن التدخين كان الأهم، لأنه يضاعف تأثيرات العوامل الاخرى.

قد تكون معالجة السكري أو ارتفاع ضغط الدم أو الكولسترول باهظة التكاليف وغير مؤكدة النتائج، كما تتعذر معالجة بعض الحالات في فترة قصيرة. أما الامتناع عن التدخين فيمكن أن يكون فورياً. فالمدخن الذي يعاني مشاكل في الجماع يحسن صنيعاً برمي سجائره في أقرب سلة للمهملات، فيستعيد نشاطه الجنسي وينقذ حياته.

الدكتور ديفيد روبن

عاصمة صناعة الافلام الايطالية في عيدها الخمسين تشهد ازدهاراً متجدداً

انها السنة الثالثة والثلاثون بعد الميلاد في "الاستوديو ٤" في سينيسيتا. النجم السينمائي نينو مانفريدي يغسل يديه. صوت الـ"كلاكيت" يعلن نهاية اللقطة. يريد مانفريدي أن يعرف: "كيف كان المشهد؟" فيؤكد له المخرج لويجي ماغني: "جميل، جميل جداً." لقد انتهى تصوير أشهر غسل لليدين في التاريخ، حيث يمثل مانفريدي الدور الرئيسي في فيلم "بيلاطس البنطي"(١) وهو انتاج ايطالي عُيِّن اطلاقه في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨.

أما "الاستوديو ٥" فيردنا الى اليوم في لوس انجلس حيث يتشاجر بورت رينولدز وليزا مينيلّي في فيلم "استأجر شرطياً"(٢) وهو انتاج أمريكي رئيسي للعام ١٩٨٨.

السماء زرقاء والنسيم يتماوج عبر حقل قمح في "الاستوديو ٢" حيث يصور اعلان عن المعكرونة. أما في مؤخر القاعة فثلج بعلو نصف متر وفتاتان شقراوان تتزحلقان في "الشارع"، هذه المرة في اعلان شامبو.

العمل ناجح جداً في سينيسيتا(٣) المعروفة أيضاً بـ"هوليوود نهر التيبر"، وهي أشهر محترَفات الافلام في أوروبا. في العام ١٩٨٦ صنع هناك ما يزيد على مئة فيلم سينمائي واعلاني. انها المرة

---

(١) According to Pontius Pilato

(٢) Rent a Cop

(٣) معناها "مدينة الافلام."

سينيسيتا: هوليوود

Photos: (from top left) AFE-Emilio Lari; Videowrite; Videowrite; Ugo Casiraghi; Videowrite; Publifoto; Courtesy by Maria Ruhle, Press Agent

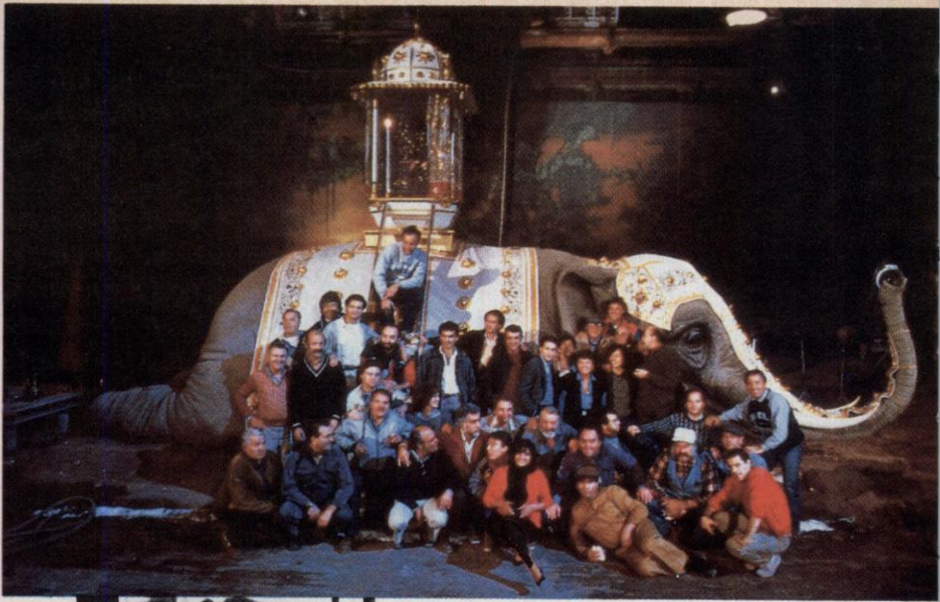

(فوق) صورة تذكارية لفريق الممثلين والعاملين في فيلم "المقابلة" للمخرج فيليني. (اللقطات، من اليسار) آنا مانياني في "بيليسيما"؛ "توتو آكولوري" (١٩٥٧) أول الافلام الايطالية الملونة؛ صوفيا لورين في "لا تشيوشيارا"؛ اليزابيت تايلور في دور كليوباترا؛ شون كونري في "اسم الوردة"؛ مارشيلو ماستروياني في "العينين السوداوين."

أوروبّا

الاولى في ثلاثين سنة تكون سينيسيتا منتجة الى هذا الحد. الاستوديوات الاثنا عشر محجوزة كلها، والمنتجون والمخرجون والممثلون من أنحاء العالم يملأون المكان.

ان صناعة الافلام هي احدى أهم الصناعات في روما وتتداول قرابة ٣٠٠ مليار لير (٢٣٠ مليون دولار) سنوياً وتستخدم ما يزيد على ١٥ ألف شخص. والآن، بعد مرور عشر سنين من الركود، يتزامن العيد الخمسيني لسينيسيتا مع عودة الازدهار.

وعادت أيضاً الافلام التي تكسح شبابيك التذاكر. ومن الاعمال الحالية انتاج ألماني عن "مغامرات البارون مونتشوزن" (٤) تبلغ موازنته ٤٤ مليار لير (٣٥ مليون دولار) بحيث تفوق موازنة أي فيلم أوروبي منذ الحرب العالمية الثانية. انتاج هذا الفيلم يستلزم عشرين فيلاً ومئات من الفرسان وألوافاً من العناصر وخدعاً ومؤثرات سينمائية خاصة كافية لتجعل فيلم "حروب النجوم" (٥) يبدو عملاً عادياً. قال لي المنتج توماس شوهلي: "أنا أعرف كل الاستوديوات الاوروبية. وقد اخترت سينيسيتا لانها الفضلى."

هوليوود نهر التيبر - في ٢٨ ابريل (نيسان) ١٩٣٧ دشن بنيتو موسوليني مدينة الافلام سينيسيتا القائمة على أرض مساحتها ستون هكتاراً والواقعة على بعد عشرة كيلومترات من جنوب شرق وسط المدينة. أعدّت سينيسيتا للديكتاتور الفاشي أفلاماً دعائية. وأحد أول الافلام التسعة عشر التي صنعت هناك في العام ١٩٣٧ كان فيلم "سيبيو الافريقي" (٦) الذي اقتفى جذور الفاشية في روما القديمة.

خلال سنوات الحرب كانت معظم أفلام الاستوديوات هناك تنتمي الى نوع يعرف بـ"الهواتف البيض" وخصّصت للحياة "الجميلة" الناعمة هواتف أنيقة بيضاء ونساء لطيفات بجلابيب من ريش النعام. وفي العام ١٩٤٣ انفجرت الفقاعة، فبسقوط الفاشية أقفلت سينيسيتا وصرف ١٢٠٠ مستخدم. وفي ينـاير (كـانون الثـاني) ١٩٤٤ دمر نصف الاستوديوات بقنابل الحلفـاء. وكان الجيش الالماني المحتل صادر معظم التجهيزات وشحنها بعيداً.

وفي نهاية الحرب غدت سينيسيتا مخيماً للاجئين، وظلت كذلك الى العام ١٩٤٧ حين استؤنفت صناعة الافلام في اثنين من استوديواتها. أول فيلم صور هناك بعد الحرب كان "كووري" (٧) للمخرج دويليو كوليتي. ويتذكر القدامى من سكان روما عبورهم غرف منامة ومستشفى ومعرضاً للجثث وهم في الطريق الى العمل. وكانت تقام مباريات في كرة القدم بين الفنيين واللاجئين.

كانت أياماً ذهبية للسينما الايطالية. صاغ فيتوريو دي سيكا وروبرتو روسليني أسلوباً جديداً للافلام هو المذهب الواقعي الجديد (٨). أما الافلام الكلاسيكية مثل

(٤) The Adventures of Baron Munchausen
(٥) Star Wars
(٦) Scipio the African
(٧) Cuore
(٨) Neo Realism

"لصوص الدراجات" فكانت تصوّر موضعياً، ولم تكن ناجحة في شباك التذاكر. وهكذا كانت تلك أيضاً أوقاتاً عجافاً.

أنقذ الوضع سياسي شاب يدعى جوليو أندريوتي، كذلك الامريكيون. مرّر أندريوتي قانوناً يقضي بوضع رسم على كل الافلام الاجنبية التي تدبلج الى الايطالية. بعد ذلك قضى نظام نقدي بأن تنفق شركات الافلام الامريكية في السوق المحلية ٥٠ في المئة من الارباح التي تجنيها في ايطاليا. وفي العام ١٩٥٠ استجابت شركة "مترو غولدوين ماير" العملاقة وحجزت سينيسيتا لانتاج "كوفادس" (٩) وهو أول ثلاثة أفلام كاسحة، تبعه "بن هور" (١٠) في العام ١٩٥٧ و"كليوباترا" في العالم ١٩٦٠. وولدت بذلك "هوليوود نهر التيبر."

فيا فنيتو – ضمت تلك الافلام ألوف الممثلين، وتطلبت موازنات عظيمة وجداول زمنية للتصوير استغرقت سنوات. أيام الجمعة كان الصف أمام مكتب دفع الاجور يمتد أبعد من كيلومتر. يقول أتيليو دونوفريو الذي كان حينذاك كاتباً صغيراً وأصبح الان المدير العام لسينيسيتا: "ان ما أنفقه الامريكيون على المياه المعدنية والمكالمات الهاتفية والبرقيات كان يمكن أن يموّل فيلماً كاملاً، لكننا تعلمنا منهم الكثير وأصبحنا محترفين."

كانت تلك أياماً رائدة، ولم تكن الامور كئيبة قط. اثناء تمثيل "بن هور" هربت جياد هائجة وملأت شوارع سينيسيتا، ووجد الناس أنفسهم يتسلقون أشجار الصنوبر من دون أن يعلموا كيف وصلوا الى هناك.

وفي فيلم "كليوباترا" بنيت مدينة تشبه الاسكندرية القديمة على شاطىء أنزيو، وقسم منها على ركائز خشبية في الماء. يقول ألفريدو فنشنتي وهو الان رئيس دائرة اعداد المسارح: "انه لامر مضحك، لقد وجدنا أنقاض مدينة رومانية قديمة مغمورة هناك، هياكل عظمية من أيام الانزال الامريكي، ووفرة من الالغام. وكان يجب أن تزال قبل أن نذهب الى العمل كل يوم."

الى ذلك الحين كانت روما مدينة قاتمة يتسلط عليها رجال دين ومشترعون واداريون. تغيّر كل ذلك وأصبح شارع فيا فنيتو، بمقاهيه الملأى بنجوم السينما مرادفاً للسحر والتألّق. لم يخترع فيديريكو فيليني كثيراً في "لا دولتشي فيتا" (١١).

افلاس ونهضة – بدأ التيار ينحسر في منتصف الستينات. فبعد عقد ونيف من المسار الرصين أضحت سينيسيتا طماعة جداً. كانت هناك أماكن أرخص منها للافلام، مثل اسبانيا. وكانت هوليوود تخسر في المعركة ضد التلفاز. وانسحب الامريكيون.

عند تلك النقطة اقتصر معظم الانتاج المحلي على أفلام تاريخية ذات موازنات منخفضة دعيت "سينما الصنادل" (١٢) لان

(٩) Quo Vadis?
(١٠) Ben Hur
(١١) La Dolce Vita
(١٢) Sandal movies «sandaloni»

كل من فيها انتعل صندلاً وهو خفّ بسيور من جلد. ثم حقق مخرج شاب يدعى سرجيو ليوني فيلم "حفنة دولارات"(١٣) وولد نوع جديد من الافلام بات يدعى "وسترن السباغيتي"(١٤).

في تلك الايام آثر المخرجون الجديّون أن يصوروا أفلامهم في مواقع الاحداث... إلا فيليني الذي يحبّ أن يعيد بناء كل المواقع في "الاستوديو ٥" في سينيسيتا، وهو الاكبر في أوروبا. وهو نسخ البحر الابيض المتوسط هناك وأعاد بناء البندقية وريميني وأجزاء واسعة من روما. أما السبب فهو: "أنت في الاستوديو سيد الشمس، تستطيع أن تكيّف الضوء وتملك ناصيته تماماً كما يفعل الرسام بالالوان."

أسعفت أفلام فيليني مدينة الافلام كي لا يتدانى مستواها عبر فترة طويلة في السبعينات، ولكن حتى فيلم "الميسترو" لم يشبع الافواه الجائعة. وبحلول العام ١٩٨١ كانت سينيسيتا رازحة تحت دين من ١٣ مليار لير (١٠،٣ ملايين دولار) وأوشكت على الافلاس.

باعت سينيسيتا ١٢ هكتاراً من الارض لجمع ٢٠ مليار لير (١٦ مليون دولار) وجاءت بادارة جديدة برئاسة دونوفريو، وصرفت بسخاء لتحديث الاستوديوات. ولم تتأخر النتائج. ففي العام ١٩٨٦ بلغ رقم الاعمال ٢٣ مليار لير (١٨ مليون دولار) أي خمسة أضعاف رقم العام ١٩٨١.

جمع فيلم "اسم الوردة"(١٦) ١٥١ مليار لير (١٢٠ مليون دولار) وأضحى في وقت ما أنجح الافلام مردوداً في أوروبا. وفي المشاهد قرية من العصور الوسطى تحوي برجاً بعلو ٣٧ متراً صممت وبنيت في سينيسيتا. أنتج الفيلم في ١٤ أسبوعاً فقط مما مكّن المنتج شوهلي من خفض التكاليف الى ٢٠ مليار لير (١٦ مليون دولار). وكان محظوظاً أيضاً، فهو خطط لاستعمال آلات تهيل الثلج بغية ايحاء منظر شتاء في القرية، غير أن ثلجاً حقيقياً سقط قبل ليلة من التصوير.

حيث كل شيء – تقدم سينيسيتا مجموعة كاملة من خدمات الافلام تحت سقف واحد. وهذه تشمل مختبرات طبع (تستطيع تحميض ١٨ مليون متر من الافلام وطبعها سنوياً) واستوديوات للتحرير وتسجيل الصوت مع أجهزة لفحص الافلام وآلات فيديو لعرض سريع ولفّ الكتروني، ودائرة نشطة ومتطورة لآلات التصوير والاضاءة، ومستودعاً يخزن ١٥ ألف قطعة من الاثاث والملابس وسواها، واحدى فضلى مجموعات المواقع المشيدة للتمثيل في العالم.

القوة العاملة ٣٠٠ مستخدم بدوام كامل، ترتفع الى ٣٠٠٠ عندما تعمل الاستوديوات بطاقتها القصوى. عميد الجميع هو ريناتو دي انجيليس (٧١ عاماً). فاذا ما احتجت الى تمثال أبي هول من الصمغ الزجاجي بطول ٢٠ متراً، فان انجيليس هو الشخص الذي يجب أن تقصده.

للصمغ الزجاجي والـ"بوليستيرين"

(١٣) A Fistful of Dollars
(١٤) Spaghetti western
(١٥) Il maestro
(١٦) The Name of the Rose

منفعة كبرى لكونهما خفيفين. في العصور السالفة كان نقل أعمدة رومانية مصنوعة من الجبس يستلزم عشرات الايدي. والان، مع البلاستيك، يستطيع المرء انجاز العمل بيد واحدة. أراني انجيليس أدوات تجارته. وكان يعمل على مجموعة كبيرة كاملة من أجنحة النسور المصنوعة من البوليستيرين وتماثيل وأفاريز لزخرفة واجهة أحد الهياكل. استعمل سلكا معدنياً حامياً (يشبه سكين الجبن الكهربائية) لقطع كتل البوليستيرين الكبيرة، وأكمل التفاصيل بمنشار آلي وفرشاة معدنية.

صدمة فيليني - المواد المحمولة كالسلالم والدعائم لا تزال تصنع من الخشب، وثمة دائرة كبيرة للتجارة تهتم بها. المناشير والمخارط تعمل آلياً، وكل ما عليك أن تفعله هو ادخال لوح خشب من جهة ومراقبة القطعة المنتجة وهي تخرج من الجهة الاخرى.

ووصلت التكنولوجيا العالية الى دائرة الاضاءة أيضاً. وجهاز الانارة الالكتروني الأكثر تعتيماً، الذي صُمم لمدير التصوير فيتوريو ستورارو الحائز جائزة أوسكار، يمكنه احداث تأثيرات ضوئية متزامنة.

تحدثت مع الخياطة أنجيلا أنزيماني التي كانت تخيط أزرار كَبْس شفافة على قماش من الشاش البهي تحتاج اليه "سلومة" في اليوم التالي في فيلم "بيلاطس البنطي." أخبرتني أنها تعمل في أربعة أفلام أو خمسة سنوياً، وأحياناً تستيقظ باكراً في الثانية صباحا لتعمل ١٦ ساعة في اليوم. انها تتذكر يوم تبين أن البزات العسكرية الثلاثمئة غير صالحة وينبغي أن تعاد خياطتها قبل التمثيل. وقالت لي بعد حين: "الان يجب أن تعذرني، والا فلن تكون غداً رقصة."

تذكّرت كلام فيليني عن صدمته الاولى في سينيسيتا عندما زار الاستوديوات كصحافي في أواخر الثلاثينات وكتب: "كانوا يصورون ملحمة مغامرات. وكانت هناك جياد تعدو وممثلون موقّتون يسقط بعضهم فوق بعض، وصراخ لا يصدق، وغبار وأوامر تعطى بصوت عال. ورأيت المخرج السندرو بلاسيتي معلّقاً برافعة تعلو أمتاراً عن الارض وجالساً في كرسي موصول بالمنصة، بدا لي رجلاً جليلاً، لكنني فكّرت في أنني لست أهلاً لهذا العمل."

كم يخطىء المرء في ظنونه! ولكن هذا هو عالم الفن.

كريستوفر ماثيوس

شابّ في المئة

قال العجوز للطبيب: " بالله عليك يا دكتور، ساعدني، فقد ناهزت المئة وما زلت أطارد الفتيات."

فطمأنه الطبيب: "حسناً. حالتك هي بالتأكيد جديرة بالاهتمام، لكنها حالة سوية. قل لي: لماذا تريد مساعدتي؟"

فرد العجوز: "لاني أتعقب الفتيات، لكني لم أعد أذكر لأي غرض أفعل ذلك."

م.ب.س.

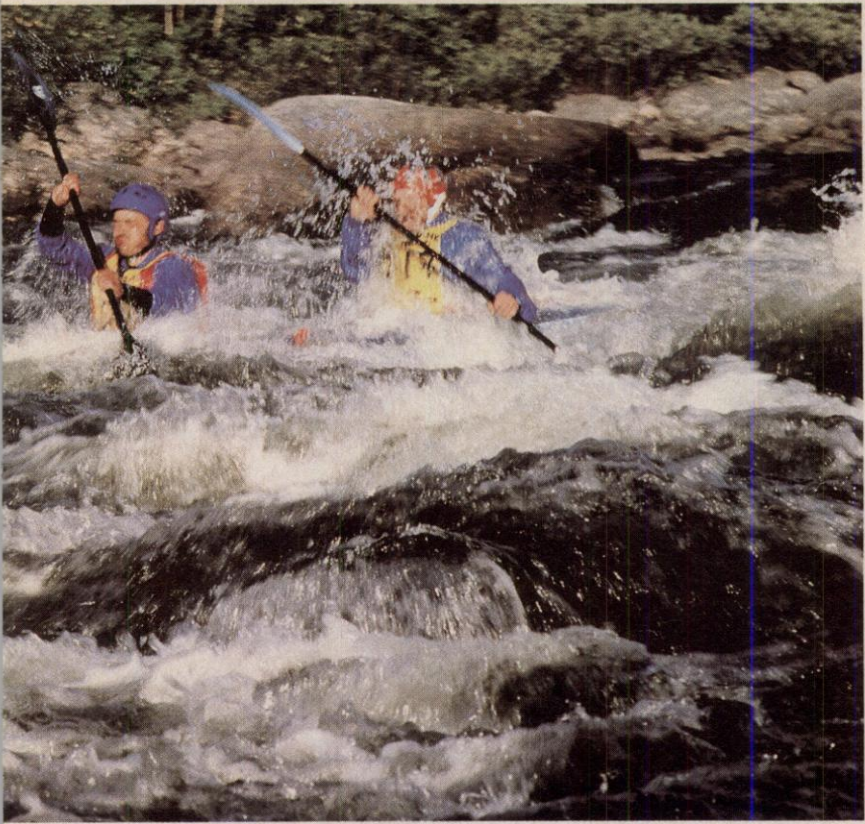

سَباق زوارق
أمْ صِراع جبابرة؟

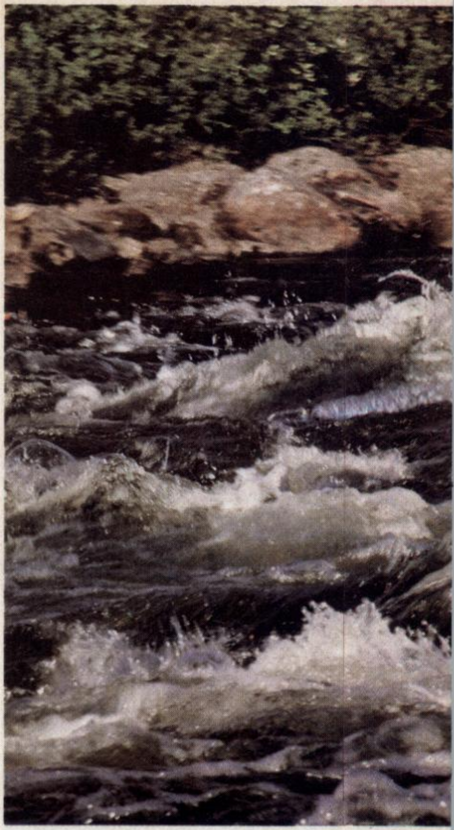

توقف المجذفون، والضباب يطوّقهم من كل صوب وأصابع أيديهم منثنية ومتجمدة، وراحوا يصغون الى الهدير المتصاعد من تساقط شلالات الماء على منحدرات النهر. ثم شاهدوا صخوراً شامخة مكسوة بالطحلب تطل عليهم من ضفتي النهر حيث يضيق مجراه. والتيار المائي البارد الفائر يجرفهم بسرعة متزايدة الى مياه هائجة مائجة.

كانت الساعة الخامسة من صباح ٢٦ يوليو (تموز) ١٩٨٧ في لابلاند على مسافة ٣٠٠ كيلومتر شمال دائرة القطب الشمالي. وبعد ساعتين من التجذيف المضني في سباق الزوارق القطبي الذي هو اعنف سباق للكنو (١) والكاياك (٢) بات السبعة والخمسون متنافساً وسط المعمعة. ولاربعة اسابيع خلت كانت مياه بحيرة كلبسجارفي، حيث انطلق السباق، لا تزال متجمدة. ولما كان الثلج على الجبال المجاورة في فنلندا ونروج واسوج لم يذب بعد ما فيه الكفاية لتغذيتها، فقد بات على الاثنين والاربعين كنو وكاياك ان تشق طريقها وسط الوحول اكثر مما وسط الماء.

الى هذا فقد استقر الضباب المتجمد على الماء واصبح الشاطىء قفراً تغطيه اشجار دائمة الاخضرار حيث تجول الدبب والذئاب احياناً. وضلّ المجذفون طريقهم في متاهة الخلجان الصغيرة ذات الطرق المسدودة. ثم كان عليهم ان يحملوا

برهن هذا الاختبار عن قوة احتمال الانسان على رغم الخطر والانهاك انه ذو سحر لا يقاوم

(١) الكنو (Canoe) زورق طويل، خفيف وضيق يدفع بواسطة مجاذيف.

(٢) الكاياك (Kayak) زورق مصنوع من جلد يشبه زوارق الاسكيمو.

Photos: John Dyson

زوارقهم على اكتافهم ويعبروا مسافة ٨٠٠ كيلومتر في مستنقع عريض. وعندما حملت إيزابل منتري بطلة فرنسا في سباق الكاياك والحائزة مرتين المدالية الفضية، زورقها وخاضت في المستنقع حتى ركبتيها، احست بخدر في اصابعها وقد غطت قشرة من الجليد ظهر زورقها.

والآن، ها هي الكنو والكاياك تندفع الى مضيق براكوسكي حيث الصخور الخطرة والدوامات العمودية التي تؤلفها المياه المنحدرة كالشلالات فوق حافة الصخور، تتعذر رؤيتها من بعيد بسبب كثافة الضباب. وبعد كارثة السنة الماضية التي ادت الى تحطم كاياكه في ثلاثة مواقع، تمكن المجذف الالماني الغربي ابرهارد باشتولد (٢٦ عاماً) من النجاة بقدرة قادر. الا ان كاياكاً بمقعدين اصطدم بالصخور وكافح راكباه الايطاليان الفيو بريوستي (٢٩ عاماً) ولويجي بارتوليني (٣١ سنة) حتى وصلا الى الشاطىء بعدما اصيبا برضوض في ظهرهما وارجلهما. وانقلبت كاياكات اخرى لدى مواجهة المجموعة الثانية من المنحدرات المائية، لكن زوارق الانقاذ سارعت الى سحب من كانوا فيها الى الشاطىء قبل فوات الاوان.

اليوم الاول – الساعة السابعة من صباح اليوم الاول ولا يزال امام المتسابقين ١٣٤ مجموعة من المنحدرات الواقعة على خط طوله ٥٠٠ كيلومتر حيث تنتظم كحبات عقد ثلاثة انهر واكثر من ١٢ بحيرة كبيرة مؤلفة قسماً من الحد الفاصل بين اسوج وفنلندا. وبعد ستة ايام من السباق يكون اقل من نصف المتبارين فقط اجتازوا كل المسافة ابتداءً من غابات الصنوبر القطبية حيث ترعى الأيائل، الى خط النهاية في مدينة تورنيو على شاطىء بحر البلطيك.

ان التجذيف في هذه الكنوات يشبه التزلج على الثلج، وهو رياضة لها مهاراتها خصوصاً السباقات في المياه الهائجة وسباق الماراثون والسباق المتعرج ضد الساعة.

ويقول المدير الفني لهذه الرياضة البريطاني ستيف باولز (٣٦ عاماً) الذي نظم اول سباق قطبي للكنو والكاياك في العام ١٩٨٣: "قلما اجتمعت في حدث واحد مثل هذه المهارات. انه طويل وبارد وخطر ويتطلب براعة وعناية فائقتين."

وعلى مر السنين برهن هذا التحدي لمجموعة متنوعة من المجذفين من ١٧ دولة، انه لا يقاوم(٣). واشترك فيه السنة الماضية متبارون من ستة بلدان(٤).

جان بيار بيرني (٤٢ عاماً) بطل العالم اربع مرات في التجذيف في المياه الهائجة من اعلى النهر نزولا حتى اسفله مع رفيقه البلجيكي جان رانغلي (٣٨ عاماً)، كانا مدربين تدريباً عالياً. كذلك الفنلندي أيمو اوجابالو (٥٢ عاماً) كان محترفاً زراعة الاشجار المثمرة والخضر والازهار ولم يدخل قط في حياته سباق

(٣) تهتم بهذا السباق عادة الدول الآتية: اوستراليا والنمسا وبلجيكا وبريطانيا وكندا وتشيكوسلوفاكيا وفنلندا وفرنسا وايرلندا وايطاليا وهولندا ونيوزيلندا ونروج وبولونيا واسوج وسويسرا والمانيا الغربية.

(٤) بلجيكا وبريطانيا وفنلندا وفرنسا وايطاليا والمانيا الغربية.

المجذفون يمخرون وسط لابلاند، وتبدو فنلندا عن يسارهم وأسوج (السويد) عن يمينهم.

المراثون، وهو تمرن طوال الشتاء في كاراجه مستعملا جهازاً مؤلفاً من مطاط ونوابض. ولن انسى صويني ليليكما اكبر المتبارين سناً الذي كان في الثالثة والخمسين من عمره لما شاهد هذا النوع من السباق، وقد أُخذ به الى درجة انه بدأ يمرن نفسه عليه في الاسبوع الاول لعودته الى استوكهولم من اجازته السنوية. وللحال اشترى كاياكاً. ومما قاله في هذا الصدد: "انها المرة الثالثة اشترك في هذا السباق، والمنحدرات لا تزال تخيفني.

هناك اربع فئات رئيسية من السباقات وينال الفائز بكل منها مجذافاً مذهباً. وهذه الفئات هي:

١. السباق القصير بالتجذيف السريع في كاياك ذي مقعد واحد ويختصر بـ «K1» .

٢. السباق في المياه الهائجة في كاياك من مقعد واحد ويختصر بـ«K1» .

٣. سباق الكاياك ذي المقعدين ويختصر بـ«K2» .

٤. سباق الكنو ذي الشكل الكندي وفيه مجذفان ويختصر بـ«C2» .

ولمواجهة الحوادث الطارئة في المواقع الموحشة زود كل زورق جراية للطوارىء وشريطاً للتصليح وكيساً للنجاة يحول دون الانخفاض الشديد للحرارة. ومن اجل المحافظة على الطاقة، علقت بظهر كل زورق مجموعة من السكاكر والشوكولا والموز وقليلا من لحم الأيل المدخن. ويعتمر المجذفون خوذاً خاصة بالسلامة، ويربطون بسترات النجاة من الغرق انبوباً متصلا بقوارير معبأة بمركبات من الشاي البارد والكوكاكولا والماء الممزوج بالعسل والملح ومشروبات اخرى منشطة.

وبفضل شمس منتصف الليل القطبية لم ينم سوى القلائل من المجذفين الذين فوجئوا بهيكي كيفينن يعلن بدء السباق بطلقة مسدس الساعة الثالثة. واليوم الاول من السباق هو الاعنف.

وما ان حان موعد استراحة نصف الساعة الاجبارية في فسحة خالية من الاشجار في غابة على الطريق، بعد اجتياز المتبارين ٧٥ كيلومتراً، حتى ظهرت الضمادات على سواعد كثير من المجذفين الذين شعروا بآلام وتورم فيها فضلا عن آلام مبرحة في اردافهم. وشوهد جان بيار رانغلا يدفىء مؤخرته المخدرة بنار مخيم. ودهن جان بيار بيرني اليته المتقرحة بمرهم يستعمله عادة راكبو الدراجات الذين يعانون من كرسي الدراجة ما يعاني هو الآن. لكن احداً لم يلجأ الى

مثل حيلة طوني بريجون الالماني الغربي الفائز(٥) عام ١٩٨٤ في سباق الكاياك القطبي من الفئة «K2» ، إذ نشر على مقعده قطعاً من اللحم الطري بسماكة سنتيمترين وجلس اعليها.

وبعد استراحة اخرى دخل المجذفون باتيكالوسكي اكبر منحدرات السباق. وتمركزت فرق المساعدين والمنقذين على الصخور العالية واشعلت ناراً مدخنة لإبعاد اسراب البعوض، فامتزج دخان النار برذاذ ماء النهر الهادر.

وهكذا شق المجذفون طريقهم بتلو متلقين لكمات وضربات مؤلمة من "قبضات" المياه المزبدة.

كان البلجيكيان بيرني ورانغلا اول من دخل الحمام البخاري في قرية كاريسيفاكو بعدما انهيا اليوم الاول، باعنف مراحله، قاطعين ١٣١ كيلومتراً في ١١ ساعة و١٢ دقيقة، في موازاة ١٧ ساعة و١٣ دقيقة من المعاناة والعذاب للتقني الفنلندي كيمو لان وشريكه تيمو، وهو اخوه ايضاً، اللذين كانا آخر الثمانية والثلاثين متبارياً الذين اكملوا السباق ووصلوا الى الشاطىء منهكين.

اما اولئك الذين تخلفوا عن المرحلة الاولى فلم يخسروا بل بقي لهم الحق في ان يعاودوا السباق في اليوم الثاني مع جزاء تأخير ست ساعات عن بدء السباق. واوضح منظم السباق جوكا بوكاجوانسو (٢١ عاماً) انه "في بعض السنوات الخالية قلما اكمل السباق زورق من دون ان ينسحب، وان مرة واحدة. لذلك فان الاهمية تبقى في الاستمرار والوصول الى النهاية، ايا تكن المرتبة."

اليوم الثاني – إنشق فجر اليوم الثاني عن ضباب من الألم. فبعدما حطمت الرقم القياسي لليوم الاول بست دقائق استيقظت ايزابل منتري وكتفها متيبسة بحيث تعذر عليها رفع اللقمة الى فمها. لذلك القت المجذاف جانباً ولازمت الفراش. وعندما اصطف الثلاثة والثلاثون زورقاً استعداداً لبدء سباق المئة كيلومتر، وهو الاكثر انهاكاً للعضلات من سواه، كان كثير من المجذفين مصابين بالدوار. كذلك البرلينيان بيتر هالوغ واندرياس كوم اللذان كانا في الصف الثاني من الزوارق المتسابقة وقد توقفا عن التجذيف بعد اجتيازهما نصف كيلومتر فقط، وانتابهما الم شديد.

اما الفرنسيان فرنسوا روسا وفرنسوا رافيا فكانا راكعين في زورقهما يتقدمان متباري الفئة الرابعة «C2» لكن البرودة ما لبثت ان "اكتشفت" نقطة الضعف عندهما، إذ كان رافيا بدأ السباق بذراعين متورمتين مضمدتين. وبعد ساعة من بدء السباق اخذ الكنو يدور بهما على نفسه. ولما لم تبق لرافيا القوة الكافية للاستمرار في التجذيف قرر مع رفيقه الخروج من المنافسة.

واتسع النهر بين منحدر وآخر واصبح امتداداً طويلا وراكداً لبحيرة كبيرة.

ولما كانت مرفقا سوفريمان قد انهارا من جراء الارتجاج المتواصل الناتج من ارتطام المجذاف بالصخور، فقد قرر زوجها اندي البالغ من العمر ٤٠ سنة ان يتجه

---

(٥) حاز بريجون ايضاً المدالية الذهبية في فرنسا في يوليو (تموز) ١٩٨٧ في التعرج وكان رفيقه في هذا السباق الالماني الغربي يورغن غارلش.

بزورقهما نحو الشاطىء. وجدير بالذكر ان اندي وسو كانا الزوجين الوحيدين المشتركين في السباق. وقد تدربا على اكثر من ١٥٠٠ كيلومتر منذ عيد الميلاد. ومما قاله اندي الفائز في سباق زوارق دائرة القطب الشمالي «K2» ان هذا أشق عمل قاما به في حياتهما.

وأستقبل المجذفون الصامدون بحرارة في بلدة ميونو وكوفئوا بيوم راحة، إلا انه كان يوماً ماطراً جداً. وحاول الفيو بريوستي ولويجي بارتوليني اصلاح كياكهما المحطم، فلم يفلحا. فحتى الصمغ الصنوبري نفسه بعدما سخن على نار معدة لشوي اللحم لم يلصق بسبب شدة البرودة الرطبة. اما الفرنسي كلود برنار (٣٠ عاماً) فبقي في سريره في الزورق طوال النهار وساعده المتورم جداً ملفوف بجرائد ومثقل بالثلج.

الثالث والرابع - بدأ اليوم الثالث من السباق بهبوب ريح قاسية راحت تلسع وجوههم كمن يختبر قدرتهم على تحمل العذاب. وبسبب دموع البرودة التي غشت بصرهم وجد اندي فريمان مشقة كبيرة في رؤية الصخور امامه. ولكن النهر تابع جريانه السلس الى مناطق ريفية مشمسة وذات مناظر اكثر جمالا من سواها.

وقد ظهرت على طول ضفتيه دساكر صغيرة تجمعت فيها اكوام من الحشائش المجففة. ومن قواربهم الخشبية الغريبة، ذات المقدم المنعطف الى الاعلى في شكل يشبه الخف التركي، راح الصيادون يشاهدون المجذفين وهم يتسابقون قربهم. وفي اماكن استراحتهم في مروج ملأى بالزهور كانت حلل الطبخ، بما فيها من سمك السلمون الغليظ وحساء البطاطا (البطاطس) تغلي على نار حطب الصنوبر.

واذ قَصُرت مسافات التجذيف يوماً بعد يوم بات السباق اختباراً لمدى احتمال المتسابقين المعاناة اكثر مما هو قضية صمود.

في بداءة اليوم الرابع من السباق ارتطم مصادفة مجذاف ولفغانغ اورتل (٢٤ عاماً) المدرس في كولونيا بمجذاف زورق آخر. وشعر بألم حاد يسري في ساعده المتورم فقال: "لقد تابعت تجذيفي ببطء مسافة ١٥ كيلومتراً ولم يبق ورائي احد إذ ان الكل قد سبقني." وسريعاً بعد ذلك هرع الى المتسابق كلود برنار الفريق الالماني الغربي المساند له فور تلويحه بالراية. ولما كان الألم في ساعديه شديداً فقد استسلم وجر كاياكه الى الطريق.

هنالك مجذف واحد بقي نشيطاً، كما كان في بدء السباق، هو الكهربائي جوسي ريهينن (٤٠ عاماً) الذي كان دوماً طليعة كل المراحل باستثناء اليوم الاول. انه فنلندي متجهم الوجه وقوي العضلات وعدَّاء ماراثون سابق وفائز في سباق الزوارق «K1» في دائرة القطب الشمالي عام ١٩٨٦. ومنذ ذلك الحين وهو يواصل تدريبه حتى في فصل الشتاء. وهذا يعني تجذيفاً خطراً بين جدران الجليد العالية لمدخل مركز توليد الكهرباء حيث كان النهر يجري بسرعة فائقة يتعذر معها تجمده. وعلى رغم انخفاض الحرارة الى ٣٧ درجة مئوية تحت الصفر، فقد واصل

ريهينن كفاحه مثبتاً نفسه في كاياكه كجبل جليد وممسكاً مجذافه المغطى بثلاثة كيلوغرامات من الجليد الجامد.

بعد القطب الشمالي - بعد اجتيازهم دائرة القطب الشمالي واجه المتبارون مرحلة الخمسة والسبعين كيلومتراً الاخيرة، وهي الاشد عنفاً في سباقهم. فالرياح الهوجاء والامطار الغزيرة الآتية من بحر البلطيك، حولت البحيرات الرتيبة التي تفصل بين المنحدرات الكبيرة بحاراً قاتلة مما اضطر الكاياك والكنو الى ان تمخر عباب هذه الامواج العاتية كالغواصات قاذفة بمجاذيفها التي تشبه طواحين الهواء، سيلا عالياً من الرذاذ. وكان من عواقبها ان فاكيبارتا وابن عمه تمكنا مرتين من التقدم الى الضفة ومرتين اضطرا الى الرجوع.

في ماتكاكوسكي التي تشكل اهم مرحلة بسبب منحدراتها العظمى، انطلق المجذفون بسرعة في مضيق حاد بين الشاطىء وصخرة هائلة. وما كاد بوهونن واخوه يعبرانه حتى هبت دوامة وفتلتهما بسرعة وقلبت زورقهما. ومن دون وجل اسرعا الى زورق آخر وشدا السير.

اخيراً حلت مرحلة كوكولانكوسكي وهي مسافة كيلومتر واحد من المياه الصاخبة الثائرة.

واخذ المشاهدون يزدحمون على منصات ركيكة مبنية للصيادين على ضفتي النهر. وللمرة الثانية اضطر بوهونن واخوه الى النزول في الماء والسباحة لان المياه المتدفقة شقت ظهر زورقهما الثاني فغرق.

وبعد صراع عنيف في العشرة الكيلومترات المتبقية من نهر ضربت مياهه ريح هوجاء، تمكن عشرون زورقاً فقط من اصل الاثنين والاربعين من الوصول الى خط النهاية تحت الجسور في تورنيو. وبعد تجذيفهم ٥٣٧ كيلومتراً بدا المتبارون متألمين ومبللين وملوثين و...منتصرين.

وكانت النتيجة ان البلجيكيين بيرني ورانغلا ربحا سباق الفئة «K2» بفارق يزيد على ساعة.

وبعد منافسة متقاربة جداً (الكتف الى الكتف) تمكن جوسي ريهينن وابرهارد باشتولد في كاياكهما المعد لسباق التجذيف القصير من الفوز بسباق الفئة «K1» . اما رينو رابونيامي ومني فيولو من فنلندا فقد ربحا سباق الفئة «C2» .

من جهة اخرى، صرف البلجيكيان الفائزان ٤٢ ساعة و١٠ دقائق في التجذيف، فيما عام الاخيران في السباق تيمو وكيمو لان مدة ٥٧ ساعة و٥٩ دقيقة. ومما يجدر ذكره ان جان بيار رانغلا صرح بعد فوزه "ان الاخيرين هم الذين يستحقون المداليات لأنهم هم في الحقيقة ابطال سباق الزوارق في دائرة القطب الشمالي."

جون دايسون

قد يكون الصفح أكثر أشكال الثأر تفنناً.

ك.د.

مَوْعدٌ مَعَ العام ٢٠٠٠؟

هاتف في السيارة وجهاز اتصال في الجيب
وداعاً يا مكاتب!

اننا نعيش أزمنة خطيرة. لم يسبق أن توافرت تسهيلات حياتية كثيرة كما اليوم. لنأخذ هاتف السيارة على سبيل المثال: يا له من نعمة للجنس البشري! أو... هل هذا صحيح؟

يسهل هاتف السيارة العمل من داخلها. إنما مع زيادة امكان العمل من داخل السيارة سيزداد لجوء الناس الى سياراتهم. ومع ازدياد عدد السيارات يبطىء السير وتزداد الحاجة الى الهاتف في السيارات. فإذ نعلق في ازدحام السير نستطيع بضغط بعض الازرار الاتصال بمكتبنا لنعلم من هناك بأننا سنتأخر عن اجتماع بسبب الزحمة.

وسيحين وقت لا يضطر أحد الى الوصول الى مركز عمله. فتدار الشركات من الطرق العامة والجانبية وتخلو الابنية الفسيحة الا من شركات انتاج هواتف السيارات.

ولكن هناك تهديدات تكنولوجية أخرى، منها أجهزة الإخطار الشخصية وأجهزة الاتصال الثنائية اللاسلكية. ولا أنسى ذلك الرجل الذي شاهدته في ردهة فندق في نيويورك يتحدث الى جيب معطفه بهدوء وإصرار شديدين. كان يكرر: "أنا هنا. أنا هنا." ظننته مجنوناً كمعظم الناس الذين تصادفهم في نيويورك، ولكن تبين لي لاحقاً أنه رئيس جهاز أمن الفندق.

من جهة أخرى، لننظر الى الناحية الايجابية. لنفترض أن هذه التكنولوجيا الحديثة ستخفف عنا

Copyright © 1986 by Michael Palin / Sunday Telegraph Magazine. Condensed from Sunday Telegraph Magazine (August 21, '86), London. Illustration: Lisa Goldrick

مهماتنا المملة والمتكررة. اذاً كيف سنمضي أوقاتنا؟

سنعمد الى المشي أو نذهب الى النوادي الرياضية. في هذه الايام ترى الاشخاص الذين لم يعودوا في حاجة الى رفع إبر الفونوغراف يصطفون في طوابير لرفع الاثقال واستعمال معدات التمرين المتطورة. سيتوافر لنا الوقت للحب بالطبع، ولكن آنذاك قد يقاطعنا جهاز الإخطار الشخصي في أي دقيقة.

وهناك دائماً وقت للطعام والشراب، ولكن يبدو أن هذين غائبان عن لوائح الحمية المستقبلية القليلة الدهن والقائمة على التكنولوجيا المتطورة. ما اعتدنا اعتباره طعاماً جيداً أصبح الآن من المحرمات. الحليب والبيض والزبدة والسكر، تلك الوجبة اليومية في طفولتنا، تحولت سموماً داخل شراييننا المرهقة تسد مجاريها. كما أصبح اللحم الطازج ذكرى من الماضي بعد غزوة اللحوم المبردة.

ماذا تبقى لنا؟ السمك، والدجاج المسلوخ، والبسكويت "الخفيف" الذي لا يتميز بطعم، و"الطبخ الحديث" الذي يقدم لقمات صغيرة من قلوب السماني المسلوقة أو أكباد الوروار.

ولكن يتراءى أمل ضئيل في البعيد، اذ تروج أحاديث عن العودة الى وجبات أسلافنا، ويرتكز هذا الطعام الموعود، كما يقال، على البندق والتوت. لنقرن هذا مع رواج رياضة المشي والعدو، ماذا نجد؟ سلالة تركض وتأكل البندق. ومع حلول السنة ٢٠٥٠ نكون جميعاً عدنا الى الاشجار فيما تمشي سياراتنا تلقائياً متصلة بعضها ببعض بواسطة الهاتف.

مايكل بالين

أسئلة وجيهة

لماذا الواصلون الى المسرح متأخرين يحظون دائماً بمقاعد في وسط الصف؟
لماذا يعتاد الناس اقتراف الرذائل أكثر مما يعتادون إتيان الفضائل؟
كيف يعرف المستمعون دائماً متى يتعين على الخطيب ختم كلمته فيما هو نادراً ما يعرف؟
لماذا تُتبع عبارة "هذا ليس من شأني" بكلمة "ولكن"؟

س. س.

صدق المنجِّمون!

تسلم رجل رسالة لا تحمل الا اسمه، واسم العمارة المغمورة حيث شقته، واسم المدينة. وقرأ على الغلاف بخط أسود غليظ هذه الملاحظة من مصلحة البريد: "لا عنوان! لا رمز بريدي! ألَسنا ماهرين حقاً؟"

م.ك.

ان التقدم الكبير
في جراحة زرع القرنية
يعيد البصر
الى ألوف الناس سنوياً

نعمةُ النظرْ

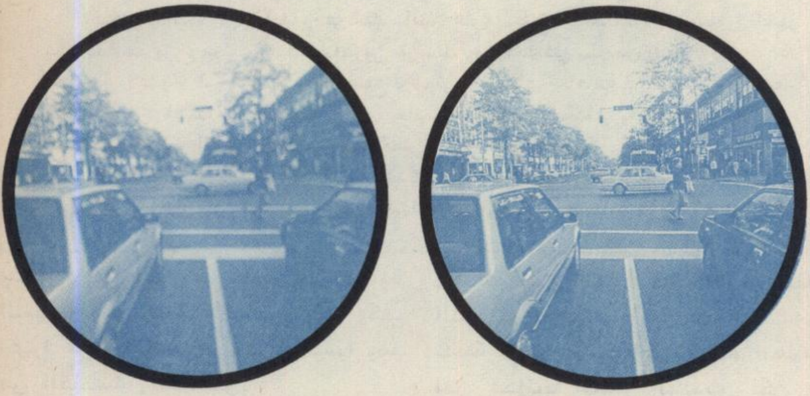

منظر في طريق، وكيف يمكن أن يبدو لشخص يعاني خللاً في قرنيته (الى اليسار).

عاش جون ماغير منذ طفولته على شفا العمى. ففي السن السادسة أتلفت عينه اليسرى بحبة خردق طائشة من بندقية فأبدلت بعين اصطناعية بعد سنة من الحادث.

في الاربعينات من عمره بدأ يرى بعينه الصحيحة هالات حول الاضواء، وهذه أولى اشارات الاصابة بالزَرق (غلوكوما) أي تجمّع السائل وارتفاع الضغط في حدقة العين مما قد يؤذي العصب البصري ويؤدي الى العمى. وعولج بتقطير دواء في عينه، وتم ضبط الزرق.

ثم ما لبث ماغير أن أصيب بالسُّد، أي إعتام عدسة العين، فبات يرى الاشياء مغشاة رمادية. وأجريت له جراحة.

في أواسط الخمسينات من عمره بدأ نظره يشح، لكنه في بادىء الامر لم يطلع أحداً على حاله، حتى زوجته، فهو لم يرد أن يزعج أحداً ولا أن يكون موضع اهتمام زائد. وأخذ يتعثر بالصناديق في مخزنه،

© 1987 by Paula Patyk Spencer. Condensed from 50 Plus (June '87), New York, N.Y.
Photo: Mario Mercado

«رأيتُ وجهَ أمي»

"قبل سنوات ثلاث اكتشف طبيبي أني مصاب بتقوس القرنية (keratoconos) فوصف لي عدسات لاصقة قاسية كعلاج ناجع ووحيد لهذه الحالة.

"لكن العدسات لم تناسبني، ومع الوقت أحدثت في عيني اليسرى تقرحاً. وتعطلت العين وبدأت أعيش معاناة حقيقية، فمن يدري متى تنحو العين اليمنى منحى شقيقتها ويصيبها ما أصابها؟ فضاقني الهم وأخلدت الى الشجون، وكنت تراني ساهماً، مكروب النفس، قلق الخاطر، أطلب الشفاء وأبحث عن مرافىء السكينة.

"وكنت إذذاك في إسبانيا، فعرضت حالتي على الاطباء، فاختلفوا في شأني. أشار علي بعضهم بزرع قرنية، وتحفّظ آخرون عن ذلك. وغرقت في بحر من الحيرة لا قرار له. فصعوبة الاختيار في مثل هذا الموضوع تركتني في دوامة عاصفة من التفكير. وبقيت متردداً بين الاقدام والاحجام، حتى قادني التفكير وسداد رأي بعض الاطباء وتشجيعهم الى القبول بإجراء الجراحة.

"وجاء الفرج، إذ استدعيت الى المستشفى قبيل نهاية العام ١٩٨٧. وأبلغتني مسؤولة في نادي "ليونيس" الرابية (لبنان) بتوافر بضع قرنيات في "بنك العيون"

وتطور الامر فلم يعد قادراً على قيادة السيارة وجزّ العشب أمام منزله. وكفّ أخيراً عن القراءة، ثم تقاعد قسراً وهو في الخامسة والخمسين.

ظل ماغير طوال خمس عشرة سنة يرى العالم كمن ينظر من خلال نافذة ملطخة بالشحم. ولم يتمكن الاطباء من تحديد سبب تلف قرنيته. كان قادراً على التمييز بين النور والظلام، لكن الصور بقيت مغشاة بطبقات ثلاثية. وكان نظره أضعف عشر مرات من النظر العادي، أي أنه يرى من مسافة ٦ أمتار مثلما يرى شخص عادي من مسافة ٦٠ متراً، بحيث يصح اعتباره أعمى بمقتضى القانون.

قرص النور – ماغير هو الآن في الحادية والسبعين من عمره. وهو كان سيبقى مكفوفاً مدى الحياة لولا التقدم المثير الذي أحرزته جراحة زرع القرنية، اذ تعدّت نسبة نجاحها تسعين في المئة. انها حقاً لمن عجائب العصر الحديث. لكن هذا الانجاز لم يحظ بالدعاية الواسعة التي نالتها جراحة زرع القلب ونداءات التبرع بالكبد والكلى.

القرنية هي الواجهة الشفافة للعين، ويجب أن تكون نقية كالبلور لكي يكون النظر جيداً، لانها النافذة الواقية التي يدخل منها الضوء العدسة ومنها الى الشبكية. وهي أشد أعضاء الجسم حساسية، لذلك تطرف عينك ويسيل دمعك عندما تدخلها ذرة من تراب. والقرنية تختص بمرونة رائعة وقدرة على التجدد، اذ عندما تتلف طبقة الخلايا الامامية (بفعل استعمال العدسات

الذي أسسه النادي، وأن هيئة بنك العيون درست حالتي وقررت منحي قرنية. فقبلت المنحة شاكراً ممتناً.

"وفي غرفة العمليات استعد الفريق الطبي لاجراء الجراحة. وفي دقائق عابرة نزعت قرنيتي البالية وزرعت مكانها قرنية وهبها مجهول، رحمة الله عليه. وأفقت على صوت أمي يهتز ويرتعش، وعيناي مغمضتان تسبحان في سواد. وبقيت أياماً في ليلي الدامس أرقب اندلاع النور وسط الظلمات.

"ولما فتحت عيني المصابة رأيت وجه أمي. كما رأيت وجوه القوم حولي تتألق غبطة وتفترّ بشراً. ومنذ اللحظة الاولى أحسست بتحسن نظري، فحمداً لله.

"وها قد انقضت ستة أشهر على اجراء الجراحة، والقرنية الجديدة داخل العين آخذة بالالتئام والالتحام، وقد غدوت فرداً من أسرة العين السعيدة. ووضع عيني اليسرى الآن أفضل كثيراً مما كان، وليس أدلّ على ذلك من أنني أسطر هذه الكلمات، وقد كنت من قبل لا أقدر على الكتابة إذ كان الحبر يتلاشى ويغور في أحضان الورق فأكاد لا أراه.

"ولئن تكن النتائج النهائية لهذه الجراحة تحتاج الى بعض الوقت، فانها أدت قسطاً كبيراً من دورها فأزاحت عني عبئاً ثقيلا كنت أنوء به طوال الايام السالفة.

"وإني أملك أملاً بعيداً كالفجر، وسيفيض النور غامراً باذن الله.

أحمد شفيق دمج - برجا، لبنان"

نُشر باذن من بنك العيون في نادي "ليونيس" الرابية، لبنان.

اللاصقة لمدة طويلة مثلاً) تنمو الخلايا مجدداً.

ولكن هناك بعض اضطرابات، كالجروح والامراض والحروق الكيميائية والعلل الخلقية، ربما أتلفت القرنية بكاملها وعلى نحو دائم، مما يحول دون وصول الضوء الى الشبكية فتسد الرؤية. وهذه هي الحالة التي يجدي فيها زرع قرنية.

أثناء العملية ينتزع الجراح قرصاً صغيراً من القرنية المصابة بقطر ١٥ مليمتراً ويزرع مكانه قرصاً مماثلا من الواهب المتوفى. هناك طريقتان أساسيتان للزرع: الترميم النافذ للقرنية(١) وهو الأكثر شيوعاً حيث تبدل القرنية بكامل سماكتها، والترميم الرقائقي(٢) وهو تقنية جديدة تعتمد ابدال جزء من سماكة القرنية.

جراحة خارقة - ان أفضل المرشحين لزرع القرنية هم أولئك المصابون بغشاوة أو ندب أو تشوه في قرنيتهم، على أن يكونوا سالمين من الزَرَق أو أي علة في العصب البصري أو الشبكية. يقول الدكتور جاي كراخمر أستاذ طب العيون في كلية الطب بجامعة أيوا: "اذا كان العصب البصري أو الشبكية غير طبيعيين، وإن تكن القرنية في حال جيدة، فان النظر سيبقى غير سليم."

وتضيف الدكتورة ديبورا سنديل من جامعة تنيسي في شاتانوغا التي أجرت الجراحة لماغير: "ليس ضرورياً أن يكون المرء أعمى بمقتضى القانون كي تجرى له جراحة زرع القرنية، وان يكن نظر أكثرية

(١) Penetrating keratoplasty

(٢) Lamellar keratoplasty

المرشحين أضعف عشر مرات أو أكثر من النظر العادي." وقد راوحت أعمار الذين زرعت لهم قرنية بين تسعة أيام ومئة وعامين.

ويمكن اجراء الجراحة من دون الاقامة في المستشفى وبتخدير موضعي أو عمومي. يعمل الطبيب من خلال مجهر ذي قوة عالية. فيعلّم القسم المصاب بواسطة آلة قص أسطوانية، ثم يقص النسيج المعلَّم تاركاً فتحة مكانه. تقطع دائرة أكبر من قرنية المتبرع وتثبت في الفتحة ثم يخيطها الجراح بخيط نايلون أرفع من شعر الانسان. (تنزع القطب المثبتة بعد خمسة أشهر وتبقى الخيوط الاخرى لمدة سنة أو أكثر).

بعض المرضى يبصرون في اليوم الذي يلي ازالة الضمادات، لكن النظر يستعيد كامل قوته تدريجاً. وقد يضع المرضى نظارات أو عدسات لاصقة لتحسين الرؤية خلال فترة الشفاء الطويلة، وقد يحتاج بعضهم الى نظارات تصحيحية.

النظرة الاولى – تعزى الموجة العارمة لجراحات زرع القرنية الى أربعة عوامل:

أولاً، تقنيات الجراحة المتطورة والمجاهر الاكثر قوة. ثانياً، التقدم في مقاومة نبذ جهاز المناعة في الجسم للانسجة المزروعة. ثالثاً، تحسين طرق حفظ الانسجة الموهوبة، اذ بات يمكن حفظها سالمة لمدة أسبوعين. رابعاً، ازدياد النجاح في الحصول على القرنيات.

ولكن على رغم هذا التقدم لا يزال هناك نقص في عدد الواهبين.

يقول جون ماغير متذكراً لحظة نزع الضمادة عن عينه: "رأيت كل شخص في الغرفة!"

في بادىء الامر وضع نظارات لكي تساعد القرنية على تركيز الرؤية. وبعدما تقدم في الشفاء أعطي عدسات لاصقة خاصة تخترقها الغازات، فزادت نظره دقة. وهو يقول: "صُدمت حين أبصرت ما كان يفوتني."

تجهل عائلة ماغير اسم واهب قرنيته. لكن زوجته تقول: "لولاه لبقي جون أعمى طوال حياته. الكلمات لا تكفي للتعبير عن امتناني. اننا نشكر الله كل يوم على نعمة النظر التي أسبغها على جون."

بولا باتيك سبنسر

نور الموسيقى

كان بول توبياس يؤدي عزفاً منفرداً على الفيولونسيل ضمن فرقة "جويار تشامبر" النيويوركية في ريو دي جانيرو عندما انقطع التيار الكهربائي وعم الظلام مسرح "سيسيليا مايرلس." فحافظ توبياس على هدوئه وظل يعزف أمام الجمهور المحتشد. ووسط بهجة محبي الموسيقى راح يرتجل مستلهماً قطعة موسيقية لتشايكوفسكي. وفي نهاية الحفلة صفق له الجمهور وقوفاً وحمله على العودة الى المسرح مراراً، للتحية.

ف.س.ب.

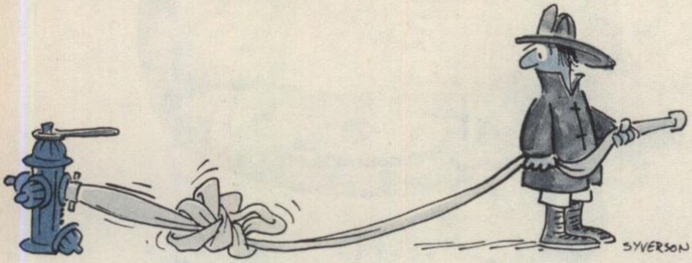

□ لا شيء يستطيع مقاومة هجمة الضحك.

مارك توين، كاتب أمريكي

□ من السطحية أن نحيا من أجل هدف مستقبلي فقط، فسفوح الجبال هي دعامة الحياة، لا قممها.

ر.ب.

□ الاستعداد التام يصنع الحظوظ.

ج.ب.

□ اوّل صباح من أسبوع العمل هو أفضل علاج للأرق.

س.ك.

□ ما زال عمل الفرد الشرارة التي تدفع البشرية الى الامام.

أ.س.

□ أعتقد أن الزواج يجب أن يكون قاسياً وجديداً وغريباً، فيجعلك تكسر قوقعتك وتنطلق في عالم آخر وأكبر.

آن مورو ليندبرغ، كاتبة أمريكية

□ ليس أسوأ من أن تكون نشيطاً ولا عمل لديك.

أ.ل.

□ قد نجتاز الحياة بقلة أدب، لكن حسن الأدب يسهّلها.

ليليان غيش، ممثلة أمريكية

جوهر الزواج الناجح

يسمو فوق الرومنسية والاعجاب ليصبح أساس شراكة ثابتة

ليسِ الاحترام بنداً ضمن عهود الزواج، ولا تعلِّم الكتب طرق ممارسته. ومع ذلك فهو محور الزواج السعيد المتين.

أجل، الاحترام. قد يبدو كلمة غريبة ورسميّة هذه الايام. لكنه شعور يتحدث عنه أزواج ناجحون باقتناع مؤثر.

في كتابها "الازواج الصامدون في عصر الطلاق" (★) قابلت المؤلفة فرنسين كلاغسبرن ٨٧ زوجاً ونساءهم اقترنوا قبل ١٥ عاماً أو أكثر. كانت تأمل تحديد العوامل التي ساعدت في ديمومة هذه الزيجات ونجاحها في وقت انتهى كثير غيرها الى الطلاق. فاتضح أن الاحترام هو العنصر الفاعل. وتقول كلاغسبرن إن غالبية من قابلتهم أجابوا: "أنا أحترمه" أو "أنا أحترمها."

ما هذا الذي يسمونه احتراماً؟

انه يختلف عن الاعجاب. وتذكر الدكتورة الكسندرا سيموندز أستاذة الطب النفسي العيادي في كلية الطب

(★) Married People: Staying Together in the Age of Divorce.

Condensed from McCall's (April '86), © 1986 by The McCall Publising Co., New York, N.Y. Illustration: Alan Daniels

بجامعة نيويورك: "عندما تقع في الغرام تُعجب بالفريق الآخر. تنبهر به كما ينبهر طفل بوالده."

ينمو هذا الاعجاب الرومنسي معتمداً الوهم أن الشخص الآخر "مثالي لك." لذا لا يدوم طويلا. وتفسر فرنسين كلاغسبرن السبب: "بعد حين تجد أن من تزوجت لا يتطابق مع توقعاتك تماماً. فهناك تباين في الشخصية وفي التصرفات وفي وجهات الحياة."

يمكنك أن تحاول تغيير الشريك ليقرب من المثال الذي نسجته مخيلتك. إنما من أجل ديمومة زواجكما وازدهاره عليكما "الاتفاق على الاختلاف." إقبل بتضارب الآراء وتعلم افساح المجال للفريق الآخر للتعبير عن ذاته. بسلوكك هذه الطريق تبدأ تنمية احترام متبادل. فالاحترام بين الانداد واقع يُلمس.

تروي الدكتورة سيموندز: "يهوى زوج إحدى مريضاتي الرياضة، وخصوصاً كرة المضرب، أما هي فتفضل الذهاب الى مسرح أو المكوث في المنزل للمطالعة. يمكنها أن تقول ببساطة: "أذواقنا مختلفة،" لكنها بدل ذلك تقول: "كيف يمكنه أن يبدد الوقت والمال بتلك الطريقة؟" انها تحبطه وتحط من قدره."

هذا الاستخفاف الكلامي هو المظهر الاوضح والسلاح الرئيسي لفقدان الاحترام، أو الازدراء. وتضيف سيموندز: "الازدراء هو أسوأ الاحاسيس، إذ يُشعر الشخص الآخر بعدم قيمته."

لقد صادفنا عدة زيجات يتعرض فيها أحد الفريقين أو كلاهما لشريكه بقسوة متحججاً بأن "ذلك من أجل مصلحتك." لا تُرعى "المصلحة" بهذه النبرة العدائية. تتذمر الزوجة باستمرار طالبة من زوجها مزيداً من الطموح، فتشعره بالاخفاق لأنه يفضل العمل الحرفي أو الوظيفة على الاعمال التنافسية الحرة. أو يتهم الزوج امرأته بإضاعة الوقت مع صديقاتها: "لمَ لا تقومين بعمل مثمر؟"

في الزيجات الناجحة يعزز كل من الزوجين احترام الذات في الآخر. قد يظهر أحدهما جهلا ظريفاً للأمور المفضلة عند الآخر، لكنه لا يشعره بالغباء أبداً. وتتحدث الدكتورة ألكسندرا سيموندز عن زوجها مارتن الجراح والطبيب النفساني: "يفضل مارتي تمضية يوم عطلة مشمس في القبو حيث يمارس هواية النجارة."

هناك ولع في هذا التعبير ودعم متين لحقّ الآخر في التصرف على هواه. ويمكن التعبير عن الاحترام بعبارات مثل: "لا أود الذهاب الى الحفلة الموسيقية، ولكن تمتّع بها ما أمكن." أو: "طبعاً سآتي معك، ولكن لا تحنق إن استغرقت في النوم."

الاحترام إذاً هو تقدير "انفصالية" الآخر والاساليب التي تميزه. ويستغرق اكتشاف هذه الامور وتقبلها وقتاً طويلا. ولهذا السبب يُعتبر الاحترام ميزة النضج في الزواج لا ميزة الغرام المتأجج الاول. لكن هذا لا يعني أن الازواج الذين يتبادلون الاحترام يعتمدون قاعدة "إتبع طريقك وأنا سأتبع طريقي". بل على العكس تماماً، الاحترام هو "ما يشدكما ويساعد كلا منكما على التعلم من الآخر وقبول وجهة نظره وجعلها جزءاً منك،" كما ترى كلاغسبرن.

أنـا وزوجي من عالمين مختلفين وجيلين مختلفين. فهو أوروبي عايش الحرب العالمية الثانية ويكبرني بـ١٨ عاماً. لذا نصطدم في بعض الاحيان. لكننا اكتسبنا احتراماً متبادلا على رغم بعض التضاربات التي أزعجتنا كثيراً في السابق. والنتيجة أننا أصبحنا أكثر تشابهاً. لقد اقتبست نزعته الى اتخاذ مواقف صلبة من أمور الحياة، واقتبس هو بعضاً من تسامحي مع الآخرين. وازداد إعجابي وتقديري لموسيقى الجاز، وبات هو يستمع الى ضجيج الـ"روك - اند - رول."

تلك هي مفارقة الزواج النـاجح: بالاحترام فقط تشقان الطريق نحو التغيير. ويكمن المعنى الراسخ للاحترام في كلمة "التطلع." فالاحترام نظرة واضحة ولكن بعين محبّة، ترى الواقع كما هو لكنها ترى أيضاً ما يُحتمل أن يكون وتحاول جعله مثمراً. الاحترام هو فن الحب الذي يكرِّم به كل زوج الصفات الفريدة والفضلى في زوجه.

آني غوتليب

سكرتيرة جائعة

قبيل وقت الغداء خرج المدير من مكتبه وناول السكرتيرة حزمة من الاوراق. فقطبت هذه حاجبيها وبدأت تضرب بعنف على آلتها الكاتبة.

فقال لها المدير: "رويدك يا آنسة، فالعمل الشاق ما قتل انساناً قط."

فردت السكرتيرة: "ربما كان ذلك صحيحاً، لكن الجوع قاتل."

ب.ف.

المرأة الأخرى.

قالت الابنة لأمها المطلقة: "أمس أحضر أبي امرأة الى البيت."

فصاحب الام: "هل بلغت به القحّة أن يسكنك في ذلك الجو القذر؟"

فردت الابنة: "هذا ما قالته المرأة ايضاً لأبي، وهي انصرفت من غير أن تنظف النوافذ!"

ر.د.

غداء الجمعية

كان أحد زملائنا في العمل يأتي بطعامه المطبوخ من البيت فيما نطلب نحن طعام الغداء من المطعم المجاور. وكثيراً ما استغفلناه واستولينا على غدائه.

وذات يوم اغتنمنا فرصة انشغاله ففتحنا علبة زاده بلهفة. ولشد ما كانت دهشتنا عندما وجدنا في العلبة الفارغة بطاقة كتب عليها: "آسف أيها الاصدقاء، زوجتي مسافرة."

م.س.ف.

رامانوجان عبقري سبق زمانه

الفقر والعزلة لم يحدّا عبقريته فوضع نظريات أذهلت علماء الرياضيات الى اليوم

كان ج. هاردي منزعجاً. فعالِم الرياضيات الشهير هذا في جامعة كمبردج تلقى لتوّه رسالة من هندي يدعى سرينيفاسا رامانوجان يطلب فيها رأيه في مئة وعشرين نظرية رياضية قال إنه اكتشفها. ولقد اعتاد هاردي أن يتلقى في انتظام رسائل مماثلة من مهووسين يدّعون حل أنواع شتى من المسائل الرياضية. والرسالة تلك لم تبدُ مختلفة عن سواها، فرماها هاردي بنظرة اشمئزاز.

كانت بين النظريات المعروضة واحدة أو اثنتان معروفتان من قبل، أما معظم النظريات الباقية فكانت غير مفهومة وأحياناً غير معقولة. فقال هاردي في نفسه: لا بد ان يكون رامانوجان دجّالا مخادعاً. وألقى بالرسالة جانباً.

إلا أن الرسالة ظلّت تراود خياله طوال ذلك النهار. ترى ماذا يشده الى تلك النظريات الغريبة العجيبة؟ في المساء استدعى ج. لتلوود، وهو عالم رياضيات لامع آخر في جامعة كمبردج، وأكبّ الاثنان على تقويم عمل ذلك الهندي.

ما ان انتصف الليل حتى تجلّت أمامهما الحقيقة: ان سرينيفاسا رامانوجان نابغة عبقري. وشرح هاردي الامر لاحقاً بقوله ان تلك النظريات الغريبة لا بد من أن تكون صحيحة لأنه "لا يمكن أحداً أن يملك الخيال لاختراعها. وعلماء الرياضيات العظام هم أكثر عدداً من اللصوص أو الدجالين الذين يتمتعون بمهارات كهذه."

هذا الحادث في يناير (كانون الثاني) ١٩١٣ شكل نقطة تحوّل في تاريخ

الرياضيات. كان رامانوجان آنذاك كاتباً مغموراً في احدى شركات مدراس بالهند. وبعد أقل من سنة دخل جامعة كبردج، وبدأ العالَم يعترف به واحداً من أكثر علماء الرياضيات إدهاشاً. ومع أنه توفي في العام ١٩٢٠، فقد ظل جزء كبير من أعماله سابقاً لعصره الى درجة أن بعضه لم يُفهم كما ينبغي إلا في السنوات الأخيرة. والواقع أن النتائج التي توصل اليها تساهم حالياً في حل بعض معضلات علم الادمغة الالكترونية والفيزياء، وهما حقلان لم يكن يملك أي فكرة، وإن غامضة، عنهما.

والى ذلك، لرامانوجان عند الهنود أهمية خاصة. يقول الدكتور س.س. رانغاشاري من مدرسة الرياضيات في معهد تاتا للأبحاث الاساسية في بومباي: "قبل رامانوجان لم تكن الهند انتجت عالم رياضيات من الدرجة الاولى منذ مئات السنين. إلا أن أعماله ألهمت عدداً كبيراً من الهنود اتخاذ الرياضيات مهنة. وهو أشاع بيننا شعوراً بالثقة بالنفس، ومنذئذ عرفت الهند عدداً كبيراً من علماء الرياضيات ذوي الوزن العالمي."

رياضي منذ الطفولة - يقع قسم كبير من أعمال رامانوجان ضمن نطاق "نظرية الاعداد" (١) وهي فرع من الرياضيات يبحث في القواعد الدقيقة والعلاقات التي تنظم الاعداد. ويصف علماء الرياضيات النتائج التي توصّل اليها بأنها "أنيقة" و"جميلة" غير أنها أكثر تعقيداً من أن يقدرها الشخص العادي. أما حياته الخاصة فمسألة أخرى. فهي مليئة بالمآسي والمحن ومنٍ أكثر قصص الرياضيات رومنسية، وتُذكّر بأن النبوغ يقدر أن يبرز ويزدهر حتى في أقل الظروف وعداً بالنجاح.

رامانوجان الذي مضت على ولادته ١٠٠ سنة سليل عائلة فقيرة تنتمي الى طبقة "البراهمة أيانغار" الرفيعة المستوى. وكان والده كوبوسوامي محاسباً ذا أجر متدن يعمل عند تاجر أقمشة في كومباكونام، ووالدته كومالاتامال تؤجر غرفاً في بيتها دعماً لموارد العائلة.

ومثل كثير من الموهوبين والعباقرة كان رامانوجان بكر أبويه.

ظهر اهتمام رامانوجان بالرياضيات في سن مبكرة جدا. ومن الامور التي أثارت فضوله، وهو طفل، أشكال النجوم والمسافات بينها، وهو حسب قطر الارض عند خط الاستواء وحده من دون مساعدة أحد. واقراراً بمواهبه كان معلموه يكلفونه إعداد برامج الدروس.

والى الارقام شغف رامانوجان بالكتابات القديمة، واستظهر مقاطع طويلة من الكتب السنسكريتية الكلاسيكية وكان يهوى تلاوتها.

انتاج غزير - في السن الخامسة عشرة استعار رامانوجان من مكتبة الكلية في بلدته كتاباً مدرسياً متقدماً في الرياضيات. لم يكن الكتاب جيداً، فهو عبارة عن فهرس لبعض النتائج من دون براهين شاملة، لكنه حمل اليه من السحر ما شكّل له دافعاً الى الانطلاق في أعماله الخلّاقة.

(١) Number Theory

في العام ١٩٠٣ جاء ترتيب رامانوجان الأول في امتحان التخرّج في مدرسته وحاز منحة جامعية. لكن انشغاله التام بالرياضيات أعاق تحصيله في المواضيع الاخرى، فرسب مرتين في الامتحانات الجامعية.

عرف رامانوجان في الجامعة أتعس سنوات عمره. وكان والداه رزقا طفلين آخرين فصارت العائلة في وضع مالي حرج لم تعرف مثله من قبل.

وعندما أصرّ والداه اللذان ساءهما فشله في الجامعة، على أن يجني بعض المال بدأ يعطي دروساً خاصة في الرياضيات. لكنه كان معلّماً ضعيفاً يشرح أموراً فوق مستوى الطلاب وادراكهم، وهم سرعان ما انقطعوا عن المجيء اليه.

كان عزاء رامانوجان الوحيد في تلك الفترة عمله في الرياضيات. لكنه لم يكن يجد من يفهم أعماله، وقد قطع فيها شوطاً متخطياً جميع الكتب المدرسية المتوافرة في كومباكونام. كان رأسه يعج بالافكار فيكبّ على دراستها على نحو محموم، وأحياناً يختبىء تحت السرير تجنباً لغضب والديه.

وأملا في إعادته الى أرض الواقع، زوَّجه والداه في العام ١٩٠٩ عروساً تدعى جاناكيامال لم تكن جاوزت العاشرة من عمرها، وهي لذلك لم تكن تأتي الى كومباكونام الا في المناسبات. والواقع أن الزوجين لم يمضيا معاً سوى ثلاث سنوات من أصل إحدى عشرة سنة زواجاً.

في غضون ذلك، وتحت الحاح الحاجة الى العمل، قصد رامانوجان أشخاصاً مهتمين بالرياضيات طالباً المساعدة. وكانت تلك خطوة حكيمة من جانبه. ولشدة اعجاب رامشندرا راو، وهو جابي نولور الذي أصبح في ما بعد رئيس "الجمعية الهندية للرياضيات"، بما رآه مدوناً في دفاتره (على رغم عدم فهمه اياه) عرض أن يدفع له راتباً شهرياً.

قبل رامانوجان العرض، الا أنه شعر بالذل وأبى أن يعيش على الاحسان واستمر يبحث عن عمل. أخيراً، في شهر مارس (آذار) ١٩١٢ وبفضل المدير الذي كان عالم رياضيات هاوياً، حصل رامانوجان على وظيفة مكتبية في شركة المرفأ في مدراس. لم يكن العمل يدر عليه مالا وفيراً (٢٥ روبية في الشهر) أو يسمح له بشراء ما يحتاج اليه من ورق، فاضطر الى تدوين معادلاته على ورق التغليف المرمي في سلال المهملات. وعلى رغم فقره تميزت تلك الفترة من حياته بغزارة الانتاج، وكان عمله يستغرقه كلياً حتى انه كان ينسى أن يخلد الى النوم أو أن يأكل. وكانت زوجته وأمه تطعمانه، وهو يعمل، كي يستطيع الاستمرار في الكتابة.

حلم الأم – في تلك الاثناء نشرت بعض أعمال رامانوجان في مجلة "الجمعية الهندية للرياضيات" وأصبح وجوده مألوفاً في الاوساط التي تعنى بالرياضيات في مدراس. وهو كان بقامته القصيرة الممتلئة ورأسه الكبير وعينيه اللامعتين الثاقبتين وشعره الطويل المربوط الى الوراء تمشياً مع العادات البراهمية، يخلّف انطباعاً قوياً في أنفس كل من يلتقيهم. على أن الهند كانت في ذلك

الوقت في حال ركود ولم يكن فيها أحد جديراً بأن يقوِّم عمل رامانوجان أو يمدّه بالحافز الذهني الضروري، فألح عليه أصدقاؤه لكي يرسل أعماله الى بريطانيا التي كانت آنذاك أحد أهم مراكز الابحاث الرياضية في العالم.

كتب رامانوجان ثلاث مرات الى علماء رياضيات بارزين، وتلقى ثلاث مرات إجابات مبهمة. ثم في ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٩١٣ كتب الى ج. هاردي الرسالة التي غيّرت مجرى حياته وأفضت الى مشاركة ذهنية خارقة.

حالما أدرك هاردي قيمة رامانوجان العلمية حضه على الحضور الى كمبردج والعمل فيها. الا أن والدته رفضت الفكرة رفضاً باتاً. فوفق العقيدة البراهمية التقليدية، كل من يعبر البحار يفقد مكانته الطبقية عندما يرجع وينبذه المجتمع. ثم انه تلقى في شهر مايو (أيار) ١٩١٣ منحة لاجراء أبحاث في جامعة مدراس، مدّتها سنتان وتدر عليه ٧٥ روبية (٦ دولارات) في الشهر. فبقي في الهند. وللمرة الاولى في حياته ارتفع رامانوجان فوق العوز المادي وأصبح حراً يصرف نهارهِ مفكراً في الرياضيات من دون أن تقضّه فكرة من أين يأتي بالمال ليعيل عائلته.

ومن المفارقات أن والدة رامانوجان كانت اول من كسر طوق التقاليد حوله. فهي أفاقت ذات يوم من نومها وأعلنت أنها رأت حلماً ظهر فيه ابنها جالساً في غرفة فسيحة يحوطه أناس أوروبيون، ثم سمعت صوتاً ينهاها عن الوقوف في طريق ابنها.

السرير الانكليزي – وصل رامانوجان الى جامعة كمبردج في ابريل (نيسان) ١٩١٤ قبل نشوب الحرب العالمية الاولى ببضعة أشهر. ولا تذكر السجلات شيئاً عن لقائه الاول وهاردي، إلا أنه ليس من رجلين أشدّ اختلافاً منهما. كان هاردي في السابعة والثلاثين من عمره آنذاك، ناحل الجسم، جميل الطلعة، يهوى لعبة "الكريكيت" وكان عقلانياً مشككاً. أما رامانوجان الممتلىء الجسم وعدو الرياضة فكان مؤمناً ورعاً. وهو قال ذات مرة: "ليس لأي معادلة معنى ما لم تكن تعبيراً عن حكمة الله سبحانه وتعالى."

ولم يكن تعاطي الرجلين الرياضيات أقل اختلافاً. هاردي عقلاني منهجي، ورامانوجان حدسي يدرك الامور بالبديهة ولا يهتم بإثبات نتائجه بدقّة وصرامة. ولأنه درس على نفسه كان يعاني نقصاً في المعلومات العائدة الى بعض النواحي الاساسية في الرياضيات الحديثة. وكان على هاردي أن يسد تلك الثغرات من دون أن يسيء الى ثقة رامانوجان بنفسه أو أن يُنضب إلهامه. وفي وقت لاحق قال هاردي: "لقد نجحت في ذلك، غير أنه من البيِّن أنني تعلّمت منه أكثر كثيراً مما تعلم هو مني." وخلال إقامة رامانوجان في بريطانيا، التي دامت خمس سنوات، شارك هاردي في انتاج أروع المقالات والابحاث في علم الرياضيات.

في كمبردج اشتُهر رامانوجان كعالم رياضيات. وقال هاردي ذات مرة: "كان يريني بضع نظريات جديدة كل يوم." ومع ذلك فانه لم يحبّ يوماً العيش في بريطانيا، وكان يكره طقسها البارد

الرطب الذي يختلف كثيراً عن طقس مدراس المشمس. والحقيقة أن لياليه الاولى في كمبردج كانت غير مريحة أبداً، وهو لم ينعم بليلة واحدة من النوم الهنيء إلا بعدما شرح له أحد أصدقائه الهنود طريقة ترتيب الأسرة في بلاد الانكليز وأخبره ان الحرامات توضع تحت الملاءة. وهو كان الى ذلك الحين يستلقي تحت غطاء السرير مرتجفاً ومرتدياً معطفه ومتدثراً بشاله!

عدد شائق - الطعام أيضاً كان مشكلة بالنسبة الى رامانوجان. فهو كان نباتياً متزمتاً يقتصر طعامه على البقول والحبوب والفاكهة، ولذا كان شديد الحرص على اختيار طعامه، يحضّره عادة بنفسه في غرفته. مرة كان ينزل في أحد فنادق لندن العائلية حيث قدم اليه شراب "أوفالتين." وبعدما فرغ من تناوله نظر الى العلبة وراعه أنَّ بين محتوياته مسحوق البيض. واتفق بعد بضع ساعات أن فاجأته غارة جوية وهو في الشارع، ومع أنه لم يصب بأذى فقد ظل مقتنعاً بأن ما حدث كان عقاباً من الله.

وفي ما عدا مثل تلك الهفوات غير المقصودة عاش رامانوجان في بريطانيا هندوسياً مستقيم الرأي. وهو خصص في شقته في الجامعة غرفة للصلاة يؤدي فيها فروضها في انتظام. ومع أنه كان يرتدي الزي الاوروبي عندما يخرج، فانه كان في غرفته يرتدي الزي الهندي المعروف ويضع شارة طبقية ويمشي حافي القدمين. وكان محبوباً بين الهنود في كمبردج وله بينهم أصدقاء يدعوهم في المناسبات الى تناول الطعام عنده. كان مضيفاً جيداً يحضر لزواره أصنافاً نباتية شهية ويرفّه عنهم بالاحاجي الرياضية السهلة.

أمضى رامانوجان في كمبردج ثلاث سنوات غزيرة الانتاج. وفي ربيع ١٩١٧ اعتلت صحته، واشتبه بأنه مصاب بالسل، لكن الراجح أنه كان يعاني نقصاً شديداً في الفيتامينات. ورأى الاطباء أن صحته قد تتحسن اذا ما عاد الى وطنه، لكن الحرب التي كانت دائرة آنذاك جعلت السفر محفوفاً بالمخاطر فظل في بريطانيا. وفي السنتين التاليتين دخل المستشفى غير مرة وراحت صحته تنهار تدرُّجاً انما من دون أن يؤثر ذلك في قدراته ومواهبه الرياضية. فمرة كان هاردي يعوده في المستشفى وراح يتحدث معه عن رقم السيارة التي أوصلته الى المستشفى.

قال هاردي: "كان الرقم ١٧٢٩، وبدا لي عدداً باهتاً."

فاعترض رامانوجان: "لا يا هاردي، لا. انه عدد ممتع وشائق جدا. فهو أصغر عدد يساوي مجموع عددين مكعّبين بطريقتين مختلفتين"(٢).

رياضي "معاصر" - مسألة أخرى غير المرض عذّبت رامانوجان في ذلك الوقت. فلقد تبيّن له أن جزءاً كبيرا من عمله في الهند كان مجرد إعادة اكتشاف لنظريات سبقه اليها علماء الرياضيات الاوروبيون. يا للسنوات الثمينة المهدرة! كل

(٢) الطريقة الاولى: ١٧٢٩ = (١٢×١٢×١٢) + (١×١×١). والطريقة الثانية: ١٧٢٩ = (٩×٩×٩) + (١٠×١٠×١٠).

انجازاته في بريطانيا لن تعوّض تلك الخسارة الفادحة. وتملكه حزن كبير واستبدت به الكآبة والشعور بالوحدة، فما كان منه إلا أن ألقى بنفسه أمام قطار مقبل، لكن القطار توقف قبل فوات الأوان. وقُبض على رامانوجان لكن هاردي أقنع الشرطة باطلاقه.

بعد ذلك بوقت قصير تلقى رامانوجان جائزتين فريدتين. ففي فبراير (شباط) ١٩١٨ انتخب عضوا في "الجمعية الملكية" وأصبح الهندي الثاني الذي يلقى هذا التكريم. وبعد بضعة أشهر أصبح أول هندي ينتخب عضواً في ادارة كلية "ترينيتي" بجامعة كمبردج.

في أواخر العام ١٩١٨ أبلّ رامانوجان جزئياً من مرضه، وفي فبراير (شباط) ١٩١٩ سافر الى وطنه بحراً وكان ضامراً، شديد الهزال.

استقبله بنو وطنه استقبال الابطال، ولكن لا الطقس الدافىء ولا طهو زوجته جناكي أفلحا في تحسين صحته. ومع أنه إستمر يكتب الى هاردي ولم ينقطع عن عمله في الرياضيات، فقد كان واضحاً أن النهاية دنت. وفي الصباح الباكر من ٢٦ ابريل (نيسان) ١٩٢٠ أسلم الروح.

خلّف رامانوجان ألوف النظريات غير المنشورة التي عثر عليها لاحقاً في دفاتره وعلى أوراق مبعثرة. وظل تراثه موضع اعجاب علماء الرياضيات. وذات مرة استعار الرياضي المجري (الهنغاري) اللامع جورج بوليا دفاتره من هاردي ثم أعادها اليه بعد يومين وهو في حال رعب. وشرح الامر قائلا ان نظريات رامانوجان استحوذت على تفكيره كلياً مما جعله يهمل عمله. وقد صرف علماء رياضيات آخرون سنوات طويلة محاولين حلّ نظرياته واثباتها، وكانت نتيجة جهودهم أن نشأت فروع جديدة من الاختصاصات.

والواقع أنه بعد انقضاء أكثر من ستين سنة على وفاة رامانوجان ما زالت بعض تبصراته واكتشافاته وثيقة الصلة بكثير من مسائل الرياضيات المعقدة الحديثة. ويقول الدكتور ريتشارد اسكي من جامعة وسكونسن الامريكية: "من المؤسف أن ولادة رامانوجان لم تتأخر مئة سنة. فرائع أن يكون بيننا عالم له بصيرته وبديهته."

أما الاستاذ فريمان ديسون من معهد الدراسات العليا في جامعة برنستون في نيوجرزي فيقول: "أحرص دائماً على قراءة الرسائل الواردة من أماكن غير معروفة والمدوّنة بخط لا يقرأ علّني أجد بينها واحدة من رامانوجان آخر."

ب. ساندرسان و ر. بادمافيجايام

قشة البعير

شوهد رجل في سيرك واقفاً قرب جمل مربوط. فجأة انحنى والتقط قشة ووضعها على ظهر الجمل ثم ابتعد متوقعاً حدوث شيء، فلما خاب ظنه همهم وهو يغادر السيرك: "هذه ليست القشة التي تقصم ظهر البعير!"

ب.غ.

عزيزتي آن لاندرز...

نصائح عملية من محررة بارزة لزاوية الاستشارات الشخصية

إن عملي الطويل في تحرير زاوية الاستشارات الشخصية في عدّة صحف علمني الكثير عن الدور الذي يؤديه المال في حياة الناس. فنصف المشاكل المالية ترد عليّ من قراء أقرضوا مالاً لصديق أو قريب. لنأخذ القصة الآتية مثلاً:

عزيزتنا آن لاندرز،

في السنة الماضية أقرضنا بعض الاصدقاء مالاً ورفضنا أن نتقاضى منهم أي فائدة، وهم تعهدوا دفع ٢٥ دولاراً كل شهر لتسديد المبلغ. استمروا في الدفع مدّة ثلاثة أشهر ثم توقفوا. وقد انقضت أربعة أشهر من دون أن نتلقى منهم حتى مكالمة هاتفية. يظهر أنهم يخجلون من مواجهتنا.

من المؤسف اننا فقدنا صداقتهم. كيف نتصرّف في المستقبل إزاء مثل ذلك الطلب؟

صديقان نادمان

عزيزيَّ النادمين،

لا تعقدا قروضاً شخصيّة. أقترح أن يكون القرض من مصرف وتوقعاه ككفيلين. قد تطاولكما المسؤولية بهذه الصفة، لكنكما ستكونان أوفر حظاً إذا ما صدر التذكير بالدفع عن مصرف وليس عن صديق.

هل أنا من مؤيدي قول شكسبير: "لا تكن دائناً ولا مديناً"؟ لا. فبعض الناس لا يتهربون من دفع ديونهم، والانسان الذي يمتنع عن مساعدة الآخرين أناني ولا معنى لحياته. أما الحلّ فيكمن في مدّ يد المساعدة، ولكن على أساس تعامل تعاقدي جدي. فالاتفاق المكتوب ينفع

Condensed from «Ann Landers Says: Truth Is Stranger...,»
copyright © 1988 by Ann Landers, published by Prentice-Hall, Inc., Englewood Cliffs, N.J.

جداً عندما تخون المرء ذاكرته أو تخبو حرارة عرفانه.

ثمة أمر آخر مثير للاهتمام يظهره البريد الذي أتلقاه. فقلّة المال ربما شكلت ضيقاً أو حرماناً، لكنها ليست سبباً للبؤس أو الحزن متى وُجدت موازنات متكافئة. وملايين الناس يكافحون ويجاهدون من أجل تغطية مصاريفهم الضروريّة، ويقومون بأود أنفسهم وعيالهم. قد يتذمرون أحياناً، ولكن ما يبقي على سلامتهم النفسيّة والجسديّة ويحول دون انهيارهم هو وجود عنصر بشري معوّض في حياتهم: زوج محبّ أو زوجة صالحة أو أولاد يحتاجون اليهم ويبادلونهم الحب.

من جهة أخرى، ترد علي رسائل من مئات النساء اللواتي يملكن بيوتاً جميلة وثياباً انيقة وموارد مالية غير محدودة، ومع ذلك هنّ مكتئبات هائمات لا يسيِّرهنّ هدف. ومنهن من لا تجد سبباً للاستمرار في الحياة على رغم سهولة عيشتها ويسرها المادي. هنا تكمن المشكلة في اعتقادي، فربما كانت حياتهن غاية في السهولة. وفي غياب هدف يكافح المرء لتحقيقه وتحديّات يتغلب عليها، تفقد الحياة نكهتها وتصبح من دون طعم.

وفي ما يأتي بضع رسائل متبادلة متعلّقة بمشاكل ماليّة نموذجية:

عزيزتي آن لاندرز،

بعد تخرّج ابننا في المدرسة الثانوية قبل سنتين، وكان عمره عشرين سنة، حصل على وظيفة قريبة من المنزل. ما زلت أغسل ثيابه وأحضّر له فطوراً صحيّا مغذّياً، ونادراً ما يفوّت وجبة العشاء في البيت. ألمحت اليه أنني قد أفيد من بعض المال (لدي أربعة أولاد آخرين يصغرونه) لكنه تجاهل الملاحظة.

هل تعتقدين أنه يجب عليّ أن أطلب منه بصراحة أن يدفع مالاً في مقابل طعامه وبقائه في البيت، أم أن ذلك يُعدّ جشعاً؟

أمّ

عزيزتي الأم،

اقترح أن يدفع لك ابنك ٢٥ في المئة من راتبه. هذه "معادلة آن لاندرز" المطبقة على الاولاد غير المتزوجين الذي يبقون في البيت ويتمتعون بجميع وسائل الراحة التي اعتادوها في طفولتهم وصباهم. لا تلمحي، بل قولي له ذلك صراحة!

عزيزتي آن لاندرز،

مضى على زواجنا ٣٢ سنة وعشنا معا سنوات جميلة. كان جورج يدير تجارة ناجحة ويجري استثمارات جيّدة ويتكفّل بجميع المصاريف ويخصني بمبلغ نقدي شهرياً. وإذا احتجت الى مال اضافي كان يدفعه من دون مناقشة، وأنا بدوري لم أعتد أن أطرح أسئلة.

ومنذ أسبوعين توفي جورج على أثر نزف دماغي وخلّف فوضى رهيبة. فالوصيّة عمرها عشر سنين. وقد أخبرني شريك سابق له أنه يملك أسهماً وسندات أودعها خزائن فولاذية في مصارف خارج المدينة. ونحن نفتش عنها الآن. نصيحتي الى الزوجات ألا يدعن ازواجهن "يحمونهنّ" مثلما فعل زوجي، وأن يطرحن عليهم السؤال: "إذا متّ غداً، فهل تظن أن شؤونك ستكون على ما تروم لها من ترتيب؟" ليتني أنا طرحت عليه هذا السؤال!

نرجسة

عزيزتي نرجسة،

ربما كانت قراءة رسالتك أهم ما تفعله ألوف الزوجات اليوم. فشكراً لك.

القول إن النساء مشوشات العقول في ما يتعلق بالامور المالية خرافة. ويتضح من الرسائل التي أتلقاها أن مشاكل الموازنة تعود غالباً الى غباوة الزوج في الامور الماليّة.

ترد علي أحياناً رسائل كتلك التي يقول فيها أحد الأزواج: "سوف ينتهي بنا الأمر الى مأوى المعوزين إذا استمرت زوجتي في شراء كل ما تقع عليه عيناها." غير ان رسائل الزوجات اللواتي يشتكين من أزواج مبذّرين تزيد على تلك التي أتلقاها من الأزواج الذين يرددون الشكوى نفسها. وصلتني مثلا رسالة كتبت فيها إحدى الزوجات: "اشترى زوجي دراجة نارية جديدة فيما لا نزال نسدّد فواتير الاطباء منذ الحادث الأخير الذي تعرّض له وهو يقود الدراجة السابقة."

عزيزتي آن لاندرز،

لا أوافقك الرأي على اجابتك تلك الام التي أرادت أن تستفهم عمّا إذا كانت تحق لأولادها زيادة في مصروف الجيب على أساس أن والدهم حاز ترقية في العمل وعلاوة على الراتب: كان جوابك: "نعم، هذا من حقهم، بشرط أن يؤدوا أعمالاً إضافية في البيت كي يستحقوا الزيادة."

أنا جد ولي أحفاد، وأعتقد أنه لأمر مخز أن ندفع لأولادنا أجر الاعمال التي من واجبهم أن يؤدوها. واجب على الأولاد أن يساعدوا في أشغال البيت لانهم يعيشون فيه ويأكلون.

ابن سبعين

عزيزي ابن السبعين،

مع الاسف، ولّت الايام حين كانٍ في وسعك أن تقول للولد: "هاك فلساً متع به نفسك." من الضروري أن يملك الاولاد قليلاً من المال للانفاق او للادخار. انا مع تعليمهم العلاقة بين العمل والمكافآت، وهذا ممكن تحقيقه على أحسن وجه إذا ما اوكلنا اليهم بعض الأعمال وأوضحنا لهم ان مخصصاتهم المالية هي في مقابل اسهامهم في اعمال البيت.

عزيزتي آن لاندرز،

لي صديقة عبقرية في الاحتيال للحصول على كميات صغيرة من المال. في الحافلة تقول لي: "إدفعي عني، فليست معي قطع نقود صغيرة (فكّة)، وسوف أدفع عنك في المرّة المقبلة." وعندما نخرج معاً لتناول فنجان قهوة أجد نفسي مكرهة على دفع الفاتورة، وهذا يحصل مرتين في الاسبوع على الاقل. أمس طلبت مني أن أجلب ساعة يدها من حانوت إصلاح الساعات متعمّدة عدم ذكر أجرته. أنا لا أودّ أن أبدو حقيرة وبخيلة، لكنني لست قادرة مالياً على تحمّل ذلك النصب، وإن كان تافهاً.

ميني المسكينة

عزيزتي ميني،

يجب التعاطي مع النصابين بمهارة. لا تدعي صديقتك تربكك. عندما تتناولان القهوة معاً لا تخجلي من القول: "إنه دورك. لقد دفعت أنا بالأمس." وعندما تطلب منك أن تجلبي لها أشياء من حانوت المصلّح لا تترددي في القول: "أظنّ أنه سيطلب أجراً. آسفة، لا أملك ذلك المبلغ."

عزيزتي آن لاندرز،

أحد زملائي في المكتب اصطحب فتاة الى حفلة خيرية ودفع دولارين ثمن ورقتي

يانصيب، وأعطى الفتاة احداهما. كانت الجائزة الكبرى ٢٠٠ دولار فربحتها الفتاة. وعندما تسلمت المبلغ ناولت الشاب دولاراً قائلة: "لا ريب في أن هذا هو يوم سعدي." فاستشاط الشاب غضباً. الزملاء في المكتب منقسمو الرأي حول هذا الموضوع. هل المبلغ كلّه من حق الشاب، أم نصفه أم لا شيء منه؟

مع الاحتفاظ بحكمي

عزيزي القاضي،

كان يجب الاتفاق سابقاً على اقتسام الربح. وتبدو لي المناصفة هنا تدبيراً معقولاً. والفتاة، باستئثارها، خسرت اكثر مما ربحت إذا كان الشاب يعنيها.

عزيزتي آن لاندرز،

قبل بضعة أشهر تعرّضت صديقة لي لانهيار عصبي، وعندما أخبرت زوجي بالأمر قال: "ماذا يقلقها؟ إنها تملك بيتاً جميلاً ولديها زوج لطيف وثلاثة أطفال رائعون، وفوق ذلك لا تعمل!" بالله عليك قولي لي شيئاً.

ناقمة

عزيزتي الناقمة،

ربّة المنزل اما أن تكون الأعلى أجراً في الدنيا وإما الأدنى أجراً. والأمر يتوقف على زوجها. فإن كان عديم الاحساس تكون الأقل أجراً. أما إذا كان صاحب ذوق وفهم فتكون زوجته الأعلى أجراً.

آن لاندرز

بعد عمر طويل...

بادر مندوب شركة التأمين احدى السيدات: "هل تعرفين قيمة التأمين على حياة زوجك؟"

فسألته: "ماذا تعني؟"

قال: "اذا توفي زوجك، فعلامَ تحصلين؟"

فكرت السيدة قليلا ثم ردت: "على كلب صغير."

ف.أ.

كهرباء بومباي

خلال مؤتمر في مدينة بومباي حول المشاكل الحياتية في المدينة انقطع التيار الكهربائي فجأة، فتابع المجتمعون عملهم في ضوء الشموع. وهنا لاحظ أحد الخطباء: "بدأ المؤتمر بالضرب على وتر حساس اذ أبرز مشكلة الطاقة."

ت.هـ.

انتهاك القوانين

كل قانون يتجاوزه الناس كثيراً يكون رديئاً، ويتعين على المشترع أن يلغيه أو يعدّله كي لا تنتقل عدوى الانتهاك منه الى قوانين أكثر انصافاً.

م.ي.

عالجوا القلق بـ ... القلق

أساليب مختبرة تعيد عقلك الى مسار الانتاج

"أدمنت القلق طوال حياتي. كنت أجلس الى مكتبي حاملا همّ أصغر مشكلة في عملي، ثم ينتابني قلق من الافلاس، وذاك بدوره يقودني الى القلق في شأن تدبير معيشتي في سني المتقدمة، فتتشابك المشاكل."

المتكلم شاب غني في منتصف الثلاثينات من عمره ورئيس شركة للتأمين. قد يبدو خالياً من الهموم، لكن الواقع أن القلق ظل يساوره الى فترة قريبة. ويقول: "إن لم تصادفني مشاكل في العمل كنت أبحث عما يقلقني. أظن أني أمضيت نصف نهاراتي مهموماً، ونصف لياليّ ايضاً. كنت افتقر الى النوم مما أرهقني معظم الوقت وأفقدني القدرة على الانتاج."

القلق يساور الجميع، لكن مجموعة من علماء الاجتماع الذين اعتنوا بهذا الموضوع اثناء دراستهم مشاكل الأرق يقولون ان لا جدوى من معظم القلق الذي يساورنا، بل إن في مستطاعنا خفض مقدار قلقنا.

اكتشف أولئك الباحثون أن القلقين أمثال صاحبنا مدير شركة التأمين يعانون ظاهرة "العقل المسابق." ويوضح توماس بوكوفك العالم النفساني في جامعة

Photo: Al Francekevich

بنسلفانيا وأحد رواد أبحاث القلق: "لا يهدأ تدفق الافكار المهمومة ولا يتوقف." قد يبدأ المرء القلق في شأن حاجة السيارة الى كوابح جديدة. ثم يتهيأ له أن كوابحها أفلتت فصدمت السيارة طفلا، فتحمله أفكاره الى المحكمة ثم يخال نفسه في أزمة مالية تودي بعائلته الى حال من العوز.

قد يبدو تسلسل هذه الاحداث مسلياً، لكنه لا يحمل شيئاً من المرح الى المهموم. ويصاب القلقون المزمنون بتشنج في العضلات واضطراب في المعدة وحصر نفسي وشعور بالكآبة مما يؤدي الى مشاكل صحية أكثر خطورة. ويرى إلوود روبنسون، وهو عالم نفساني شاب يرئس "برنامج معالجة القلق" في جامعة كارولينا الشمالية، أن "القلق دائري. فهو يتفاعل ويتعاظم فتزداد حال المرء سوءاً."

درجات القلق – لنتأمل قضية أمّ لها ابنان مراهقان. انها في الثانية والاربعين لكنها تبدو في الخامسة والعشرين وتتمتع بطبع هادىء فلا يرتاب أحد في أنها تعاني قلقاً مزمناً. بدأت تنهمّ في الجامعة. وبعدما تخرجت وتزوجت وزاولت التعليم وأنجبت ازدادت همومها. ورافقت ذلك أعراض صحية: اضطرابات في المعدة وأرق. كانت تستلقي في الفراش ليلا يساورها القلق على ولديها وتلاميذها وحسن ممارستها لعملها (يتميز القلقون بقلّة تقدير الذات.) وقبل أربع سنوات بدأت تشعر بارهاق شديد مما أجبرها على التوقف عن التعليم.

يؤكد رولاند فولنسبي العالم النفساني الذي يرئس عيادة القلق في هيوستن بتكساس، أن هذه الحال شائعة: "بعض الاشخاص لا يكونون من النوع القلق في البداية، لكنهم يصبحون كذلك. ويجدون أن قلقهم في تطور إذ تضرمه مثيرات بعيدة." فبعدما كان يقلقهم دفع فاتورة، بات دفع ثمن شيء لم يشتروه يزيد قلقهم. وبعض مرضى فولنسبي يتقاعسون عن الخضوع للمعالجة لأن الأمر يقلقهم كثيراً.

القلق، كما يعرِّفه الباحثون، هو ما يفعله العقل حين يكون الجسم مضطرباً أو متوتراً. ويقول فولنسبي: "من الصعب أن يكون العقل فارغاً لا يفكر في شيء." فالقلق يمنح الشخص المتوتر "ما يفعله." وبالنسبة الى بوكوفك يشعر شخص كهذا بأن القلق "جزء مني وهو ما أفعله طوال الوقت. والامتناع عنه يضايقني فكأنني شخص آخر."

كل امرىء يقلق من حين الى آخر. لكن هناك ما يسميه فولنسبي "درجات النزوع الى القلق." ويعتقد معظم الباحثين أن درجة القلق لا تهم بمقدار المشاكل الناتجة منه، إذ انه يحرمك النوم أو يلهيك عن العمل أو الدرس أو يشعرك بتوعك صحي.

وقت للقلق – المهمّة الاولى لتخفيف القلق هي تحديد أوقاته، والخطوة التالية هي اعتراضه قبل أن ينمو.

ينصح فولنسبي مرضاه الذين يدركون فجأة أنهم قلقون، بالتركيز على شيء آخر يكون ايجابياً ووصفه لأنفسهم باعتناء.

الجانب النظري في هذا الرأي أن العقل لا يستطيع التركيز على عمليتين فكريتين في آن.

يساعد "التصور" على توقيف لولب القلق. فإن كان أحدهم قلقاً من رحلة جوية وخيّل اليه أنه سيصاب بدوار الجو أو أن الطائرة ستتحطم، فليختلق صوراً لمضيفة باسمة أو ركاب مرحين قد يلتقيهم، مبدلا الافكار السلبية بأخرى ايجابية. ويقول روبنسون: "نحن نحاول اقناع الناس بأن يفكروا في ما يقلقهم بواقعية أكبر. يقلق بعضهم باستمرار على أدائهم الدراسي مع أنهم ينجحون دائماً. فنلفتهم: تذكروا، هل سبق أن رسبتم في أحد الامتحانات النهائية؟"

ويقترح روبنسون أسلوباً آخر هو "التدرب على الاسترخاء": فحص كل مجموعة عضلية وشدّها ثم بسطها مما يساعدها على الارتخاء. ومهما تبدلت الاساليب في هذا المجال يبقى الهدف وقف دورة القلق. ويبرع الناس سريعاً في هذا التدريب، وخلال أسبوع أو نحوه ينجحون في تقصير فترة القلق. ويشير بوكوفك: "القلق عادة، وإبطال هذه العادة يستوجب إبدالها بعادات أخرى."

البحث عن بدائل هو نصف الخطة. ويكمن النصف الآخر في مفهوم يشابه الصلاة اليومية: خصص كل يوم فترة اختلاء، واقلق بترو على جميع الامور التي تجول في رأسك. يسهل الامتناع عن القلق أثناء النهار والتركيز على أفكار بنّاءة إن أقنعت نفسك بتوافر فرصة للقلق لاحقاً.

كذلك يبدو أن فترة القلق المتروي تبيده تماماً. ونجاح ذلك غير مفهوم، لكن علماء النفس اكتشفوا قبل زمن بعيد نظرية "التعوّد" في ما يتعلق بالمثيرات: إن شممت رائحة اللحم المقدد لفترة طويلة فستتوقف عن تمييزها بعد مدة. وعلى نحو مماثل ينحو القلق الى الانخفاض خلال فترة القلق المفروض.

ويتفق الباحثون على أن تمتد هذه الفترة ٣٠ دقيقة فقط. لا تلجأ الى كرسيك المفضل في غرفة الجلوس لأن الترابطات قد تعيدك الى القلق كلما جلست في تلك الكرسي. كذلك لا تعيّن تلك الفترة قبل موعد النوم. يدوّن بعض مرضى فولنسبي همومهم مما يساعدهم على التركيز. ويمارس صاحبنا مدير شركة التأمين فترة قلقة بين الخامسة والخامسة والنصف بعد الظهر، فيغلق بابه ويخفت النور ثم يستلقي حاملا ورقة وقلماً.

لا أعذار – يصرّ بعضهم على أن القلق مفيد، لكن الباحثين يشيرون الى اختلاف مهم بين القلق وحلّ المشاكل. ويقول روبنسون: "عوض الانزعاج المتواصل من النتائج السلبية، علينا البحث عن حلول ايجابية."

تنجح برامج القلق الحديثة في خفض القلق بنسبة ٥٠ في المئة. ويمكن اتّباع هذه البرامج في المنزل من دون مساعدة طبية باتخاذ الخطوات الثلاث الرئيسية الآتية:

١. تعلّم أن تميّز بدء دورة قلقك.

٢. إعترض دورة القلق بالتصور أو بالتركيز على أمر آخر ايجابي أو

بالاسترخاء. أقنع نفسك بتوافر الوقت للقلق لاحقاً.

٣. تفرغ لفترة ٣٠ دقيقة من القلق يوميا، وثابر على ذلك.

تزيد فرص النجاح إن عيّنت أحداً لمراقبتك والتأكد من اتباعك العلاج وتذكيرك بالمثابرة عليه. ويقول فولنسبي: "يشرع الناس في اختلاق أعذار من نوع: كان ابني مريضاً ولم يتوافر وقت لفترة القلق. هذا العلاج فاعل إن طُبّق لعدة أسابيع، لكنه يرتكز على التطبيق المتواصل."

لن يمتنع أحد عن القلق جذرياً، لكننا نستطيع أن نتدرب على تخفيف قلقنا. وقد نجح مدير شركة التأمين في ذلك. كان يساوره القلق في كل الامور في العام الماضي، لكنه اليوم يقول: "حين أختلي بنفسي في فترة القلق، لم أعد أجد غالباً ما أقلق في شأنه."

جايمس لنكولن كولبير

طبيب وصيدلي

يعمل زوجي طبيباً في مستشفى محلي. مرة طلب من أحد مرضاه أن يشتري محلولاً للتخدير الموضعي من عيار أربعة في المئة لاجراء جراحة بسيطة. وعاد المريض بزجاجتين في كل منهما محلول من عيار اثنين في المئة، وشرح أن الصيدلي قال إن زجاجتين من عيار اثنين في المئة تعادلان في مفعولهما زجاجة واحدة من عيار أربعة في المئة.

فاحتدم زوجي وطلب من المريض أن يعيد الزجاجتين الى الصيدلي ويسأله: "هل يتزوج ابنتَيْ عشر سنين اذا لم يجد عروساً في العشرين؟"

ر.ب.غ.

الاشجار، ذكور واناث!

في جزيرة كاليدونيا الجديدة التابعة لفرنسا قطع الجيش الامريكي عدداً من الاشجار المحلية لتشييد مطار. فرفعت السلطات الفرنسية في الجزيرة مذكرة الى قيادة الجيش تطلب تعويضاً مالياً لضعفي عدد الاشجار المقطوعة. وعند السؤال عن السبب كان الجواب أن الاشجار هي اما ذكور واما اناث، فكلما قطعت شجرة من أحد الجنسين تحطم قلب شجرة من الجنس الآخر.

ف.هـ.

أخ لنونو

عاد الصبي الصغير من دار الحضانة فأخبره والده: "نونو، لقد ولد لك اليوم أخ صغير." فهتف نونو: "آه، احمل لي حقيبتي يا أبي كي أخبر ماما."

ل.س.

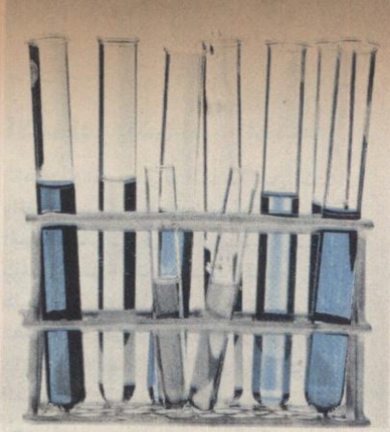

أصداء من عالم الطب

عدسات لاصقة للرمي

أنزلت الى السوق عدسات لاصقة تُطرح بعد الاستعمال. يمكن وضعها في العينين لمدة أسبوعين من دون أن تنزع ثم ابدالها بعد سنتين جديدتين. يقول الدكتور جاك هارتستاين الاختصاصي بالعيون في كلية الطب التابعة لجامعة واشنطن في سانت لويس بولاية ميسوري: "اذا ألصقت هذه العدسات جيداً فانها أكثر أماناً وإراحة من العدسات الاخرى التي توضع لمدة طويلة." وقد اجرى هذا الطبيب، مع اختصاصيين آخرين، اختبارات على هذه العدسات التي وافقت عليها مديرية الغذاء والدواء، قبل أن ينتجها الصانع على نطاق واسع. ومن أصل ١٤٠ شخصاً يعالجهم الدكتور هارتستاين لاءمت العدسات الجديدة عيون ١٢٠.

يقول هارتستاين: "يزداد عدد أطباء العيون الذين يعارضون وضع العدسات التي تبقى في العين فترة طويلة. فمن اجل مد القرنية بالاوكسيجين تحتوي هذه العدسات اللينة على ٧٠ في المئة ماء. لكن الماء يمتص أيضاً الجراثيم والمهيّجات والبروتيينات، الامر الذي قد يتسبب في تغشية النظر والالتهابات وتقرحات القرنية.

ويقدّر هارتستاين أن مستخدمي العدسات المعدة للطرح سيقتصدون مئة دولار على الاقل سنوياً ثمن القطرات المطهِّرة.

نشرة جامعة واشنطن

عقّار جديد للفصام

الحياة عند المصابن بالفُصام (الشيزوفرينيا) هي صراع بين الحقيقة والوهم. ولكن ثمة تحسن مرتقب في معالجة هذا الداء بفضل العقّار "كلوزابين." فهو اختبر على مصابين لم يتجاوبوا مع أي علاج متيسر في الوقت الحاضر، فكان فعّالا جداً في تخفيف الاوهام والهلوسات والافكار الهدّامة. وهو حسَّن أيضاً الحافز النفسي لدى المريض واهتمامه بما يجري حوله ومستوى طاقته وحيويته.

ويتناقض نجاح تجربة العقار كلوزابين مع وجهات النظر المقبولة عند قطاع واسع من علماء النفس والقائلة بأن الفصام الذي لا يتجاوب مع العلاج انما ينجم عن تلف في بنية الدماغ لا سبيل الى اصلاحه. يقول الدكتور هربرت ملتزر من كلية كايز وسترن ريزرف الطبية والمعالج في مستشفى جامعة كليفلاند بولاية أوهايو، وهو أحد الذين أداروا الدراسة: "يتأثر السلوك الذهاني – أو يتقرر الى حد بعيد – تبعاً لعوامل بيولوجية أو بيوكيميائية. وقد تفيد الادوية في تصحيح اختلال التوازنات البيوكيميائية."

وينتظر العقار كلوزابين الان موافقة

"مديرية الغذاء والدواء" في الولايات المتحدة على صلاحيته. وعلى مستعمليه أن يخضعوا أسبوعياً لفحوص دم منذ اشتبه بوجود علاقة ممكنة بينه وبين نوع مميت من اختلال الدم قابل للشفاء. يقول الدكتور ملترز: "يوفر هذا الدواء أملا للمصابين بالفصام العسير المزمن، حتى في أصعب حالاته."

صحيفة "هيلث"

فكوك اصطناعية

الزرع الاصطناعي قد يساعد الفكوك التي أصابها تلف جسيم بسبب اعتلال شائع يعرف بـ"متلازمة المفصل الفكي الصدغي" (١) وأهم أعراضه عجز الفك عن الانفتاح والانطباق على نحو طبيعي. والزرع كان لقية سعيدة لريتا أونيل المقيمة في تكساس، وكان فكها انخلع في حادث سيارة. ويقول جراح الفم الدكتور كيفن ماك برايد الذي زرع ثمانين "جهازاً" في أفواه مرضاه، إن الجهد المتواصل الذي يبذله فكّا ريتا غير المتطابقين سبّب تلفاً في عظم المفصل الواقع تحت الاذن تماماً. وقد نزع الجراح قطعاً من الفك التالف وثبت على ما تبقى من عظم الفك مفصلا كروياً حقّياً (٢) حيث "الكرة" معدنية و"الحقّ" بلاستيكي.

في غالب الاحيان تنتج متلازمة المفصل الفكي الصدغي من ضعف موروث في المفصل، لكن التلف قد يحصل أيضاً نتيجة حادث أو لدى أناس يصرفون بأسنانهم أو يطبقونها بفعل الاجهاد.

وكالة "يونايتد برس إنترناشونال"

---

(١) Temporomandibular joint

(٢) Ball-and-socket joint

الاجهاد والتهاب المفاصل

تتضح يوماً بعد يوم العلاقة بين الاجهاد والتهاب المفاصل نظير الروماتزمي(★). الدكتور فريد كانتروفيتز أستاذ الطب السريري في كلية الطب بجامعة هارفرد في ولاية مساتشوستس يستشهد بدراسة أجرتها جامعة روشستر في نيويورك. جاء في الدراسة أن ٢٨،٤ في المئة من الاولاد المصابين بالتهاب المفاصل نظير الروماتزمي قاسوا من قبل اصابة جرحية أو رضّية أو نفسية مضنية. ولم تبلغ هذه النسبة الا ١٠ في المئة عند فريق اختباري مقارن لم يختبر افراده اصابة من هذا النوع. ويضيف الدكتور كانتروفيتز أن هذا لا يعني أن الاجهاد وحده يسبب المرض، لكنه قد يعجل تطوره عند اولئك الذين لديهم استعداد له.

جوزفين رودس المستشارة في اعادة تأهيل المصابين بالتهاب المفاصل نظير الروماتزمي، قادت دراسة دامت سنتين حول نتائج تخفيف الاجهاد لدى ٣٩ مصاباً بالتهابات مفصلية حادة شبه روماتزمية. وبعد دورة شفائية جماعية دامت ٢٠ أسبوعاً وتضمنت تغذية استرجاعية بيولوجية وتمارين على الاسترخاء وتقنيات لتحسين صورة المريض في عين نفسه، أظهرت غالبية المرضى تحسناً "ذا مغزى" يتضمن نقصاً في الاحساس بالالم وفي الحاجة الى الدواء. وبعد عام صاروا أكثر انتاجية ونشاطاً على الصعيدين الاجتماعي والمهني.

صحيفة "ميديكال تريبيون"

(★) Rheumatoid arthritis

لا تجارة بلا أخلاق!

ثلاثة أمثلة على أهمية الاخلاق العالية في النجاح التجاري

□ لنفرض أنك مدير لشركة وقد وُفِّقت وحصلت على صفقة من وكيل مقاول بسعر ينقص ٢٠ في المئة عما يجب أن يكون، وهي غلطة قد تؤدي الى طرد ذلك المقاول من عمله، لكن قبولها يوفر لك حظاً أكبر لتكسب عقداً بمشروع سكني كبير. فماذا تفعل؟

□ لنفرض أنك تريد أن تتعاطى أعمال التجارة في أسواق أجنبية حيث الرشوة لا بد منها، حتى انك لا تستطيع أن تفتح مكتباً من دون رشوة. فماذا تفعل؟

□ لنفرض أنك تاجر عقارات، ولم تكد تشتري فندقاً حتى اكتشفت أنه ليس مُربحاً. لكن زبائنك المستثمرين أرسلوا اليك حوالات لضمان مشاركتهم اياك في تلك الصفقة. فماذا تفعل عندئذ؟

ماذا تفعل عندما تصطدم المبادىء الاخلاقية بالارقام المالية في الحساب الاخير؟ ان هذه الافتراضات السابقة التي تصور هذا الإحراج حدثت فعلاً في ثلاث شركات.

أما طريقة تخلص هذه الشركات من مآزقها فترينا أن المقاييس الاخلاقية العالية تترجم في بعض الاوقات أرباحاً طائلة. ان هذه الشركات الثلاث تنظر الى ما هو أبعد من الحاضر، الى أهداف بعيدة الامد. وهكذا فإن فلسفتها الاخلاقية تمنحها ميزة تمكّنها من اجتذاب أصحاب المواهب وربح الزبائن والموزعين المخلصين وكسب محبة الناس واحترامهم.

ان السعي الى الميزة الاخلاقية يدعو أحياناً الى تفويت فرصة سانحة أو تكبد خسارة مالية موقتة. ولكن، يقول روبرت جورج المدير التنفيذي في شركة "مداليون" للبناء في مدينة مريماك بولاية نيوهامشير: "يقول المثل: إن كل شيء يدور سيكمل دورته." بمعنى أنه إذا كان الاتجاه الحاضر يميل الى الخسارة فإنه في النهاية سيميل الى ربح ما بطريقة ما. وهذا تماماً هو المنطق الذي أقنع جورج بأن يكون مستقيماً جداً مع

Condensed from Nation's Business (August '87), © 1987 by
The United States Chamber of Commerce, Washington, D.C.

الوكيل الذي رست عليه المناقصة بسعر متدن جداً. ويتابع جورج: "كانت شركتنا هي الاوفر حظاً في الفوز بمشروع سكني بقيمة مليونين ونصف مليون دولار، وبدا لي أن عرض وكيل محلي كان عشرين في المئة أنقص من المعقول، أي ثلاثمئة ألف دولار أدنى من أسعار عرضها أربعة وكلاء آخرين، مما يتيح لنا تقديم أفضل سعر فنربح المقاولة." وكان اتجاه جورج أن يقبل العرض، لكن ضميره عاكسه.

هل يجوز أن يستعمل جورج أرقاماً يعرف أنها ستؤدي في النهاية الى تكاليف زائدة؟ لا بد من أن يترك ذلك لطخة على سمعة الشركة لا تمحي. ولكن ماذا سيحل بالمشروع؟ ثم تساءل: هل من العدل أن تترك شخصاً يقع في شرك يجهله وأنت عالم به؟

لذلك رفض جورج فكرة العرض الرخيص. ولكن كيف له أن يعلل سبب رفضه من غير أن يفضح معلومات قد تؤذي أحداً. لذا اتصل بالوكيل وقال له انه لن يخبره بالاسعار التي عرضها منافسوه لكن السعر الذي طرحه هو متدنّ جداً بحسب رأيه. فسحب الوكيل عرضه، ومع ذلك فازت شركة "مداليون" بالمقاولة.

بعد سنة تلقى جورج عرضاً من الوكيل ذاته لمشروع آخر، وكان أيضاً عرضاً منخفض السعر، إذ تضمن ٢٠ في المئة حسماً على التسعيرة الاساسية، ذلك لأن الوكيل لم ينسَ جميل جورج في السنة الفائتة. وهذا ما أكد لجورج أن المرء عندما يقوم بعمل ايجابي فلا بد من أن يرتدَّ عليه بالمثل.

■ ■ ■

تبين للكونغرس (البرلمان) الامريكي أن الممارسات التجارية الامريكية لا تتفق دائماً مع الممارسات الاجنبية، فسنَّ قانوناً عام ١٩٧٧ يمنع دفع "عمولات" للحصول على عقود خارج البلاد. ولكن، حتى قبل صدور هذا القانون، كانت شركة "امباير ساوث وست" في فينيكس بولاية أريزونا، وهي في الاصل موزعة لمعدات "كاتربيلر" للجرافات، تمكنت من العمل بأمانة وجَنت في الوقت ذاته أرباحاً لا يستهان بها.

وفي الستينات عُزلت الشركة عن السوق المكسيكية لأنها رفضت ان تتبع الممارسة السائدة هناك وتعطي رشوات.

وطوال تلك الفترة ، يقول المدير التنفيذي جاك ويتمن: "كان موقف الشركة يرفع احترامها في المكسيك إلى أبعد الحدود." ووصل الى كثير من شركات التعدين والمزارعين والمقاولين أن هنالك شركة أمريكية تملك الجرأة الكافية لمعارضة الاسلوب المتبع، ولذلك أرادوا ان يتعاملوا معها.

وتمسكت شركة "امباير" بالطرق المكسيكية المشروعة. وأخيراً، في العام ١٩٦٧، حظيت بالموافقة على فتح وكالتين لها في البلاد. ونظراً الى شهرتها بالنزاهة بدأت تفيد من عملها هناك.

وكثيراً ما يردد ويتمن أن التصرف الاخلاقي المميز لا بد من ان يعطي نتائجه عند الحساب الأخير، لأنه رأى بنفسه أنه عندما كانت العروض متساوية كان الزبائن في أكثر الاحيان يسندون المقاولة الى شركة "امباير."

■ ■ ■

الى أي مدى تذهب لكي تحافظ على سمعتك في النزاهة والاستقامة؟

مؤسسة "هلبي ولسون" شركة استثمار مختصة بشراء العقارات وبيعها. وهي ترفض أن تنفذ أي عملية استثمار تتضمن مجازفة للآخرين اذا كانت هي نفسها لا تقبل بها إذا عرضت عليها. وهنا تشرح بولا هلبي، زوجة بروس هلبي أحد مالكي الشركة، كيف وُضع هذا المبدأ على محك التجربة:

"كنا مهتمين بشراء فندق في إل باسو بولاية تكساس بمبلغ مليونين و٧٠٠ ألف دولار. وبعد دراسة أجريناها استنتجنا أن المدينة على وشك أن تفيد من المد الصناعي. وبناءً على ذلك اشترينا هذا الفندق وصرفنا ما يلزم لإصلاحه وتجديده. ومن ثم باشرنا عرضه على زبائننا. ولكن تبين لنا أن الخسارة الشهرية للفندق تفوق كثيراً ما كنا نتوقعه، إذ اكتشفنا أننا كنا في منطقة من إل باسو لن تفيد من ذلك المد الصناعي."

والى ذلك الوقت كانت الشركة باعت بعض المستثمرين حصصاً محدودة. وكان السؤال: هل يخفي أصحاب الشركة شعورهم الذي لا يدعو الى الراحة ويواصلون استثمارهم للمشروع ام يرجعون الحوالات الى أصحابها ويتحملون الخسارة وحدهم؟

وأُخذ القرار. وأُخبر المستثمرون بأن الصفقة ستعلَّق ريثما تجري الشركة تحقيقاً أوسع.

وطوال أشهر حاول هلبي أن يجد بوادر تحسُّن مشجعة، لكن شيئاً من ذلك لم يظهر.

وتذكر هلبي: "كان الحل البديهي البسيط والخالي من كل مسؤولية ورحمة أن يقفل الفندق نهائياً ويذهب كل في طريقه. ولكن بدلاً من ذلك عمدت الشركة الى بيع الفندق من المصرف الذي تتعامل واياه بمليوني دولار، أي بقيمة القرض الذي أخذته منه، بينما ربح المصرف مليوناً ونصف مليون دولار هو المبلغ الذي صرف على تجديد الفندق واصلاحه.

وهكذا أعيدت الحوالات الى المستثمرين مرفقة برسائل من مديري الشركة يعربون فيها عن أسفهم لأن الخطأ خطأهم. وتقاسم الشركاء الخمسة الخسارة التي بلغت أكثر من ثلاثة ملايين دولار. وأقرَّ هلبي بأنهم تلقوا ضربة قاسية.

ولكن لشركة "هلبي ولسون" الحق في أن تتفاءل. فقد انهمرت عليها رسائل من زبائنها تشيد بنزاهتها وتعبر عن ثقتهم بقدرتها، وفيها أنهم يأملون أن يتعاونوا واياها في المستقبل بصفقات أخرى.

■ ■ ■

ان مديري هذه الشركات الثلاث ليسوا ساذجين. فإنهم يومياً يشاهدون منافسين لهم يفيدون من أعمال لاأخلاقية، ولكن بأي ثمن؟ إنهم يؤكدون أن الاخلاق الرديئة تطرد الزبائن في النهاية وتوهن عزائم الموظفين.

الميزة الاخلاقية دقيقة جداً، فهي لن تمنحك النجاح بين ليلة وضحاها، لكنها، في مواقف المنافسة، غالباً ما تعطيك اليد الطولى والنفوذ.

كارين برني

... وخرجتْ مثل فلّينة من قنّينة!

ما بدأ نزهة سارة في الطبيعة تحول كابوساً في قبر جليدي

انه أصيل أحد نير في نهر بايرون الجليدي، وهو بساط من جليد أزرق يمتد كيلومترين ونصف كيلومتر في غابة شوغاش الوطنية التي تبعد ٩٠ كيلومتراً عن جنوب شرق أنكوريج في ألاسكا. في الثالثة والنصف بعد ظهر ٢٦ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ وصلت ماري آن سميث (٢٤ عاماً) لنزهة مع صديقها جويل كنيسون (٢٩ عاماً). وكان معهما تشارلز وفرجينيا رنفرو وولداهما الصغيران.

رغبت ماري آن في التقاط بعض الصور من موقع أبعد فوق النهر الجليدي. وبدأت تتسلق بحذر منحدراً بزاوية من عشرين درجة. لم تخش الانزلاق، فقد كان الجليد مرصوصاً وقاسياً.

جلست ماري آن على علو ٩٠ متراً تتمتع بالمنظر الشامل المذهل. على كل جانب قمم شامخة تعلو ١٢٠٠ متر تغمر

Illustrations: Victoria Vebell

نهر بايرون في حضن بارد بلوري. واذ تراكمت طبقات جليدية عبر السنين كانت أخاديد كبيرة تظهر في سطحها الاسود القاتم وتختفي بعد أيام وربما خلال ساعات. وامتدّ تحت ماري آن بحوالى ٤٠ متراً أخدود بعرض مترين أو ثلاثة أمتار عبر مقدّم النهر الجليدي.

بعدما التقطت ماري آن بعض الصور لاحظت أن الجليد الذي سخنته الشمس غدا ألين من ذي قبل. ولكي تكون في مأمن قررت العودة نزولا وهي قاعدة.

فجأة شعرت كأنها على منحدر مصقول تتدحرج ثم تدور على نفسها فوق النهر الجليدي. ومدت يديها يائسة علها تتعلق بأي شيء يوقف هبوطها السريع.

ثم رأت الشق العميق يظهر تحتها كفم عملاق دميم فصرخت: "النجدة!" وقرب حافة الهوة لمحت شاباً جمده منظر ذعرها فيما جسمها ينقلب وذراعاها وقدماها تتضارب.

توسلت اليه: "أوقفني!" ولكن فات الاوان. تطايرت في الهواء الى "معدة" النهر الجليدي وهي تتـواثب ككرة "بلياردو" تضرب حائطاً ثم آخر. وإذ تعمقت في غوصها أصبح عالمها قاتماً.

سينطبق الشق! – أول من وصل الى الشق كان تشارلز رنفرو والمنقذ اريك ساكس الملحق بقاعدة إلمندور الجوية في انكوريج والذي كان ساعتئذ خارج نوبة عمله. كان تشارلز واقفاً على الجانب الآخر من الشق ورأى ماري آن تسقط. أسرع الى المكان وتمدد على الجليد وتحرك رويداً بحذر الى الامام وتمتم: "آه، يا الهي!" نظر الى الهوة فرأى ماري آن محصورة في الشق الجليدي على عمق تسعة أمتار. كانت "مطوية" مثل مدية، وجهها الى أسفل ورجلاها وقدماها أعلى من رأسها وذراعاها تتدليان هامدتين. هل دُق عنقها؟ هل ماتت؟ خاف تشارلز أسوأ الاحتمالات.

أنقذ إريك ساكس ٤٢ شخصاً اثناء عمله مع سلاح الجو. كان يعرف الوضع السيىء عندما يراه، وهو لم يرَ وضعاً أسوأ. في ذلك الاصيل سمع اريك النهر الجليدي يطلق أصواتاً وأنيناً كحيوان متألم. وخشي أن تكون المنطقة غير مستقرة مما يعني أن الشق سينطبق من دون انذار. وعرف أيضاً أن الجليد بدأ يذوب حول جسم ماري آن الحار وبدأت هي تسقط الى مكان أعمق وبعيد عن المتناول والنظر.

قال اريك لتشارلز: "إسمع، أنا مدرَّب على الانقاذ. نحتاج الى التجهيزات الملائمة، والوقت من ذهب. اذا استعادت الفتاة وعيها فاحفظ معنوياتها عالية. أنا ذاهب لطلب النجدة."

أما جويل فاختار الانضمام الى اريك بدل الوقوف عاجزاً. ركض الاثنان نحو موقف السيارات الذي يبعد ١٦٠٠ متر.

طرفت ماري آن بعينيها وتحسست بأصابعها ما حولها. كانت جمجمتها تدق كالطبل. في البدء لم تكن لديها فكرة أين هي. كل شيء مبلل، زَلِق، دَبِق. ورويداً عادت اليها الذكرى الرهيبة وهي تسقط في المنحدر. انها تسمع صوت تشارلز فوقها.

نادت: "تشارلز، أين أنت؟"

– هنا يا ماري آن، هل أصابك أذى؟

"رأسي، دبق. أعتقد أنه ينزف."

– كل شيء سيكون على ما يرام. النجدة في الطريق اليك.

صرخت: "يا الهي، أنا أنزلق!"

شعرت بالجليد الذي يقيد كتفيها ورأسها يرخي قبضته. شدت برجليها على الجدران كي لا تسقط الى أدنى.

نظر تشارلز شزراً الى الفتحة المظلمة ونادى: "أنت لم تزلقي بعيداً." كان عليه أن يحوّل انتباهها كما علَّمه اريك. وتابع: "تكلمي معي يا ماري آن، عن جويل."

وساد صمت مطبق.

"منذ متى عرفته؟"

– منذ سبع... سبع سنوات.

"كيف التقيتما؟ تكلمي معي يا ماري آن."

– رأسي يؤلمني كثيراً.

استدار تشارلز مسعوراً نحو الشمس المائلة الى الغروب وتساءل: مـاذا

سيحدث، اذا لم نستطع اخراجها قبل الظلام؟

فجأة تمدد جويل الى جانب تشارلز ونادى: "عزيزتي، ماري آن، أنا هنا." انه عاد بينما أجرى اريك اتصالا هاتفياً طلباً لفريق انقاذ وتجهيزات.

"أين أنت؟" - كان ماركو وفيكي رادونيش ومايكل ميلر ينهون يوماً ساراً من تسلق الجليد عندما سمعوا نداء للنجدة: "تعالوا بسرعة، سقطت امرأة في الهوة. اننا نحتاج الى شخص يحمل عدة تسلّق."

بعد لحظات وصلوا الى الهوة الجليدية. وكان مايكل ناظراً لعمال حفر آبار النفط وقد أنهى حديثاً دورة في معالجة الاصابات الطارئة، فتطوع لمحاولة الانقاذ. عقد حبلا طوله ٥٠ متراً بمقعد للتسلق وثبت الحبل عند حافة الشق ببراغي تغرز في الجليد وبدأ النزول.

على عمق خمسة أمتار انحصر جسمه في شق ضيق. وقد بلغ طول مايكل ١٨٥ سنتيمتراً ووزنه ٨١ كيلوغراماً، وهو ألفى نفسه عاجزاً عن النزول أبعد من ذلك. نظر الى ماري آن فتأكد له أنها تواجه هبوطاً في حرارة الجسم. كانت ترتدي ثياباً خفيفة. واذا طال بقاؤها في الرطوبة والصقيع فسيخسر جسمها حرارة أكثر مما ينتج. في البدء خمول وضياع، ثم موت. عليه أن يجرب شيئاً، أي شيء.

نادى: "ماري آن، سأدلّي الحبل." ربط مشبكاً في طرف الحبل آملا أن تستطيع تثبيته بسروالها أو سترتها. لكن الحبل ظل ينزلق بين أصابعها الجامدة.

حين عاد اريك وجد مايكل عاجزاً عن النزول أعمق مما هو. فتسربل بعدة تسلّق وانضم اليه في الشق.

مرت دقائق ثمينة وهما يقوّمان وضع الفتاة، ثم خطرت لاريك فكرة. قال لماري آن: "أنا نازل ورأسي تحت، وسأحاول أن أربطك من رسغيك. ارفعي قدميك بمقدار ما تستطيعين." وبينما كان مايكل يُسحب الى فوق ليأتي بمزيد من الحبل بدأ اريك يزحف نزولا في وضع الغطس.

تحرّك اريك ببطء ورأسه في وضع جانبي، شاقاً طريقه عميقاً الى فراغ يشبه المدخنة. تشنجت ضلوعه وآلمته. كان طوله ١٧٣ سنتيمتراً ووزنه ٦٨ كيلوغراماً. حاول أن يقلص جسمه متنفساً الهواء جرعات ضئيلة ليحفظ صدره من التمدد. فجأة توقف: هناك صوت ضعيف رنان. تساءل: أطبقات الجليد تتحرك من مكانها؟ أجوانب الشق أوشكت أن تنطبق؟

اندفع بيأس وعضلاته متوترة. أصبح أقرب اليها متراً ونصف متر. وغصّ بهواء رطب تَفِه. أما صوته فأصبح مجرد همس: "ماري آن!"

سألته: "أين أنت؟ كم أنت قريب؟"

- ثلاثة أمتار أو نحوها، مدّي أصابع قدميك.

شعر اريك بخدر في وجهه وأذنيه، كافح ضد الخوف المسعور من الاماكن المغلقة، وركز على الحذاء الابيض. شغّل الحبل بيده اليمنى مدلياً أنشوطة نحو الشق الجليدي، أقرب فأقرب.

حدق اريك الى فردة الحذاء الابيض دونه، وتساءل: أين الثانية؟ أراد القدمين

معاً في الانشوطة. آه، حسناً، لا خيار لدي. "اصمدي يا ماري آن."

هز الحبل نصف سنتيمتر الى اليمين. سنتيمتراً: "أمسكت به! جيد، يا ماري آن. سيسحبونني صعوداً لأكون خارج دربك، وعندئذ سنخرجك."

مضى أكثر من ساعة على اختفاء ماري آن في الكهف الجليدي المظلم. بدأ نور الشمس يتلاشى وهبطت الحرارة الى ما دون درجة التجمد.

فلّينة تنطلق – تساءلت ماري آن بخوف: ماذا ينتظرون؟ وسمعت أصواتاً تتجادل فوقها.

قال أحدهم: "قد نخلع رجلها من المفصل." فردّ آخر: "لا، يجب أن نمضي في ذلك." ومزّق الجدل ما تبقى من معنويات ماري آن، فصرخت: "اعملوا بسرعة ومن دون جدل."

أخيراً سمعت جويل يقول: "نحن نمكّن الحبل يا ماري آن، أجاهزة أنت؟"

شعرت بشدة عنيفة فصرخت. "قفوا، رأسي، أنتم تؤذونني."

واذ ارتخى الحبل أحست ماري آن بأن سيطرتها على انفعالها بدأت تنهار. أغمضت عينيها وحاولت أن تنسى الصقيع الذي لا يطاق.

مرت الدقائق ببطء. انها الخامسة عصراً. بدأت ماري آن تشعر بنعاس ودوار.

فجأة سمعت صوت اريك الضعيف ثانية يناديها: "ماري آن، أصغي بعناية تامة." فأرهفت سمعها. ثم أضاف: "أنا عائد نزولا، سأدلّي حبلا آخر، عليك أن تمسكي به وتضعي الانشوطة حول معصميك." ربما بهذا الحبل الثاني وبالحبل الذي حول رسغيها يستطيع المنقذون جذبها.

تدلّى اريك ثانية ورأسه الى تحت، بالغاً نقطة تبعد حوالى أربعة أمتار عن ماري آن. ركز كل ارادته على جهد أخير للتحرك الى أدنى. ثلاثة أمتار فقط. هيا يا ولد. أنت قادر على ذلك. وقال بنفس مبهور: "ماري آن، أمسكي الحبل."

كان نعاس ماري آن يزداد. قالت لنفسها بلهجة الآمر: إبقي يقظة. إستسلمي الآن تنتهي. قبضت على الحبل مرتبكة بأصابعها الجامدة. أدخلت احدى يديها في الانشوطة ببطء وألم وأمسكت الحبل بالثانية.

نادى اريك: "جيد، مستعدة؟"

صارعت ماري آن موجة من الذعر. قالت لنفسها: اذا كان هناك من ألم فأنا أستطيع تحمله، سأتحمّل أي شيء لكي أخرج.

شد المنقذون الحبل بقوة واتزان، لكن جسم ماري آن لم يتحرك ونبّههم اريك: "لقد دخلت زاوية ويجب أن نحركها الى الوراء والى الامام كمفتاح في قفل."

حاول الفريقان شد الحبلين ثانية فيما اريك يعطي الامر بالتحريك لفريق ثم للآخر.

ونادى اريك: "ماري آن، عليك أن تقلصي صدرك. أزفري كل الهواء الذي داخل رئتيك."

شُد الحبلان الى الوراء والى الامام، وأخيراً اندفعت ماري آن طليقة كما تندفع فلينة مشدودة من قنينة.

صرخ اريك: "اجذبوا! اجذبوا! انها تتحرك الآن."

واذ تشبثت ماري آن بالحبل أحست انها تُرفع من الهوة. ودوّى حولها صدى التشجيع من المنقذين فوقها.

بعد لحظات وضعت على نقالة وتنشقت نسيم ألاسكا النظيف النقي.

جذب جويل الغطاء الى ذقنها وهمس لها: "عزيزتي، ستكونين بخير، الحمد لله."

نقلت في مروحية الى مستشفى "العناية" في أنكوريج حيث بقيت مدة أربعة أيام. كانت تعاني انخفاضاً في حرارة الجسم وارتجاجاً في الرأس وتمزقات عضلية مضاعفة ورضوضاً.

وذات يوم أيقظها في المستشفى صوت رجولي وضغط على اليد. انه الرقيب الاول اريك ساكس.

قال بهدوء: "أنت شجاعة، أريدك أن تعرفي ذلك."

فردت: "اذا كنت شجاعة حقاً فذلك لانك والآخرين ساعدتموني لأكون كذلك. ما فعلناه فعلناه معاً."

مرغريت ريس

آخر موضة

كنت أمشي في أحد شوارع لندن. فرأيت امامي فتاتين ترتديان ثياباً غريبة مزركشة وقد حلقت احداهما شعر رأسها وأبقت الاخرى على خصلة ملونة مثل ذنب حصان. وأشارت إحداهما الى الجانب الآخر من الطريق: "أنظري الى تلك المرأة وشعرها المصفَّف. كم هي قليلة الذوق!"

ش.د.

بُعد نظر!

قالت ربة البيت للخادمة الجديدة: "سيكون أجرك أربعين درهماً في الشهر الاول، وستين بدءاً من الشهر الثاني."

فردت الخادمة: "حسناً يا معلمتي. سأبدأ العمل في أول الشهر الثاني."

ك.ك.

تقدير الفن

قال هاوي جمع التحف الفنية للعامل الذي يحمل قطعة اشتراها لتوه: "احترس اثناء نقل هذه التحفة الزجاجية. كن حذراً، لان تاريخ صنعها يرقى الى ألفي سنة."

فرد العامل: "اطمئن، سأحافظ عليها كما لو أنها صنعت اليوم."

ك.م.

لُورْد هَاوْ

على هذه البقعة المفضضة المعزولة في البحار اللازوردية يكاد الزمن يتجمد

كوخنا المؤلف من حجرة واحدة يتوارى بتحفظ بين النخيل والشجيرات الاستوائية كمعظم المباني في جزيرة لورد هاو. تقول الفتاة المحتفية بقدومنا: "لا تغلقوا الابواب حين تخرجون كي لا تضطروا إلى تسلق النوافذ للدخول. فنحن لا نوزع مفاتيح هنا."

نركب الدراجات القوية، وسيلة النقل الاكثر شيوعاً في الجزيرة، ونطوف في الطرق المحفرة التي تربط بين ١١٠ منازل و١٧ نزلا وأربعة متاجر.

نجول بالدراجات قرب الغدير المحفوف بالرمل الابيض والصخور المتلألئة تحت الماء بألوان الحيد المرجاني في أقصى جنوب العالم. ويلوح جبل غاور البالغ ارتفاعه ٨٧٥ متراً وجبل ليدجبيرد البالغ ٧٧٧ متراً، نائيين مظلمين يغشاهما الضباب. من الصعب العثور على جزيرة آنق من لورد هاو.

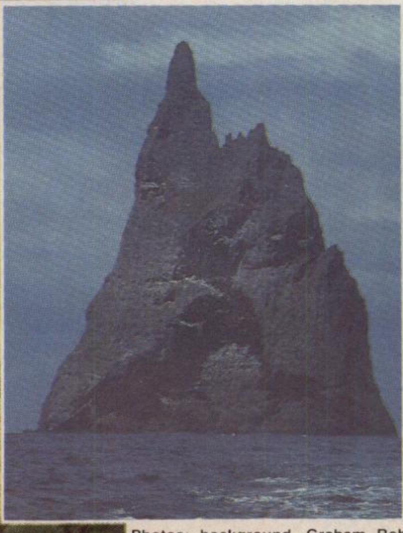

(الى اليسار) منظر شامل لمنخفض الجزيرة، ويبدو الحوض وجبلا ليدجبيرد وغاور.
(الصورة الدخيلة) نخيل كنتيا السخي.
(تحت) اطعام السمك في مسبح نيد، وهرم بول الجليل.

Photos: background, Graham Robertson / Auscape International; inset, Kevin Deacon / Auscape International; center & right, James Hutchison and Margo Pfeiff

فِرْدوسُ أوسْتراليَا

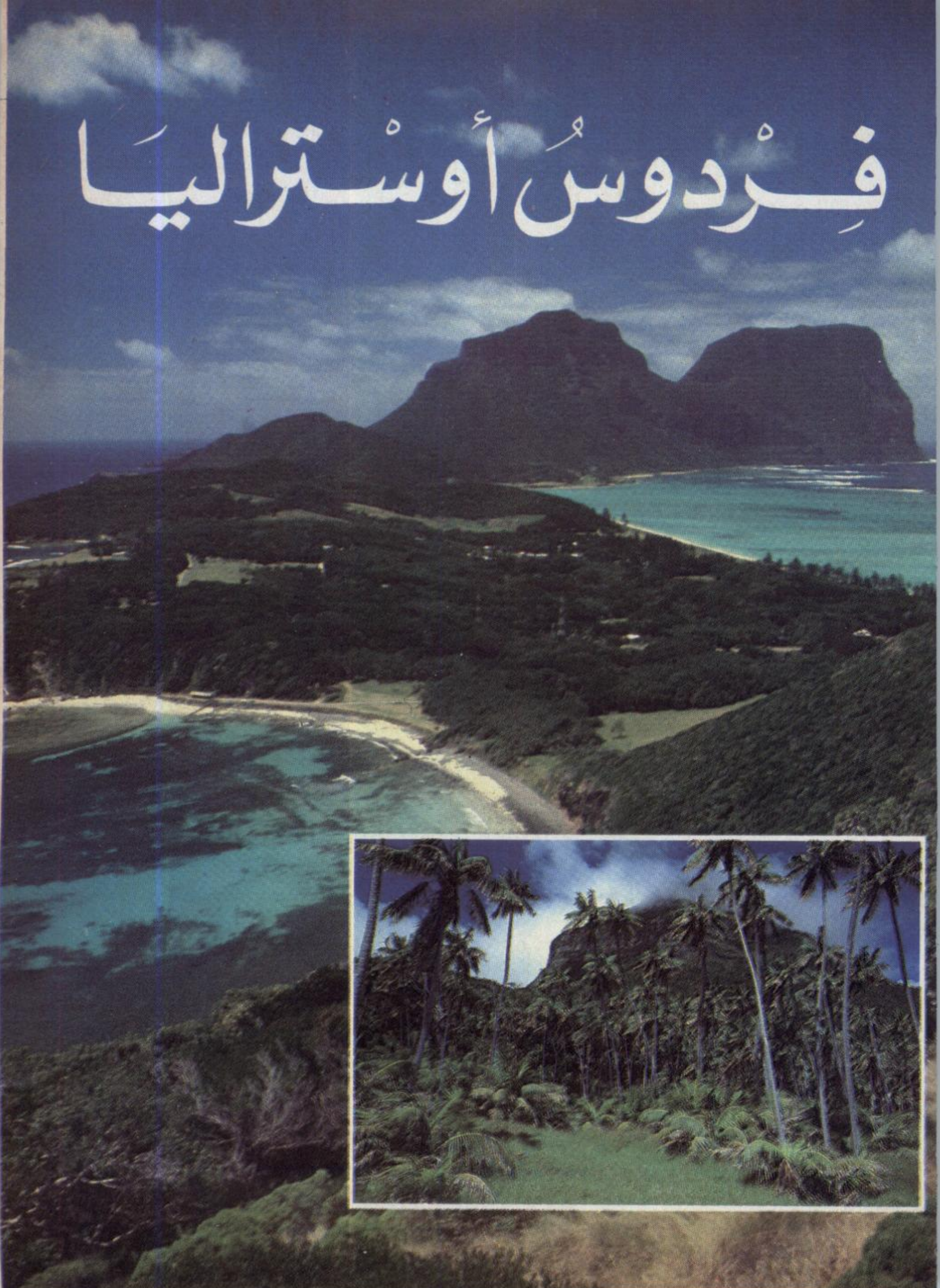

هذه الجزيرة التي زارتها سفن من "الاسطول الأول" عام ١٧٨٨ بعد أسابيع من انشاء المستعمرة في مرفأ جاكسون، أرض فضية اللون بركانية على شكل قذيفة بومرنغ (١) تبلغ ١١ كيلومتراً طولاً وثلاثة كيلومترات عرضاً عند أوسع نقاطها. وهي قائمة في بحار لازوردية وتبعد مسافة ٧٠٠ كيلومتر عن شمال شرق سيدني، في منتصف الطريق بين أوستراليا وجزيرة نورفوك.

الجمال الطبيعي شبه الاستوائي في الجزيرة، ونباتها وحيوانها الفريدان، أعجبت موظفي الأونيسكو فأدرجوا في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٢ "مجموعة لورد هاو" البالغة ٢٢ صخرة وجزيرة صغيرة موقعاً أثرياً في العالم تنبغي صيانته للاجيال القادمة. وقد صنفوها في مرتبة واحدة مع عجائب عالمية كالأهرام وجبل افرست.

طويلو الاعمار – سكان جزيرة لورد هاو، وعددهم ٢٨٥ نسمة، يتصفون بروح الجماعة ويحيون كأسرة واحدة كبيرة. فالعديد منهم ذوو قربى فعلا، وهم يشيدون بحياتهم الوادعة بمنأى عن مشاكل العالم الخارجي.

هناك كليف ويلسون، الربان وحارس الخضرة الطبيعية والدليل السياحي الذي يؤجّر دراجات هو وزوجته بيث كما يعمل وكيل نقل بحرياً. يقول كليف: "لا بطالة لدينا هاهنا. ولكن ليس من متسع لذوي الاختصاص. فنحن نعمل على أساس أن نجار اليوم هو سمكري الغد."

وغاري كرومبي هو الخباز وصاحب متجر ومشتل، كما انه يؤجِّر السيارات وأدوات الغطس. أما سعة حيلة جيم دورمان فمثالية، اذ استطاع خلال سنوات انقاذ أشياء مختلفة من مرمى القمامة في طرف الجزيرة، وابتكر منها معرضاً للتذكارات.

وعلى نحو مخالف للمنحى العالمي الشامل، فإن الجرائم في جزيرة لورد هاو نادرة الحدوث مما يبعث البهجة في النفس. وفي حقل الغولف ذي الحفر التسع يحصل الضيوف على مضارب وكرات وعربات ويضعون اكراميات في صندوق خاص. وفي الجزيرة التي تعد رسمياً جزءاً من مقاطعة نيو ساوث ويلز الاوسترالية، شرطي واحد حتى خلال المواسم السياحية المكتظة في عيدي الميلاد ورأس السنة عندما يزداد سكان الجزيرة إلى سبعمئة نسمة.

ومجلس الجزيرة هو الممثل لحكومة "نيو ساوث ويلز،" ويشرف على ادارة الحانة الوحيدة التي تستغلّ أرباحها في اجراء تحسينات في الجزيرة.

وينظم نيل وكارول وولنو جولات مسلية في حافلة صغيرة مزدحمة. توقف كارول الحافلة في باحة المدرسة لتري الركاب خريطة نافرة للجزيرة من صنع الأولاد. ويتولى ثلاثة أساتذة متفرغين ورابع بدوام جزئي تعليم ٤٤ تلميذاً من روضة الاطفال الى نهاية المرحلة المتوسطة. ويتلقى هؤلاء التلاميذ أفضل تعليم في الدولة. ويقصد كثير من الأحداث البر الاوسترالي لمتابعة الدراسة الثانوية.

---

(١) البومرنغ خشبة معقوفة يتخذ منها سكان اوستراليا الاصليون قذيفة يرشقون بها، ومن أصنافها ضرب يرتد الى الرامي.

الولادات القليلة في الجزيرة البالغة واحدة أو اثنتين سنوياً، تجلب المسرّة الى المستشفى الحسن التجهيز ذي الأسرّة الثلاثة. وإلى الجانب الآخر من الطريق، في دار الحكومة القديمة الفخمة يعلن بفخر ولادة طفل جديد في جزيرة لورد هاو وذلك بتثبيت حفاض زهري أو ازرق على سارية العلم.

وتبقى روح الجماعة المتواشجة رفيقة السكان إلى اللحد. واذ يموت أحدهم يعدّ مجلس الجزيرة ترتيبات الجنازة في مقابل رسم زهيد. وتظهر شاهدات القبور أن سكان الجزيرة طويلو الاعمار اذ يتخطون الثمانين والتسعين.

سنوات عجاف - "ألقاك عند مقلى السمك" هتاف يسمع بانتظام يوم الجمعة. الجميع يتجهون إلى "مطعم المجرة" لسماع الاقاويل والتهام الشرائح اللذيذة من السمك الملكي. وهذا أقرب ما يكون إلى الجمع "الغفير" الذي يمكن أن تلقاه في الجزيرة. وغالباً ما تعقب ذلك حفلة راقصة في نادي البولينغ وحفلات على الشاطئ وتخييم اذا كان الطقس ملائماً.

وتقام أكبر الاحتفالات في الاسبوع الذي يقع فيه "يوم الاكتشاف" اي في ١٧ فبراير (شباط). في ذلك اليوم من العام ١٧٨٨ لمح الملازم ليدجبيرد بول، وهو في طريقه إلى جزيرة نورفوك على متن السفينة "سبلاي،" جزيرة سماها "لورد هاو" تيمناً بالاميرال الأول في بريطانيا. وفي رحلة العودة الى مرفأ جاكسون وجد بحارة بول أن المياه تعج بالأسماك والسلاحف البحرية، والغابات ملأى بطيور لا تخاف اذ أنها لم تر رجالاً من قبل. وقد صاد البحارة طيوراً لموائدهم وسلاحف لقدور الطهو في سيدني.

وما ان ذاع صيت جزيرة لورد هاو كمورد ماء وغذاء وأخشاب حتى تقاطر إليها المستوطنون، وكثيرون منهم صيادو حيتان كانوا يرتزقون بتموين السفن العابرة. ولكن مع مجيء السفن المسيّرة بالبخار وانكماش الطلب على زيت الحيتان تناقص عدد السفن الراسية في الجزيرة. فبعدما بلغ عددها سبعاً في السنة مرت فترة في بداية السبعينات من القرن التاسع عشر لم تظهر خلالها سفينة واحدة.

وبانقطاع الامدادات من العالم الخارجي مرّ عشرات من القاطنين الجزيرة بأوقات عسر كالتي عرفها روبنسون كروزو في الرواية الشهيرة.

غارة الجرذان - أدرك السكان في الثمانينات من القرن الماضي أن الثروة في الجزيرة تجنى من أشجار النخيل المنتشرة في كل مكان، اذ تبين أنها نبات مثالي يوضع في أصص داخل البيوت. وأخذ المستوطنون يصدرون البذور لتجهيز ساحات النخيل حسب النمط الشائع في الفنادق الفخمة وعابرات المحيطات في بداية هذا القرن. وازدهرت هذه التجارة كثيراً.

• عام ١٩١٨ جنحت السفينة "ماكامبو" قرب الجزيرة. ونزلت منها جرذان غزت الجزيرة والتهمت مقادير كبيرة من بذور النخيل مما هدد بنفاد هذا المورد. وتذكر

نيدو الحليب الأفضل
INSTANT
سريع الذوبان
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
enrichi de vitamines A et D
Full cream powdered milk
enriched with vitamins A and D
حليب مجفف كامل الدسم
أضيف إليه فيتامين «أ» و«د»
نيدو الأفضل طعماً، الأسرع ذوباناً، الأضمن نتيجة والأوسع إنتشاراً.
نيدو السريع الذوبان: ضمانة أكيدة لنمو أولادكم.
Nestlé
تضمنه نستله

ليلي ويلسون، وهي في الحادية والتسعين من عمرها، أنها قتلت جرذاناً في صباها وجمعت جوائز من ستة بنسات في مقابل كل ذيل. أما الآن فإن برامج التسميم الشاملة تحد من القوارض، ويصدر أحد المشاتل نحو مليونين ونصف مليون غرسة نخيل سنوياً.

ان الكثير من سكان الجزيرة متحدرون من الرواد الاوائل. وأحدهم، واسمه ميشال تومسون، هو من حفدة صائد الحيتان الامريكي ناثان تشايس تومسون الذي قدم الى الجزيرة في مستهل العام ١٨٥٠. وهو يعمل على ترميم بيت أسلافه الأقدم في الجزيرة. ومع أن تومسون ولد في الجزيرة إلا أنه لا يملك أرضاً فيها، ولا يملك أي كان أرضاً فيها ايضا. فالجزيرة بأسرها ملك للتاج البريطاني، ويعطى سكانها إجارة من ٢٠ ألف متر مربع أو أقل إلى الابد، ويتوجب عليهم أن يسكنوها على الدوام، مما أدىّ إلى ازالة أكواخ العطل.

ويحافظ مجلس الجزيرة على مظهرها، بحظر الأسلاك الممدودة في الجو وقصر ارتفاع المباني على سبعة أمتار ونصف متر. ولا يسمح لتومسون وغيره من المستأجرين بقطع غصن شجرة أو تغيير طلاء البيت من دون اذن المجلس.

يقول حاكم الجزيرة جيم لايسي: "يتذمر البعض من ان تعليماتنا بيروقراطية عمياء. لدينا هدف واحد نسعى اليه: أن نصون بيئتنا الفريدة."

حصن أسطوري – في المتحف، يتولى ديفيد بولارد، أحد علماء الحياة البحرية من "معهد أبحاث مربي السمك" في نيو ساوث ويلز، عرض شرائح عن الحياة البحرية والمرجان في اليابان وفلوريدا والحيد المرجاني الكبير في اجتماع لساكني الجزيرة.

لقد وفد بولارد إلى الجزيرة ليقترح سبلا لحماية الحياة البحرية فيها. ويوضح أن المنشآت السياحية في المحيط الهادئ أتلفت المرجان: "أنتم محظوظون. إن جزيرة لورد هاو لم تشهد تطاولا في البنيان أو توسعاً على نطاق كبير. ان حيدكم المرجاني مصون."

وللتحقق من ذلك نغطس في حوض الجزيرة. وعلى بعد أمتار من الشاطئ ننزلق على الحاجز المرجاني الملون الذي يمور بضروب مختلفة من المرجان والشقائق وما يربو على ٤٠٠ نوع من السمك، بما فيها السمكة الفراشة ذات المنظر الأخاذ.

ولدى وقوفنا في الماء إلى حد الركب في "مسبح نيد" في الجانب الآخر من الجزيرة، نطعم مئات الأسماك خبزاً وهي تدور ملتوية حول سيقاننا. نجلس في دعة على الشاطئ بين النخيل وشجر تين البنغال لنراقب ظلال طيور الضأن (٢) العائدة من يوم صيد في البحر. واذ تنحدر فجأة إلى الأرض تسرع الى جحورها المتوارية. كل عام يتخذ خمسون ألفاً من هذه الطيور ذوات القوائم اللحمية من الجزيرة مكاناً تعشش فيه. وبعضها يفد الى الجزيرة آتيا من سيبيريا.

الجزيرة أمنية تراود مراقبي الطير، اذ يمكن تحديد ١٢٠ نوعاً من الطيور

(٢) Mutton birds

باقتفاء آثارها. وثمة نحو مئة ألف من الخراشن (٣) وطيور النوء (٤) تعشش في الجزيرة كل عام. وكلا الجبلين في الجزيرة، غاور الوعر الذي يستغرق بلوغ قمته ثلاث ساعات، وليدجبيرد، هما الملاذان الاخيران الرئيسيان في العالم لطيور النوء. والطائر المحلي الأشهر هو دجاج الخشب الذي تناقصت اعداده إلى اثني عشر طائراً، ولولا برنامج لتربية الطيور في الاسر لكان هذا العصفور الصغير غير الطيار، انقرض نهائياً.

وعلى مسافة ٢٣ كيلومتراً من جزيرة لورد هاو يقع هرم بول حيث أعلى ذروة صخرية في العالم على ارتفاع ٥٤٨ متراً، شامخة في الافق على نحو غريب، كحصن غامض في أسطورة. وهذه الاطلال المسننة لأحد البراكين لم يتسلقها أحد قبل العام ١٩٦٥.

مقاومة العصرنة – ننضم إلى الدليل بول بومون في جولة إلى الصخرة على متن مركبه، تواكبنا عشرات الدلافين اللعوبة المتسابقة.

واذ تقذفنا الامواج العاتية خارج الحيد المرجاني نقدر الصعوبات التي يكابدها سكان الجزيرة للحصول على المؤن. يتوقف هناك مركب صغير كل أسبوعين، لكن البواخر الكبيرة لا تتمكن من ولوج الحوض الضحل. وترسو في البحر المفتوح الباخرة "نورفوك ترايدر" التي تموّن جزيرة نورفوك أيضاً، وتفرّغ حمولتها من ثلاجات وسيارات وأطعمة وسواها في قارب الشحن الذي يقتنيه سكان الجزيرة.

القرن العشرون يتغلغل الى وجوه كثيرة من الحياة في الجزيرة. عام ١٩٧٤ بنت شركة "الهندسة الملكية الاوسترالية" مدرجاً يستوعب الطائرات الآتية من جزيرة نورفوك والبر الاوسترالي.

وعندما أدخلت الهواتف الخاصة عام ١٩٨٢ ووصل الى الجزيرة الهوس العالمي بأجهزة الفيديو، واجه السكان تغيرات مذهلة. وقررت ادارة نزل "أشجار الصنوبر" القديم مقاومة التطور بعدم تركيب جهاز هاتف، باعتبار أن الزوار (أمثال نيفيل ران رئيس الوزراء السابق في نيو ساوث ويلز) يقصدونه فراراً من ايقاع حياة المدينة.

ولكن في العام ١٩٨٧ جذب القمر الاصطناعي للاتصالات "اوسات" أجهزة الهاتف والـ"فاكسيميلي" (٦) والتلفاز الى الجزيرة. وأذعن نزل "اشجار الصنوبر" للامر ورُكب فيه هاتف مكتبي وآلة "فاكسيميلي" للحجوزات.

يقول جيم لايسي: "التغيرات آتية بلا ريب، ولكن بعد مئة سنة سيبقى في مستطاع الناس أن يؤموا هذا المكان ويمتعوا أنظارهم بجزيرة لورد هاو التي لم تعتر محاسنها الطبيعية شائبة، تماماً كما نتمتع بها اليوم."

جايمس هاتشيسون ومارغو بفايف

(٣) sooty terns وهي ضرب من النوارس.

(٤) Petrels

(٥) Woodhen

(٦) نظام لارسال الصور أو المواد المطبوعة سلكياً أو بالراديو.

القافية انتصار على تقييدات اللغة. ك.د.

تقرير خاص

إلى الرياضيين: المنشطات موت بطيء

في أوائل شهر ابريل (نيسان) ١٩٨٧ كانت بريجيت دريسل، إحدى فضلى رياضيات ألمانيا الغربية الاولمبيات، تتدرب على رمي الكرة الحديد، فشعرت بألم حاد في أسفل ظهرها مما دفعها الى استشارة طبيب في بلدتها مينز. ولم ينفع الدواء المسكّن في ازالة الألم، ولم تجدِ الاقراص والتحاميل والحقن التي تناولتها في اليومين التاليين.

ثم ساءت حالها على نحو مثير، فهُرع بها الى مستشفى جامعة مينز حيث أكب أكثر من عشرين طبيباً اختصاصياً على معالجتها والحيرة تغمرهم. لكن جهودهم ذهبت سدى. وبعد ظهر ذلك اليوم ازرقّت شفتاها وأظافيرها وتكوّنت على فمها قشرة بيضاء. ولم تنفع الانابيب وعمليات نقل الدم والتنفّس الاصطناعي في قسم العناية الفائقة، وتوفيت بريجيت في الليل عن ٢٦ عاماً.

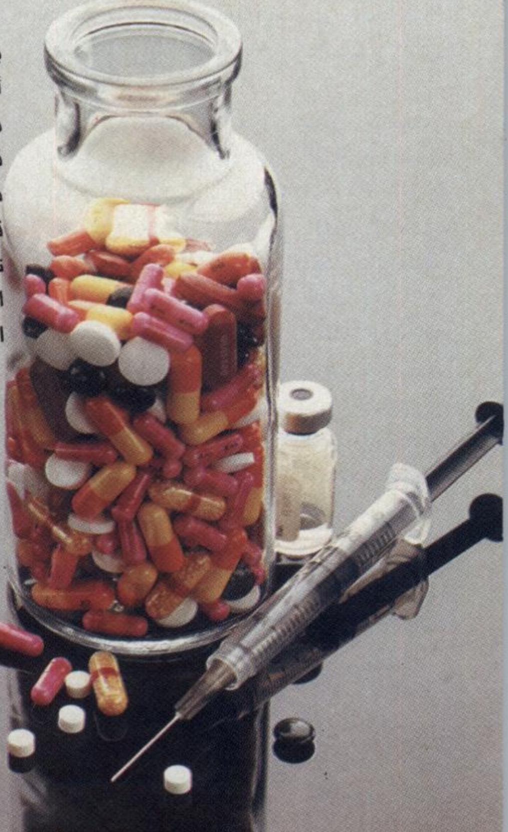

نحو ٥٠ في المئة من الرياضيين العالميين يتعاطون العقاقير المحظورة لتعزيز أدائهم. وهذا الجنون لا يهدد حياتهم فقط بل مستقبل الرياضة كلها

Photo: Whitney Lane

ظلّت تفاصيل قصّة بريجيت خافية حتى شهر سبتمبر (أيلول)، وما ان شاعت حتى أحدثت صدمة عنيفة في عالم رياضة الهواة. واكتشف المحققون أن بريجيت في سعيها الحثيث الى نيل ميدالية ذهبية في دورة ١٩٨٨ للالعاب الاولمبيّة، دأبت طوال السنتين السابقتين على تناول أكثر من مئة صنف من العقاقير، ابتلاعاً وتنشقاً وحقناً. وأثمر مسعاها ذاك إذ سجّلت في تلك الفترة صعوداً "صاروخياً" نقلها من المرتبة الثالثة والثلاثين في الترتيب العالمي الى المرتبة السادسة. على أن أعجوبة تقدّمها، كما موتها، كانت في معظمها كيميائية. وهي عانت ميتة بطيئة مروعة وغامضة بعدما تسمّم جسمها وانحلّ دمها. ولم يجد الاطباء وصفاً لوفاتها إلا العبارة الفضفاضة "حادث حساسية سامّة."

تصريحات خطيرة

النزع الذي عانته بريجيت دريسل كان برهاناً مخيفاً على أن أزمة كبرى تهدّد الرياضيين الدوليين ومصدرها العقاقير. ويقول البريطاني سيباستيان كو بطل العالم في سباقي الثمانمئة متر والالف متر: "ان أكبر مشكلة منفردة يواجهها عالم الرياضة اليوم هي إساءة استعمال العقاقير." وتشير التقديرات الى أن أكثر من ٥٠ في المئة من الرياضيين ذوي المستوى العالمي يستخدمون المواد الممنوعة لتعزيز أدائهم. فالميداليات والكؤوس والارقام القياسيّة ملطّخة بالكيميائيات.

في روما، بعد خمسة أشهر من وفاة دريسل، أدلى العدّاء الامريكي كارل لويس الفائز بأربع ميداليات ذهبيّة في دورة الالعاب الاولمبيّة للعام ١٩٨٤ في لوس انجلس، بتصريح حطّم الهدوء الظاهري المخيّم على مباريات البطولة العالميّة في سباق المضمار والميدان. قال: "ان عدداً كبير من الرياضيين المغمورين يأتون الى هنا ويركضون على نحو لا يُصدّق. هناك بين الفائزين بميداليات ذهبية في هذه السباقات من يتعاطون العقاقير. إن الامر واضح والجميع على علم بذلك."

بهذا التصريح دق لويس ناقوس الخطر. وأظهرت الاشهر التالية صحّة أقواله:

• في نوفمبر (تشرين الثاني) مثل البريطاني ديفيد جنكنز، الفائز بميدالية فضيّة في الالعاب الاولمبية عام ١٩٧٢ في سباق الاربعمئة متر تناوباً، أمام القضاء في سان دييغو واعترف بأنه شريك في شبكة تربح ملايين الدولارات سنوياً متخصصة بالستيرويدات الابتنائية(١) وهي مواد اصطناعية تعمل عمل الهورمون الذكري "تستوسترون" ويستخدمها الرياضيون ومحترفو كمال الأجسام من أجل تنمية عضلاتهم. وعلى أثر ذلك تمّ اكتشاف شبكات أخرى في بريطانيا وهولندا وفرنسا.

• في الشهر ذاته قُبض في محطة للسكك الحديد على ثلاثة رياضيين بولونيين من المشتركين في بطولة العالم لرفع الاثقال التي أقيمت في

(١) Anabolic steroids

فريدريكستاد بالنروج، ومعهم ٩٠٠٠ جرعة من الستيرويد. وذكّرت هذه القضية بقضيـة اثنين من رافعي الاثقـال السوفييت قبضت عليهما السلطات الكندية في العام ١٩٨٤ وفي حوزتهما كميّة من الستيرويد تبلغ قيمتها ٦٠٠٠ دولار. وفي أواخر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ أوقفت السلطـات الجمـركيـة النـروجية الفـائز الأول في مبـاراة فريدريكستاد، بطل العالم البلجيكي اريك كوبن، وضبطت في سيارته كمية من الستيرويد والتستوسترون تبلغ قيمتها ٣٤ ألف دولار.

• في خريف ١٩٨٧ كشف مستشفى الاطفال في لندن عن اختفاء شحنة من هورمون النمو البشري تبلغ قيمتها ٤٠ ألف جنيه استرليني، وهي مادة تمّ تركيبها حديثاً كعلاجٍ للاطفال المعاقي النمو (الاقزام) وأعتقد - خطأ - أنها تزيد الرياضيين الشباب قوة وحجماً.

• في فبراير (شباط) ١٩٨٨ حُرم ياروسلو مورافيكي، أفضل لاعبي الهوكي في بولونيا، من الاشتراك في الالعاب الاولمبية الشتوية في كالغاري بكندا بعدما أظهرت التحاليل وجود ستيرويد في دمه.

• في الدورة العالمية في سباق المضمار التي أجريت حديثاً في زوريخ، تغيب أكثر من نصف الرياضيين الثمانية والعشرين المشتركين في ألعاب القوى (رمي الكرة الحديد والمطرقة والقرص) مما أثار اشمئزاز منظّم المباراة راس بروغر ودفعه الى القول: "ان المعنى الوحيد لهذا التصرّف هو أن الفحص الخاص بالمخدرات أثار خوفهم. وإذا استمرّت الأمور على هذا المنوال فلن تكون هناك مباريات في المستقبل. لذلك يتعيّن علىٰ الاتحاد الدولي للرياضيين الهواة وعلى الاتحادات الوطنية للرياضة أن تفرض مزيداً من الرقابة."

همسات خائفة

بعد انتهاء مباريات البطولة في روما نفى رئيس الاتحاد الدولي للرياضيين الهواة بريمو نبيولي المزاعم حول تفشي استعمال العقاقير بين المتبارين، وأعلن أنه لم يسجَّل أي حادث مخدرات في أي من مسابقات بطولة العالم في العاب القوى منذ بدئها عام ١٩٨٣. على أن تأكيداته تلك قوبلت بكثير من الشك. وقال الدكتور روبرت فوي كبير الاطباء في اللجنة الاولمبية الامريكية معلقاً: "اني أشكّ في طريقة اجراء الفحص، وأدعو الى التحقيق في طمس النتائج الحقيقية."

ولقد عبّر ألكسندر دو ميرود رئيس المفوضية الطبيّة في اللجنة الاولمبية الدولية عن شكوكه هو أيضاً.

وفي حِجرات الادراج المقفلة في أرجاء العالم تُسمع أصوات الرياضيين الذين بدأوا يدركون المعاني الضمنيّة لوفاة بريجيت دريسل. ومن هؤلاء رياضية تدعى غابي بوسمان هي عدّاءة في فريق ألمانيا الغربية وإحدى زميلات دريسل اللواتي فهمن سبب شعورها بالاحباط. وهي تقول: "هناك حقول يصعب فيها بلوغ المستوى الاولمبي ما لم يلجأ المرء الى العقاقير، وانها لشجاعة لا يستهان بها أن تتمكن رياضية عاديّة من التباري مع عدد كبير

من المنافسات اللواتي هنّ أقرب الى الرجال منهن الى النساء." وبوسمان التي تتمتع برشاقة وأنوثة وبتحرر مطلق من العقاقير، تخلّت أخيراً عن اختصاصها السابق وهو سباق الاربعمئة متر وتحوّلت الى سباق الثمانمئة متر. والسبب أن العقاقير تفيد في العدو مسافات قصيرة بينما هي أقلّ فاعلية في السباقات الطويلة.

والى صوت ميرود ارتفعت أصوات أخرى احتجاجاً. ويقول البروفسور ويلدور هولمان رئيس الاتحاد العالمي للطب الرياضي في كولونيا: "في اعتقادي أن هناك عدداً ضئيلاً جداً من الرياضيات اللواتي سجلن أرقاماً قياسيّة عالميّة من دون الاستعانة بالستيرويد الابتنائي في الرياضات التي تتطلب سرعة وقوّة وطاقة، مثل الركض والقفز العريض والعالي ورمي الكرة الحديد والقرص وربما الرمح."

تأثيرات مفجعة

كان الرياضيون الأول في زمن الاغريق يتناولون الفطر وغيره من المواد أثناء الاحتفالات الاولمبية في القرن الثالث قبل الميلاد. ومنذ ذلك التاريخ والمتبارون لا ينفكون يبحثون عن مواد تعطيهم دفعاً إضافياً. على أن استخدام علم الكيمياء لم يغزُ عالم الرياضة الا بعد الحرب العالمية الثانية، واقتصرت أساليب الغش حتى منتصف الستينات على استخدام المنبّهات المرتكزة على مادة الأمفيتامين. ولقد أعلن البروفسور مانفريد دونايك، عضو اللجنة الاولمبية الدولية ورئيس المختبر الالماني الغربي لمكافحة المخدرات، أن أرض الحمّامات التي خصصت للرياضيين في دورة طوكيو للالعاب الاولمبية عام ١٩٦٤ "كانت مكسوة بالقوارير والمحاقن المبعثرة في كل مكان."

ومنذ بدأ اخضاع المشتركين في المباريات الدولية لفحوص مخبريّة في العام ١٩٦٨ في دورة غرينوبل للالعاب الاولمبية الشتوية، أُهمل الامفيتامين نظراً الى سهولة اكتشافه في عيّنات البول، وراح المتبارون يفتشون عن مواد بديلة.

كان الستيرويد الابتنائي العقار العجائبي الذي اكتشفوه. فعمله ليس تزويد الجسد الطبيعي حيوية ونشاطاً، بل إعطاء الرياضي جسداً جديداً. ولوحظ أن امتصاص الجسم كميات ضخمة من الستيرويد الابتنائي أو من هورمون التستوسترون يساعد على تنمية العضلات في فترات اعجازية. ولم يُعرف التأثير المريع الذي تخلفه هذه المواد في الجسم إلا لاحقاً. فهي تبني جهة وتهدم أخرى، وفيما العضلات تنتفخ وتنمو تضعف الأوتار وتهن نسبياً.

في أسوأ الحالات تكون النتيجة انفجار أوتار العرقوب (أوتار أخيل) أو تهشم الركب أو تمزّق العضلات وانفصالها عن أقواسها العظميّة كما حصل للمصارع الاسوجي (السويدي) بيل سفنسون. فهو كان يتناول الستيرويد بانتظام الى أن جاء يوم انهارت العضلة الرئيسية في ظهره، وكان ذلك أثناء دورة ميونيخ الاولمبية عام ١٩٧٢. وحصل ذلك ايضاً

لـرافـع الأثقـال الفنلنـدي كـارلـو كانغانسنيمي الذي انفجرت عضلة كتفه اليسرى أثناء مباراة على المستوى الوطني في العالم ١٩٧٥.

ولهذه المواد تأثير قاس في الاناث. ويقول ارنست جيكوب طبيب الفريق الالمـاني الغربي النسـائي للالعـاب الثنائية: "ان الستيرويد الابتنائي هو أسوأ ما يمكن أن تتعاطاه رياضيّة." ومن شأن الهورمون الذكري، طبيعياً كان أم اصطناعياً، أن "يوهم" جسم المرأة بأنه جسم رجل، فينبت الشعر في أجزاء مختلفة من الجسم وفي الوجه ويعمق الصوت ويتوقف الحيض ومعه الخصب. ومعظم هذه التأثيرات ذات طابع دائم. أما تأثيره على المدى البعيد فيتعدى كل ذلك إلى ما هو أسوأ مثل سرطان الكبد وتعطل الكليتين ومشاكل في القلب واعاقة في النمو إذا كانت المتعاطية مراهقة.

وللستيرويد الابتنائي تأثير مفجع في الرياضيين الذكور. فعندما يشعر الجسم بتدفق الهورمون الجديد يوقف انتاجه للهورمون الذكري في محاولة لاعادة التوازن الطبيعي، ويروح يفرز كميات أكبر من الهورمون الانثوي. وربما أدى ذلك الى إخصاء كيميائي وأعراضه تقلص الخصيتين وبروز الثديين. وقد يقع متناول الستيرويد ضحيّة نوبات من العدوانية والسلوك الجنسي الشاذ غير المتوقع، الى التأثير الطويل ذاته الذي تتعرض له الإناث من اضطرابات في الكليتين والكبد والقلب والنمو. كما أن بعضهم يصابون بالعقم، ويتعرض البعض الآخر، ولاسيما الذين يتناولون كميات كبيرة من هذه المواد، للاصابة بسرطان غدّة البروستات.

هوس الفوز

اختصر ريموند بروكس أستاذ كيمياء الغدد في مستشفى القديس توما في لندن، مخاطر استعمال الهورمون مشبهاً إياه بروليت روسيـة(٢) حيث حشي المسدّس بثلاث رصاصات. أما البروفسور جيرار سايان المستشار في وزارة الرياضة والشباب في فرنسا فقال: "إنه نوع من الانتحار بالاحتراق البطيء."

وعلى رغم المخاطر التي يحملها الستيرويد فانه منتشر على نحو وبائي. وتشير التقديرات الحالية الى أن عدد الذين يتناولونه بانتظام في الولايات المتحدة وحدها يراوح بين مليون وثلاثة ملايين، والنسبة هي ذاتها في أوروبا. ويقول الامريكي إدوين موزس بطل سباق الاربعمائة متر حواجز ان أكثر من نصف الرياضيين في أمريكا يتناولون نوعاً من العقاقير. أما ماري ديكر سلاني إحدى أبرز عدّاءات المسافات الطويلة في العـالم فتؤكـد أن "عـدد متعـاطي الستيرويد بين الرياضيين الدوليين يفوق عدد الممتنعين عنه." وفي صيف ١٩٨٧ عمد ساندرو دوناتي مدرّب الفريق الوطني الايطالي لسباق المسافات القصيرة آنذاك، الى مهاجمة عالم سباق المضمار متهماً بأن المخدرات متفشية فيه.

(٢) في الروليت الروسية أو "لعبة الموت" توضع رصاصة واحدة في قرص مسدس ويدار القرص، ثم يضع اللاعب فوهة المسدس على رأسه ويضغط الزند، فيكون حظه الموت أو الحياة.

ويرى نوربرت ولوش رئيس الاتحاد النمسوي لألعاب القوى "أن عدداً كبيراً من الرياضيين يتوهمون أن عليهم تناول الستيرويد لكي يتمكنوا من التباري دولياً. وهناك عدد قليل جداً من رافعي الاثقال لم يتعاطوا الستيرويد."

المستقبل المنظور لا يحمل نهاية لهذه المشكلة. ويقول البروفسور أرنولد باكيت عضو اللجنة الطبيّة في اللجنة الاولمبية الدولية والمدير السابق لمركز ضبط العقاقير واختبارها في بريطانيا: "يظنّ الرياضيون أنه لزام عليهم أن يتناولوا شيئاً ما لكي يكونوا على مستوى متعاطي العقاقير. وهكذا تظلّ المشكلة في تصاعد مستمر."

وخلص كولن موينهان وزير الرياضة في بريطانيا الى نتيجة متشائمة: "ربما أدى ذلك الى نهاية الرياضة التنافسية العادلة."

ويؤكد البعض أن هذه الرياضة انتهت فعلاً، ويدلون بالشواهد والبراهين. ففي أثناء الالعاب الاولمبية في مونريال عام ١٩٧٦ احتدّ مدرّب فريق ألمانيا الشرقية النسائي للسباحة حين سئل عن ضخامة عضلات السابحات الجميلات في فريقه وعمق أصواتهن، ورد غاضباً من دون حرج: "إننا هنا لنسبح لا لنغني."

"نظافة" مغشوشة

قبل إحدى عشرة سنة، عندما لجأت العدّاءة الالمانية الشرقية رينات نوفلد الى الغرب، كشفت أنها كانت تتناول اقراصاً "مساعدة." وأيدّ أقوالها نعيم سليمانوف بطل العالم في رفع الاثقال الذي لجأ حديثاً من بلغاريا الى تركيا.

يبقى التعاطي الحر في الغرب سيّد الموقف. وهناك امكان جني أموال طائلة من بيع الهورمون في الشوارع كما بيّنت قضية ديفيد جنكنز. ولا يجد الزبائن مشقّة في العثور على ما يبغون من الاقراص والحقن ما داموا مستعدين لدفع أثمانها. ولا تتوانى شركات الصيدلة عن تعويم السوق. ومعظم المتعاطين في الغرب هم من محترفي كمال الاجسام. على أن كثيراً من رياضيي سباق المضمار انضموا الى الصرعة السائدة، فهم يتهافتون على الستيرويد المعدّ للاستعمال البشري إذا توافر. أما في حال عدم توافره فانهم يتحولون الى الستيرويد المعدّ للاستعمال البيطري، والكثير من المتعاطين يفضلون الصنف الثاني لأن تأثيره فيهم، كما في العجول التي أعد لها أصلاً، هو زيادة الوزن بنصف الثمن.

لكن الثمن على الصعيد البشري غالباً ما يكون المرض أو الموت. وفي تقدير البروفسور لودفيك بروكوب مدير المعهد النمسوي للطبّ الرياضي، أن عدد الرياضيين الغربيين المتفوقين الذين قضوا في فترة ما بعد الحرب بسبب المخدرات يبلغ نحو سبعين، يقابلهم نحو خمسين رياضياً من الكتلة الشرقية. والفرق يعود الى الرقابة الشديدة التي تمارسها الدولة في الكتلة الشرقية على الرياضيين. والثمن المدفوع بطرق أخرى باهظ أيضاً، ولقد أسرّ طبيب سوفييتي الى زملاء له غربيين بأنه اكتشف خلال معايناته لرياضيين سابقين شباب أكثر

بحلتها الجديدة

مجلة كل بيت

الحسناء

اسبوعية فنية اجتماعية شاملة

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة تهتم بشؤون كل بيت :

- منوعات
- تحقيقات ومقابلات
- فن
- ثقافة
- تجميل
- اناقة
- مشكلة وحل
- طب
- مطبخ
- طبيعة
- حديث الابراج

بالاضافة الى عدة ابواب اخرى

المُنَسِّق
(الكومْبيوتر)

آلة مُعالجة المعَلومَات وَأسُس المعَلومَاتيَّة

تأليف جاك كونيسكي

هل هناك تعبير علمي اقرب الى عمل الكومبيوتر من كلمة "المنسق"؟

و"المنسق"، كما يصفه واضعه المهندس والاستاذ الجامعي جاك كونيسكي، هو "مرجع دقيق، علمي، سهل يوضح لنا حقيقة هذه الآلة (الكومبيوتر) التي فرضت استعمالها لمعالجة المعلومات في حياتنا اليومية وأدخلت حقلا جديداً في سلسلة العلوم عُرِفَ بالمعلوماتية، ما لبثت أن أصبحت أداة أساسية تستعين سائر العلوم بطاقاتها.

وهذا المرجع المطلوب هو الآن بين أيديكم، وقد وُضع للمرة الاولى في اللغة العربية مع التصوير التقني الملوّن ملحقاً بمعجم مصغّر للمعلوماتية يَسْرد أهم كلماتها وعباراتها باللغات العربية والانكليزية والفرنسية.

ولا شك في أن هذا الكتاب يُكَوِّن أداة مفيدة سوف يستعملها التلامذة والطلّاب والموظفون وأربابِ العمل والمسؤولون في جميع المِهَن والحقول؛ وهو لم يوضع فقط ليُطالع بل ليُعتمد مرجعاً يُستشار كلما دعت الحاجة الى توضيح فكرة أو كلمة أو عبارة أو إلى رؤية صورة تعود الى المُنَسِّق والمعلوماتية."

أسرع في الحصول على الكتاب الآن.

قسيمة الشراء (إملأ بخط واضح وبالعربية أو الانكليزية):

الاسم: ______________________ العمر ____________

العنوان الكامل: ______________________________

(ارسل بالبريد الجوي المسجّل (المضمون) القسيمة مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم جاك كونيسكي بقيمة ١٠ (عشرة دولارات أمريكية الى أحد العنوانين الآتيين: مجلة "المختار": ص.ب: 8707-11 بيروت – لبنان أو – مجلة "المختار": ص.ب: 55228 المتن • الشمالي – لبنان.

الرجاء وضع العبارة الآتية على المغلّف: "المنسق".

من ٢٠٠ حالة من سرطان البروستات ناشئة بلا ريب من تعاطي الهورمون.

ولاعتبارات عائدة الى طموح شخصي بلا حدود من جهة، والى مكانة الدولة واعتبارها من جهة أخرى، تستمر لعبة العقاقير في الشرق والغرب وتزداد أساليب الغش براعة. والآن وقد غدت الفحوص المخبريّة إلزامية في جميع المباريات الاولمبية ومباريات الاتحاد الدولي للرياضيين الهواة، أصبح همّ الغشاشين أن يتغلبوا على الفحص. وأبسط طريقة لذلك هي ايجاد مسؤول رسمي على استعداد لأن يمدّ الرياضيين المدمنين بعيّنات من البول "النظيف" أو يغضّ النظر عن الفحص. وهذا ما حدا رون بيكيرنغ، وهو مدرّب بريطاني مرموق ومعلّق رياضي، على توجيه انتقاد الى مباريات البطولة التي أجريت في روما. وهو قال لي: "استناداً الى ما ذكره رياضيون آخرون، نعتقد أن الرياضيين الايطاليين تناولوا كميات كبيرة من العقاقير لانهم علموا أنهم لن يخضعوا للفحص."

قائمة المحظورات

غالباً ما يتساهل منظمو المباريات غير الاولمبية ولا يلتزمون اجراء فحوص متشدّدة. وفي العام ١٩٨٢ في مباراة دولية أقيمت في لندن بين بريطانيا وألمانيا الشرقية، إتفق ممثلو البلدين على الغاء الفحوص. وفي مباراة أخرى أجريت في بريطانيا عام ١٩٨٣ أصرّ طبيب الفريق السوفييتي على إرسال عيّنات الرياضيين الى مختبر في موسكو بدل المختبر البريطاني المتفق عليه سابقاً. وهو نال مطلبه. وعندما أرسلت النتائج بعد أشهر الى بريطانيا كانت جميعها "نظيفة."

تبقى في جعبة الغشّاشين خدعتان يلجأون اليهما عندما يستحيل عليهم تجنّب الفحص، وهما التوقف عن تناول الهورمون أو استخدام عنصر مموّه. وبما أن آثار الستيرويد تختفي من الجسم خلال أسابيع قليلة، فإن السر هو التوقف عن أخذه قبل شهر أو نحوه من المباراة. ولا يقع في الشرك سوى المخادع الذي لا يتوقف عن تناول المادّة في الوقت المناسب، مثلما حدث للسويسرية ساندرا غاسيت رابحة الميدالية البرونزية في سباق الـ١٥٠٠ متر في مباريات بطولة العالم التي أقيمت في روما في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧، إذ كانت الوحيدة التي كشف الفحص تعاطيها الهورمون. ويُعتقد أن لاعبات سواها انقطعن عن الهورمون في الوقت المناسب.

والعنصر المموِّه هو عقار ثان يخفي آثار العقار الأول. وخلال العام ١٩٨٧ أثار فضول تقنيي المختبرات وعجبهم وجود آثار للعقار "بروبنيسيد" في عيّنات بول اللاعبين. وبعد مزيد من التقصي اكتشفوا السبب: البروبنيسيد يحجب آثار الستيرويد الابتنائي طوالِ ساعات ويعوق اكتشافه. وعلى أثر ذلك أدرج على قائمة المواد المحظورة في اللجنة الدولية الاولمبية.

وهذه القائمة التي جُمعت عام ١٩٦٧ والتي تجددها بانتظام اللجنة الطبية المتفرعة من اللجنة الاولمبية الدولية، هي

خط الدفاع الامامي في الحرب ضدّ المواد الكيميائية في عالم الرياضة. وهي تحظر صراحةً استخدام نحو مئة مركّب موزّعة على خمس فئات، وهي: المنبّهات مثل الامفيتامين، والمسكنات المخدِّرة مثل المورفين، والستيرويد الابتنائي الطبيعي والمركب اصطناعياً ومدرّات البول وسواها من العوامل المموِّهة، والمعترضات البائية(٣) وهي الدواء المستعمل ضدّ الإجهاد الذي يفضّله القنّاصون لأنه يثبت أيديهم ويمنع الرجفة ويشحذ التصويب.

عام ١٩٨٥ حظرت اللجنة الدولية الاولمبية طريقة أخرى لتعزيز أداء اللاعبين وهي "التقوية بالدم"(٤). ويتم ذلك بسحب نحو ليتر من دم الرياضي وخزنه في البرّاد ثمّ إعطائه اياه مجدداً قبل المباراة مباشرة. وهذا من شأنه أن يضاعف مقدرة الرياضي على حمل الاوكسيجين وبالتالي مقدرته على الاحتمال. ولقد اعترف الفنلندي عدّاء المسافات الطويلة كارل مانيكا باستخدام هذه الطريقة في مباريات موسكو الاولمبية عام ١٩٨٠، وهو فاز فيها بميداليات فضّية وبرونزية. وبعد دورة لوس انجلس الاولمبية عام ١٩٨٤ صرح أربعة أعضاء من الفريق الامريكي الفائز في سباق الدراجات بأنهم لجأوا الى هذه الطريقة.

ماذا بعد؟ أحدث صرعات اليوم إقبال الرياضيين على هورمون النمو البشري المركّب إصطناعياً وعلى الهورمون التناسلي المشيمي(٥). ويستعمل الأول علاجاً للاطفال الذين يعانون نقصاً في الهورمون، إلا أنه يؤدي في الكبار الى تضخم عظم الأطراف بسبب خلل يحدثه في الغدّة النخامية يرافقه نتوء في الفك الاسفل وتضخم في اليدين والقدمين وغلاظة في الشفتين واللسان. وعلى رغم التحذيرات من خطره وعدم جدواه، يسود بين الرياضيين اعتقاد متهوّر بأنه يعزز الأداء. ولقد اعترف عدّاء المسافات القصيرة الايطالي بيترو مينا بأنه يتناوله. والظنّ السائد أن سواه من الرياضيين يحذون حذوه.

أما الهورمون التناسلي المشيمي فيستخرج من بول النساء الحوامل. وهو يحفز جسم الذكر على انتاج مزيد من التستوسترون الذي يزيد نمو العضلات.

إجراءات أساسية

مع اقتراب موعد الالعاب الاولمبية الصيفية المقررة في سيول بكوريا الجنوبية، وتعاظم فضيحة المخدرات، يتجه عالم الرياضة الى نقطة اللاعودة. ففي شهر فبراير (شباط) ١٩٨٨ صرح رئيس اللجنة الدولية الاولمبية خوان أنطونيو سمارانش أن تعاطي الرياضيين المخدرات "يجعل جوهر الرياضة مهزلة."

اذا كان للرياضة الأولمبية أن تُصان، فيجب اتباع ستّ خطوات أساسية على الاقل:

□ **العقوبات:** يجب إخضاع الرياضيين في كل مكان للعقوبات نفسها، وهي حرمان الرياضي الاشتراك في أي مباراة لمدّة سنتين عند أول

(٣) Beta-blockers
(٤) Blood doping
(٥) Chorionic gonadotropin

مخالفة، وفصله نهائياً بعد المخالفة الثانية. وهذه هي التوصية الحالية للجنة الدولية الاولمبية. أما المدربون وأطباء الفرق الذين تثبت إدانتهم بتشجيع الرياضيين أو اجبارهم على تناول العقاقير، فإن اللجنة الدولية الاولمبية توصي باسقاط حقّهم في ممارسة المهنة مدى الحياة.

▫ **الكشف:** يجب اعتماد نظام للفحص على مدار السنة، وإجراؤه أيضاً خارج الاوقات المحدّدة للمباريات الفعلية. وتشكل "فرق طائرة" من الفاحصين الدوليين تعيّنهم اللجنة الاولمبية الدولية وتخوّلهم حق مباغتة الرياضيين حيثما كانوا وإخضاعهم للفحص من دون انذار سابق. ومن شأن هذا النظام، الذي أصبح معتمَداً لدى الاتحاد الدولي لرفع الاثقال وغيره من الهيئات الدولية والوطنيّة، أن يؤمّن برامج فحص نزيهة.

▫ **الفحص:** يجب الاسراع في اعتماد برنامج بحث وتقصّ تشرف عليه اللجنة الدوليّة الاولمبية، وذلك من أجل التوصل الى أساليب للفحص أجدّ وأسرع وأفعل.

▫ **التربية:** على اللجنة الدولية الاولمبية إحاطة الرياضيين والأهل والمدرّبين وأطباء الفرق الرياضية بمخاطر العقاقير والعقوبات المترتبة على استخدامها.

▫ **الاهلية:** على اللجنة الدولية الاولمبية أن تعلن صراحة أن أي رياضي لن يعتبر مؤهلاً للاشتراك في المباريات الاولمبية ما لم يتعهد تزويد اللجنة عيّنة للفحص في كل مرّة تطلب منه ذلك. وهكذا يصبح الفحص عشوائياً حقاً. ولقد باشرت بريطانيا هذا الاجراء في اختيار أعضاء فرقها الوطنية.

▫ **الضبط:** يجب أن تُصنّف الستيرويدات على أنواعها، بما في ذلك التستوسترون وهورمون النمو البشري الاصطناعي والهورمون التناسلي المشيمي وغيرها من مركّبات الهورمون، كمواد يجب اخضاعها للضبط والمراقبة مثل الامفيتامين والهيرويين والكوكايين. وهذا التدبير من شأنه أن يشكّل ضغطاً على شركات الصيدلة التي تنتج كميّات تفوق الطلب الطبّي المشروع.

ستساعد هذه الخطوات على ضبط الرياضة، ولكن يكمن الحل الحقيقي في النفوس وليس في النصوص. وكما قال رون بيكيرنغ: "علينا أن ننبّه المجتمع الى المخاطر التي تشكلها العقاقير، ليس فقط على الرياضيين بل على مستقبل الرياضة ككل. ولا يمكننا أن نولي الجهد الرياضي الاحترام الذي يستحقه إلا إذا حافظنا عليه نظيفاً. ربما بدا ذلك مفرطاً في المثاليّة، ولكن ليس منه بديل."

رودولف شلمنسكي

سأل شاب صديقه بعدما تركته خطيبته: "ولكن، ألم تخبرها عن عمك الغني؟"
فرد الصديق البائس: "طبعاً أخبرتها. ولذلك هي اليوم زوجة عمي."

ر.س.

ربّات المنازل في عصر الآلة

لم يعد بائع الثلج يأتي
ولا بائع الحليب
ولا الخياطة
ولا الطبيب...

هل مفاجأة القول ان الادوات المنزلية لا تخفف العمل دائماً؟

وما مدى صحة هذا الكلام؟

لا بد من أن هناك أجهزة توفّر شيئاً ما والاّ كففنا عن دفع ثمنها الباهظ من أتعابنا. فالملابس التي كنا نغسلها بايدينا ونغليها على الموقد بتنا نضعها في غسالة كهربائية. وأبدلنا حبل الغسيل بالمجففة الكهربائية ومكنسة القش بالمكنسة الكهربائية وصندوق الثلج والقبو بالبراد والثلاجة.

وعلى رغم ذلك ما زالت ربات البيوت يمضين عدد الساعات ذاته في العمل المنزلي مثل جداتهن وأمهاتهن في العشرات والعشرينات والثلاثينات من هذا القرن.

لماذا لم تخفف هذه الادوات العمل في المنازل؟

Condensed from American Heritage of Invention & Technology (Spring 1987),
© 1987 by American Heritage Inc., New York, N.Y. Photo: Henry Groskinski

لنتأمل تاريخ المكنسة الكهربائية. لعشرات السنين قبل انقضاء القرن الماضي حاول المخترعون ابتكار جهاز لتنظيف السجاد يدخل تحسينات على التقليد السنوي لحمل السجاد وتنظيفه "ضرباً" بعصا في الخارج.

لكن ظهور المكنسة الكهربائية تزامن والاختفاء الفعلي لخادمات المنازل. وبالنسبة الى الفئة المرتاحة مادياً عنى ذلك أمراً واحداً: قيام ربة البيت بأعمال منزلية أكثر من ذي قبل. فما كانت تفعله الخادمة بمكنسة القش تفعله السيدة الآن بمكنسة كهربائية.

أما بالنسبة الى الأكثرية المتوسطة الدخل فاقتضت المكنسة الكهربائية ارتفاعاً في مستوى العيش. في معظم العائلات ارتبط اقتناء المكنسة الكهربائية بالانتقال الى بيت أكبر. ومع اتساع المنازل ارتفع مستوى صيانتها. فبات السجاد ينظف يومياً أو أسبوعياً بدلاً من مرة كل ستة أشهر كما جرت العادة. والنتيجة اضطرار ربات المنازل صاحبات المكانس الكهربائية الى تنظيف مساحة أكبر مما نظفته أمهاتهن. والمساحة الاكبر تقتضي وقتاً أطول.

وظيفة جديدة - يمثّل تاريخ الغسالة الكهربائية ظاهرة مشابهة. ففي العشرينات ألغت هذه الآلة عهد المرأة الغاسلة والغسيل اليدوي. ومع الزمن ازداد الوقت الذي تخصصه ربات البيوت للغسل بعدما كنّ يفدن من تلك الخدمات.

والى ذلك أدّت الغسالة الكهربائية الى زيادة النظافة المنزلية والشخصية. فتوقف الرجال عن استعمال الياقات وأطراف الاكمام القابلة للابدال مما أوجب غسل القميص بكامله. وباتت السيدات يغيّرن الملاءات أسبوعياً بدلاً من نقل الغطاء العلوي الى أسفل وابدال ملاءة واحدة فقط.

وفي أواخر الخمسينات، حين دخلت الالياف الاصطناعية الاقمشة فباتت لا تحتاج الى كي، زادت كمية الغسيل من جديد. فالقمصان والتنانير والسراويل التي كانت ترسل الى محلات التنظيف الجاف باتت تطرح في سلال الغسيل المنزلية. ومع الثمانينات باتت مدبرة المنزل المتوسطة، المجهزة بغسالة وجفافة آليتين، تغسل كمية من الغسيل تزيد عشر مرات على ما اعتادت أمها غسله. لقد تبدد العمل الشاق، لكن الثياب الوسخة لم تختفِ.

وهناك السيارة. نحن لا نفكر في سياراتنا كآلات منزلية، لكنها كذلك فعلاً إذ ان الاعمال المنزلية بمفهومها الحالي لا تنفذ من دونها. فالراجح اليوم أن تجد مدبرة المنزل المتوسطة خلف المقود لا أمام الفرن. عليها أن تنقل أولادها الى المدرسة وزوجها الى عمله، ثم تعيدهم الى البيت بعد الظهر. وعليها تسوّق البقالة.

فاقتناء السيارة يعني أن الزوجة تحولت الى خدمة التسلم والتسليم من منزلها واليه. ومع ارتفاع عدد السيدات السائقات اكتشف مزيد من رجال الاعمال مباهج الاستغناء عن خدمات التسليم المنزلية.

بمعنى آخر، لم يعد بائع الثلج يأتي،

ولا بائعو الحليب والخبز واللحم والبقالة، ولا شاحذ السكاكين (المجلّخ) ولا الخيّاطة ولا الطبيب. لقد أضيفت وظيفة جديدة الى وظائف ربة البيت: سائقة سيارة.

نساء عاملات – لم يقلّ الوقت المخصص للأعمال المنزلية على رغم شيوع كثير من الأدوات الموفرة للعمل، فما ضرورة ولوج السيدات عالم العمل خارج البيت؟ بين التبريرات الشعبية هناك التطورات التقنية في الاعمال المنزلية. فأفران الموجة المتناهية الصغر (الميكروويف) والطعام المثلج وحفاضات الاطفال التي تطرح بعد الاستعمال حجج دامغة. الوقت متوافر للنساء، وعليهن الخروج من المنزل والبحث عن عمل خوفاً من الجنون المحتم.

لكن كل ربة بيت "عاملة" تدرك أن ذلك هراء. فسبب وجود معظم النساء في عالم العمل اليوم هو، ببساطة، الحاجة الى المال. والواقع أن أولئك النساء "العاملات" الآن مسؤولات عن وظيفتين. انهن يعملن ما نسميه يوماً مزدوجاً. السكرتيرات وعاملات المختبر والمعلمات والممرضات والطبيبات الخ... يسرعن الى منازلهن بعد ثماني ساعات عملاً ليتحولن طباخات وغاسلات صحون ومنفذات للأعمال المنزلية اليومية مدة خمس ساعات أخرى، تاركات التنظيف والتسوق لعطلة الاسبوع.

ان الوسائل التقنية المنزلية جعلت عمل المرأة سهلاً خارج المنزل من دون إلحاق ضرر بصحتها. قد تشعر ربة المنزل العصرية "العاملة" بالارهاق في نهاية يومها المزدوج، لكنها على الاقل تستطيع الخلود الى النوم متأكدة من تأمين مستوى من الراحة لعائلتها كانت وقفاً على الاغنياء من قبل.

روث شفارتز كوان

لسان حصان

قصد رجل شارد الذهن طبيباً. ففحص هذا نبضه، وإذ وجده طبيعياً طلب منه أن يريه لسانه. واذ فتح الرجل فمه قال له الطبيب: "كل شيء على ما يرام، ولكن لماذا وضعت طابعاً بريدياً على لسانك؟"

فأشرقت أسارير الرجل وقهقه: "ها، ها! طالما تساءلت أين وضعته!"

ت.س.

المعلمة شمعة

في عيد ميلاد المعلمة قدم اليها تلاميذها الخمسة والعشرون هدية مزدوجة. كان في الرزمة الاولى قالب حلوى رائع، وفي الرزمة الثانية سكين وخمسة وعشرون صحناً ورقياً.

أ.س.

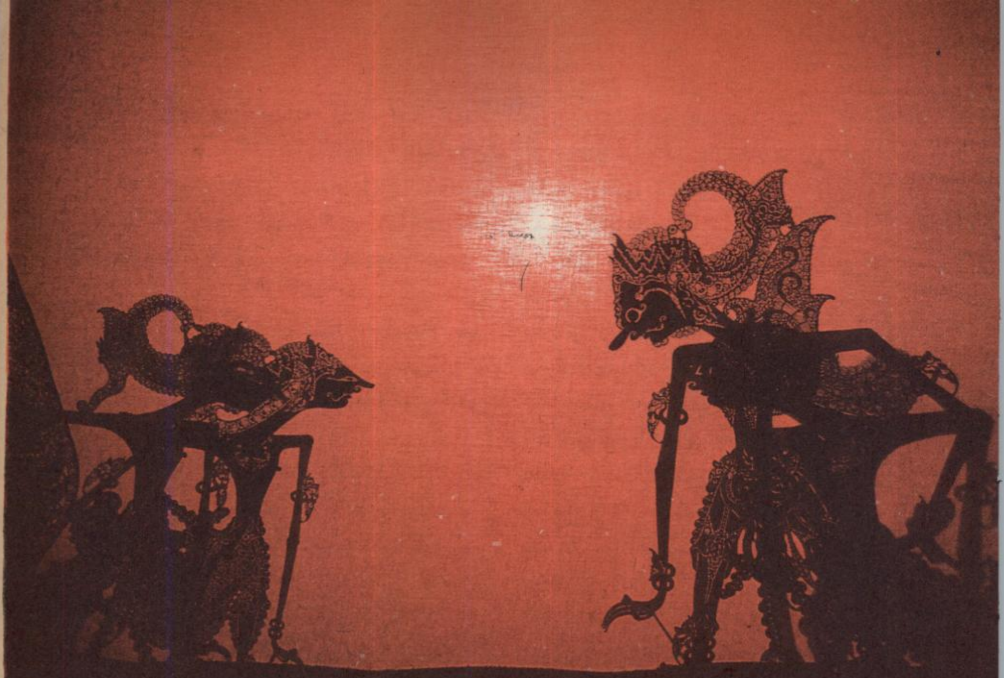

مسرح الدمى المتحرّكة العريق في إندونيسيا محور ثقافة هذا البلد وتراثه

دمى اندونيسيا

ما إن تأزف التاسعة مساء حتى يكون معظم سكّان القرى الوسطى في جزيرة جاوه الاندونيسية تجمعوا للاحتفال بموسم حصاد الرز. عائلات كاملة تتهيأ لتمضية الليل بطوله، فتفترش حصر القش حول شاشة بيضاء كبيرة فيما بائعو الطعام يدورون بالشاي الساخن والموز المقلي وأنواع أخرى من الطعام الخفيف، والاولاد يتراكضون والكبار جالسون يتبادلون القيل والقال، وخوار الماشية ينبعث من الحقول المجاورة.

على جانبي الشاشة صفّان من الدمى الجلدية المسطحة الزاهية الالوان. مقابضها المروسة مصنوعة من قرون الثيران ومغروزة في جذع شجرة موز عند أسفل الشاشة. وأمام هذه صف من الصنوج البرونزية تشكل أوركسترا "غاملان" من ١٥ عازفاً يؤدون لحناً

Illustration: Jeremy Allan

ايقاعياً مرحاً ايذاناً باقتراب بدء الاحتفال. ومع تلاشي أنغام الغاملان يرتفع صوت كي تيمبول الجالس القرفصاء أمام الشاشة مرنماً باللغة الاندونيسية الكلاسيكية: "فليعمّ الصمت. كثيرة هي مخلوقات الله التي تدبّ على الأرض وتحلّق في السماء وتسبح في البحار. ولا عدّ لجميلات العالم على أن لا شيء يضاهي ما في مملكة دواراوي التي تبدأ فيها قصتنا".

بهذه الكلمات يفتتح الـ"دالانغ"، أو محرّك الدمى، مسرح "وايانغ كوليت" الذي يعود الى زمن غابر في التراث الجاوي ويشكّل قلبه النابض. يستمر العرض تسع ساعات تتحوّل خلالها الدمى ملوكاً متغطرسين ومحاربين شجعاناً وشياطين مهلكة. ويضفي المهرّجون على الحفل نكهة من الدعابة الفظّة ويقدمون ارشادات أخلاقية وتعليقات اجتماعية.

ممالك أسطورية – في هذه الليلة تعمّ عروض الدمى أرجاء الجزيرة، من القرى الى محطات الاذاعة ومنازل أفراد الطبقة الوسطى وحتى قصر السلطان في جاكارتا. وعلى رغم اعتبارها فناً على طريق الزوال تحت وطأة التلفزيون والسينما، فلا تزال حية زاخرة متكيفة مع تقلبات المجتمع كما كانت دائما عبر التاريخ. ومثلاً على ذلك نرى أن عددا كبيراً من الدالانغ يحرصون على تقديم احتفالات مختصرة نظراً الى أنه ليس في وسع أبناء المدن العصريين تمضية الليل بطوله في حضور حفلة واحدة.

يقول باندام غورتنو، وهو محرّك دمى بارز ومرجع كبير في هذا الفن: "إذا شئت أن تفهم اندونيسيا فعليك أن تفهم أهل جاوه، ولكي تفهم هؤلاء عليك أولاً أن تفهم الوايانغ."

على ان جوهر الوايانغ دقيق مرهف بمقدار ما هو معقّد. والاجنبي الحاذق يدرس أولاً دور الوايانغ والدالانغ في حياة جاوه المعاصرة. ويشرح كي تيمبول، أحد اكثر محركي الدمى شعبيّة: "إن واجب الدالانغ هو الاعلام والتعليم." والواقع أن مسرح الوايانغ يُستخدم على نطاق واسع لنشر المعلومات حول برامج الحكومة ويؤدي دوراً مهماً في الارشاد الأخلاقي للشباب ويغرس فيهم القيم التقليدية في وجه موجة التصنيع.

إلا أن الترفيه يبقى واجب الدالانغ الأول. وعلى رغم كل الزخرف الفلسفي المدخل على قصص الوايانغ المستمدّة من الملحمتين الهنديتين الغابرتين "ماهاباراتا" و"رامايانا"، فانها حكايات مشوّقة قوامها أساطير المغامرات والمؤامرات والحب والغرام. ويصور معظمها سلسلة من الصراع بين عائلتين: بانداوا وكوراوا. أما أحداث الرواية فتجري في ممالك أسطورية في جاوه، وهي محبوكة حول قضايا متعلقة بالزواج أو بالصراع على السلطة السياسية أو بالنضال من أجل الفوز بنعم الارباب.

ومع أن الوايانغ يبدو كسلسلة أحداث غير مترابطة فانه يظل في الواقع ذا بناء شديد التماسك ضمن أداء مقسّم على ثلاثة فصول متساوية الطول تقريباً. يرسم الفصل الأول خطوط القصّة ويستمر من التاسعة مساء الى منتصف الليل. أما

The sky is still our limit

45 % of total newsweekly magazines sales in Greater Beirut Metn and Kesrouan extract of a bookshop survey conducted by C.E.P.I. in November 1985

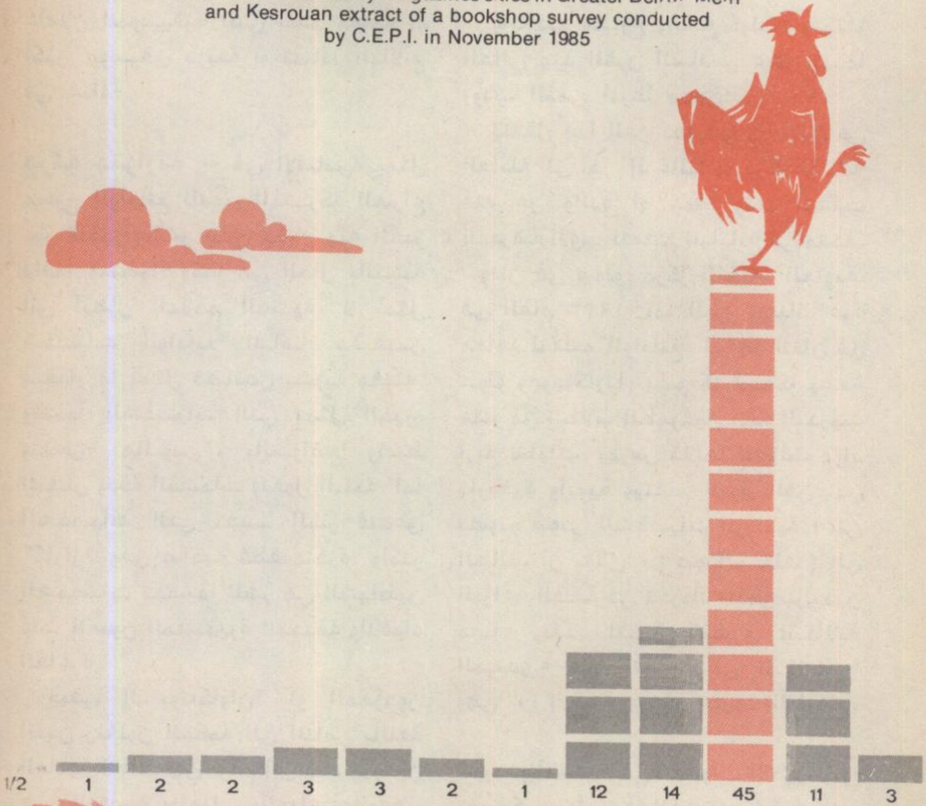

النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

exclusive advertising representative **TAMAM S.A.L**

الفصل الثاني فيستمر حتى الثالثة صباحاً، وفيه تتكشّف الحبكة. ثم يأتي حلّ الصراع في الفصل الثالث الذي يستمر حتى الفجر. خلال ذلك تعزف فرقة غاملان الموسيقية التي تضم مغنية أو أكثر، موسيقى حزينة أو تساند الدالانغ في غنائه.

حرفة متوارثة - في الاساس، يمثل مسرح الوايانغ للدمى المتحركة الصراع بين الخير والشر الذي يخرج منه الخير دائما منتصرا. وكما هي الحال بالنسبة الى أبطال الملاحم الهنديّة، لا تمثّل شخصيات الوايانغ أناسا حقيقيين بمقدار ما تمثّل خصائص بشريّة معيّنة. وتتميز الشخصيات التي تمثّل الخير، وتدعى "هالوس"، بالتواضع وضبط النفس ودقّة القسمات ونحول البنية. أما الشخصيات التي تجسّد الشرّ فتدعى "كازار" وهي صاخبة فظّة منفّرة. وأكثر الشخصيات تجسيدا للشرّ هي الشياطين ذات العيون المستديرة المحدّقة والأفواه الفاغرة.

يبقى الـ"بوناكاوان" أو المهرّجون الذين ينقلون الحكمة الى الناس باللغة العامية لا الفصحى. وهم الى ذلك يروحون عن النفس بالهزل والغناء والرقص وتقليد شخصيات أسيادهم. وللمهرجين الحرّية في الخروج على النص المكتوب والتعليق على العالم الحديث والمناقشة في هموم القرية وشجونها والتعريف ببرامج الحكومة، مثل تحسين المحصول والحدّ من النسل.

يقول باندام غوريتنو: "يعتقد معظم الخبراء أن الوايانغ كان في الأصل نوعاً من إجلال الاسلاف. ويبدو أنه سبق وصول الهندوسية الى جاوه قرابة القرن الخامس."

واتخذت مسارح وايانغ كوليت شكلها الحالي منذ القرن السادس عشر عندما زوّدت الدمى أذرعاً متحرّكة.

ينتقل هذا الفن تقليدياً من جيل في العائلة الى آخر، إذ غالباً ما يرث الدالانغ فنّه عن والده أو عمّه. ولقد أُنشئت المدرسة الاولى لتعليم الوايانغ في متحف سونان في صولو، مركز الثقافة الجاويّة، في العام ١٩٢٣. أما اليوم فهناك عدة معاهد لتعليم الوايانغ، أبرزها اثنان في صولو وجوجاكارتا، يضم كل منهما بضعة عشر من الطلاب الطموحين. مدّة التدريب أربع سنوات، يدرس خلالها الطالب مواد تاريخية وأدبية ويتعلّم أصول الفن، من تصوير صوتي للشخصيات الروائية (على الطالب أن يؤدي ٣٠ صوتاً مختلفاً) الى البراعة الفنيّة في تحريك الدمى باليدين معاً. وبعد التخرّج يشرع الدالانغ المبتدىء في التعرّف الى الـ"لاكون" وهي ٢٠٠ قصّة يرتكز عليها الوايانغ.

عِبَر حياتية - في السنوات الأخيرة طرأ تغيّر كبير على هذا الفن عندما أخذ أبناء العائلات غير المحترفة يتعلمونه. ويقول أحد الطلاب: "أود أن أستخدم الوايانغ كوسيلة للتعبير عن الذات. ولقد اعتدت في طفولتي اللعب بدمى وايانغ صغيرة كنت أصنعها من قضبان الشجر وأوراقها."

هناك آخرون تجذبهم القيم التي يرتكز

عليها الوايانغ. ويقول سوبارنو، وهو شبه محترف بارز: "ان رغبتي في اكتساب الصفات النبيلة التي تتميّز بها شخصيات وايانغ وتنميتها في أفراد جمهوري، هي ما دفعني الى أن أصبح دالانغ. إنها شخصيات تمثّل الوفاء والوطنيّة والرهافة."

يقول كي تيمبول: "أحد الامتيازات الرئيسية التي يوفّرها امتهان الدالانغ هو التعبير عن أماني الناس وتطلعاتهم. إنها مهنة تتيح لي تعريف الجمهور بمشاكل المجتمع والمساهمة في حلّها. ويحترمني الناس ليس كمحرك دمى محترف فقط بل كناقل للمعلومات وموصل لها أيضاً."

ويعترف كي تيمبول بأنه كان للوايانغ تأثير كبير في حياته الشخصيّة: "قبل عشر سنين واجهتني مشاكل سكنية كثيرة، فكنت ما ان أنتقل الى بيت حتى أضطر الى تركه بعد أشهر. وبعدما غيّرت منزلي أربع مرّات في ستّة أشهر، حضرتني قصّة الاخوان بانداوا الذين أُجبروا على ترك قصرهم في أستينا. وبدل أن يستقرّوا قرب بلدهم أقاموا مملكتهم الجديدة في الغابة. وأنا، تشبهاً بهم، شيّدت منزلاً في حقول الرز على بعد أربعة عشر كيلومتراً من المدينة، حيث أقمت بهناء وسعادة منذ ذلك الوقت."

غالباً ما يدمج مشاهدو الوايانغ الفن بحياتهم الشخصية. ويقول جاك سامبويرنو. من سكان جوجاكارتا: "أرى نفسي في الرواية التي أشاهدها، وأرى سواي أيضاً. وعندما أتمعّن في صفات الشخصيات أصبح أنفذ بصيرة بالنسبة الى الناس حولي. وقبل أن أعقد شراكة عمل مع أحد الناس، مثلا، أعيّن في ذهني أياً من شخصيات وايانغ يشبه، وعندئذ أعرف نقاط القوّة ونقاط الضعف في شخصيته."

الدمية الاخيرة – تقع مهمة تصميم شخصيات الوايانغ على عاتق صانع الدمى. وفي معمل نموذجي بالقرب من جوجاكارتا يتولى عدد من الفتيان صنع الدمى في إشراف "المعلم" باك ساغيو. يكشطون جلد الجاموس ويشذّبونه ثم يخرّمونه بعناية بمئات الثقوب الصغيرة التي تظهر على الشاشة رسوماً معقّدة من الأضواء والظلال. ولكي يرى الحضور الدمى وهم جالسون خلف الدالانغ، تطلى بالألوان الزاهية فيما تُغطّى الاجزاء غير المطليّة برقاقات برونزية أو ذهبية. ويوضح ساغيو الامر: "معظم الدمى المصنوعة اليوم يشتريها السياح أو هواة جمع التحف، لان الدالانغ يتسلم مجموعته اما من والده وإما من معلّمه، وهي تخدمه مئة سنة."

وكأي ممثل أو فنان في كل مكان، يواجه الدالانغ الصاعد صعوبات جمة قبل أن يصبح شهيراً ومعترفاً به. ومن أصل قرابة ٤٠ ألف دالانغ في اندونيسيا يعيش أقل من ألف على دخلهم الفني فقط. والجمهور عادة يفضّل الاستماع الى شريط مسجل لدالانغ مرموق على مشاهدة مسرحيّة حيّة يقدّمها فنان مغمور. والى ذلك، فان اعادة تنظيم القرى في وحدات ادارية كبرى حدّت من الفرص المتاحة للفنّان. وفي حين يطلب الدالانغ البارز ٢٠٠٠ دولار، فضلا عن المصاريف، في

مقابل تأديته عرضاً في العاصمة جاكارتا، تراه يرضى بُعشر هذا المبلغ للتمثيل في القرى، لأن الريف هو قوام حياته.

وهج أحمر ينبثق من وراء الجبال الشرقيّة ويبشّر ببزوغ فجر جديد. على الشاشة ما زال الاخوان بانداوا، وهم الشخصيات الخيّرة في الرواية، يحتفلون بالانتصار. وفي هدوء يختمون الحبكة المعقّدة. وفيما الجمهور يغالب النعاس ويجمع حاجاته استعداداً للانصراف، يخرج الدالانغ الدمية الاخيرة من صندوقه ويشدّ الحضور مجدداً الى مقاعدهم. وهذه، بخلاف الدمى الأخرى، دمية من خشب ذات ثلاثة أبعاد (غير مسطحة) ترتدي ثياباً فاخرة، وهي معروفة باسم "غوليك." ومع أن المعنى الشائع لهذه الكلمة هو "دمية،" فلها معنى آخر هو "التفتيش." وفيما الدالانغ يرقّص الدمية بفخامة ووقار يرتفع صوته مهيباً بالجمهور أن "فتشوا داخل أنفسكم واستخلصوا العبر العميقة من الرواية وطبقوها في حياتكم."

جيريمي آلن

غداء العريس

ذهبت مع ابنتي البالغة عشر سنين الى حفلة عرس. وبعد الغداء راح الضيوف يصافحون العريس ويعطونه الهدية المعهودة، وجلّها نقداً. وراقبت ابنتي هذا التقليد بفضول. ثم وضعت أوراقاً مالية في ظرف وطلبت منها أن تهديه الى العريس. وعندما فعلَتْ سمعتُ ضحكاً عالياً.

وسألت ابنتي عما حدث فأجابت: "قلت له أن يحسم ثمن غدائنا ويعيد البقية."

ك.ك.

ضاع الحمار ووُجد الرسن!

اندفع رجل داخل مصرف مزدحم وصرخ: "هل فقد أحدكم حزمة من الاوراق النقدية مربوطة بشريط احمر؟" فارتفعت أيد عدة.

"خذوا،" "قال الرجل،" لقد وجدت الشريط الاحمر."

س.ك.

زوجات صغيرات

لا تحاول أن تحزر مَقاس زوجتك. إشترِ لها أي قطعة كتب على بطاقتها "صغير" واحتفظ بالايصال.

د.ل.

إرشادات زراعيّة

البستاني ينمي موهبته مع الوقت. اجنوا محصولا وافراً باتباع هذه الافكار المفيدة من الخبراء

قبل ست سنوات حفرت روبرتا وريتشارد وول من ولاية كونيتيكت خندقاً وزرعا الهليون. بعد ذلك انتظرا بفارغ الصبر مدة ثلاث سنوات، كما نصت الارشادات، لقطف المحصول اللذيذ الاول. ولكن لم ينمُ شيء. وحملت نبتات الأنديڤ (١) بذوراً قبل أن يقطفاها. كما اكتشفا بعد فوات الاوان أن نبتات الفريز (الفراولة) التي أثمرت في الموسم الماضي كان يجب أن تشذب.

واليوم ينتج آل وول محاصيل ممتازة، ليس فقط من الفريز والانديڤ والهليون، وانما فواكه ونباتات أخرى أيضاً. لقد أفادا من الخبرة ومن مصدر آخر هو المتجر الزراعي. وتقول روبرتا: "يزودني مدير المتجر معلومات لا أحصل عليها من أي مكان آخر."

قد تجدون تحدياً في فكرة انشاء حديقة، ولكن أبشروا، فحتى إن كان المرء مبتدئاً فقد بات سهلا عليه أن يزرع خُضره بفضل التقدم في أساليب البستَنَة. ولكي تعززوا امكانات نجاحكم جرّبوا هذه الارشادات التي يطرحها خبراء:

(١) الانديڤ نبات يشبه الخس مع بعض مرورة.

Illustrations: Ed Little

١. خططوا للمستقبل. يقول البروفسور جايمس ستيفنز من جامعة فلوريدا في غاينسفيل: "ينزع الناس الى زرع مقادير من النباتات تتجاوز طاقتهم على الاعتناء بها، ثم يخيبون ويذوي البستان من الاهمال."

لكي تخمنوا حجم البستان المناسب لكم أدرسوا العوامل الآتية: المساحة المتوافرة وحجم العائلة والوقت الذي ستخصصونه للزراعة وما اذا كنتم تتوقعون مساعدة من أحد. أرسموا خريطة على ورقة مبينين ماذا ستزرعون وأين، مع عدد الاثلام وطولها والمسافة بينها.

ازرعوا فقط ما تستطيعون استهلاكه، واحسبوا لكل شخص غرسة بندورة (طماطم) أو فلفل أو قرع. ان بستاناً طوله ثلاثة أمتار وعرضه ثلاثة يمكنه تزويد عائلة مؤلفة من أربعة أشخاص ما يكفيهم من الخضر التي يحبون. ولا يتطلب البستان الا ساعة من العمل في الاسبوع.

اختاروا أرضاً منبسطة ومصرّفة للماء وتتلقى بين ست ساعات وثمان من أشعة الشمس يومياً. ليكن البستان بعيداً عن الاشجار الكبيرة ذات الجذور المنتشرة، ولكن قريباً من تجمع للمياه.

٢. حضّروا التربة كما ينبغي. يشرح ج. روبرت ناس، أستاذ علم البستنة في جامعة بارك بولاية بنسلفانيا: "عملياً، تحتاج كل أنواع التربة الى عناية." إفحصوا مستوى الحموضة

في تربتكم. قد تحتاجون الى اضافة الكلسيوم أو الكبريت.

لتهيئة قطعة الارض، احفروا عميقاً في التربة لقلبها أو استأجروا محراثاً آلياً. هذا العمل يهوّىء الارض ويحسّن تصريفها للمياه. امزجوا التراب بمواد عضوية مثل السماد أو مزيج من الروث وأوراق الشجر للتغذية. أضيفوا سماداً تجارياً لتأمين النيتروجين والفوسفور والبوتاسيوم.

تحتاج التربة الى سماد في وقت ما أثناء النمو. ولتجنب الاخطاء الشائعة في اضافة القليل أو الكثير من السماد، استشيروا متجراً زراعياً حول التوقيت الصحيح وكميات السماد.

٣. اشتروا بذكاء. ان للبذور والغرسات المنقولة حسنات، وفقاً لأنواع النبات وخياراتكم الشخصية. تقدم البذور تشكيلة واسعة، وهي رخيصة نسبياً. اقرأوا التعليمات على العلبة لتعرفوا تاريخ انتهاء الصلاحية ومعلومات الغرس.

تكلف الغرسات المنقولة أكثر، وخياراتها محدودة، لكنها تنمو بسهولة وتسبق المحاصيل الاخرى. وينصح ناس: "ابحثوا عن الغرسة الكاملة الممتلئة ذات اللون الاخضر الحسن والساق الثخينة. تجاهلوا تلك التي تحمل زهراً أو ثمراً (هذا يؤثر في المحصول) وتلك الضعيفة النمو."

٤. ازرعوا في الوقت المناسب. تذكروا أن النباتات تنقسم فئتين: محاصيل الموسم البارد ومحاصيل الموسم الحار.

تصمد نبتات السبانخ والخس والقنبيط والبصل والبازيلاء والفجل والجزر في الصقيع، وتنمو جيداً في الطقس البارد المعتدل. أما الوقت المناسب لزرع بذورها فهو قبل أسابيع من انحسار الصقيع في المنطقة.

ازرعوا الغرسات المنقولة التي تنمو في المواسم الدافئة، مثل البندورة والفلفل والباذنجان، بعد انحسار الصقيع تماماً. ولتجنب الذبول ارووا الارض أولا ثم ازرعوا الغرسات في يوم غائم أو مساء.

ستتمتعون بمحصول مطوَّل باستعمالكم تشكيلة من الذرة والبندورة والفلفل تنضج في أوقات مختلفة. وبدلا من زرع المحصول دفعة واحدة، ازرعوه في ثلاث دفعات أو أربع على مدى أسبوعين.

٥. أزيلوا الاعشاب الضارة وارووا الارض. تنافس الاعشاب الضارة المزروعات على المواد الغذائية والرطوبة في التربة. انثروا بذور الخضر في المساكب المحضرة حديثاً. وافرشوا مهاداً (٢) بعد بروز النبتات.

يحفظ المهاد الاعشاب الضارة تحته، ويساعد على امساك المياه ويدفىء التربة.

الري أمر مهم جداً. استعملوا مرشة بدلا من دلق المياه. عموماً، ينصح بسنتيمترين ونصف سنتيمتر من المياه في الاسبوع. والكمية المناسبة من المياه تتوقف على نوع التربة.

٦. سيطروا على الامراض والحشرات المؤذية. هناك اليوم خضر كثيرة مقاومة لعدة أنواع من الحشرات والامراض. ازرعوها متى أمكنكم ذلك.

تجنبوا زرع فصيلة الخضر ذاتها في المكان نفسه أكثر من مرة كل ثلاث سنوات، لان المرض قد يبقى في التربة.

الحشرات تهديد جدي للنباتات، ومع ذلك يمكن التغلب عليها بسهولة أحياناً. ينصح آرثر شيبرد من جمعية البستنة في نيويورك بالاتي: "اغسلوا النباتات بخرطوم (نربيش) لازالة الحشرات بانتظام. اقلبوا الاوراق وانفضوا الحشرات عن الجوانب السفلى."

ان المبيدات الكيميائية ليست ضرورية دائماً في بستان صغير، وأنصار التربة العضوية لا يستعملونها، ومع ذلك يتفق الخبراء على أن هناك مبيدات آمنة اذا استعملت وفقاً للتعليمات، وأنها ربما كانت ضرورية للمحاصيل المعرضة للحشرات مثل القنبيط والبطاطا.

٧. الحصاد في أوجه. من أجل الحصول على نكهة ممتازة، اقطفوا الزرع في الوقت الملائم. يقول ناس: "تبلغ البندورة ذروتها عندما تتلون بالتساوي من دون ترك أي أثر للون الاخضر. ويجب أن تُقطع الثمرة بسهولة، وهذه قاعدة جيدة بالنسبة الى خضر كثيرة."

تصبح الذرة الحلوة جاهزة للأكل عندما تكون "الشرّابة" بنية ويخرج سائل من الحبة لدى ثقبها. ويبلغ الشمام والقرع الشتوي ذروتهما عندما يكتمل حجمهما.

---

(٢) المهاد طبقة من النشارة أو التبن أو القش أو العشب أو قصاصات الورق، تفرش على التربة لوقاية جذور النبات الغضة من الحرارة أو البرد.

دَعي طِفلكِ يَنمو مَع سِيريلاك
سيريلاك
Cérélac
Infant milk cereal
Wheat-Banana
بالقمح والموز
Rice
بالأرز
Wheat-4 fruits
بالقمح مع ٤ فواكه
Wheat-قمح
Nestlé
سيريلاك
الطعامُ الأول لِطفلكِ بالمِلعقة
عندَما يَبلغ طفلكِ شهرَه الرابع ،
لا يَعودُ الحليبُ وحدُه يكفيه .
عليكِ بوَجبةٍ مِن سيريلاك .
سيريلاك متوفّر بعدّةِ أنواع تُلائم مَذاق
طفلك . سيريلاك يحتوي على العناصِر
الغِذائية الأساسيّة التي تؤمّن
لِطفلكِ نموًّا متناسِقًا
وسَليمًا .
Nestlé
تضمنه
نستله

فاجئوا من تحبّون
بهديَّة لا تنسى

تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).

كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او التخرج او عيد الحب...

فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟

فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٨٨/٥/١ و١٩٨٩/٥/٣٠ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٢٥ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين الآتيين:

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت – لبنان
BANK ALMASHREK S.A.L.
P.O.BOX 1524
BEIRUT-LEBANON

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ – ١١٣
بيروت – لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ____________________

____

عنوانه ____________________

____

المناسبة وتاريخها ____________________

توقيع المهدي ____________________

مع أخلص تمنيّاتنا

لكن الكبر يسيء الى بعض النباتات. ومع أننا نفتتن بالاحجام الكبيرة للقرع الصيفي والخيار والباذنجان فان هذه الثمار الضخمة ليست نكهة. من أجل نكهة رائعة اقطفوا الثمار الصغيرة. ويحسن قطف الخس والخيار والسبانخ واللوبياء والقرع باستمرار للمحافظة على انتاجيتها.

ويصعب الحكم على النباتات الجذرية. لذا ينصح بمراجعة التعليمات المطبوعة على أكياس البذور للتأكد من مواعيد النضج.

وساعة القطف تؤثر في النكهة أيضاً، لذا أقطفوا المحصول في الصباح الباكر عندما تكون الرطوبة في أعلى درجاتها.

البستاني شخص متحمس وسعيد يدرك أن انتاج الطعام للمائدة هو أحد أسباب هوايته، ولكن هناك سبب آخر هو الصحة الذهنية. وتقول كاثي وايت من أوكلاهوما: "أحب أن أكون في الخارج وأراقب الطبيعة وهي تعمل. اني أنسى هموم الحياة في بستاني."

فلورنس ايزاكس

قدح وذمّ

سأل القاضي المتهم: "هل صحيح أنك دعوت هذا الرجل أحمق ووغداً ومحتالا خليعاً؟"

- هذا صحيح يا فضيلة القاضي.

"وهل قلت إنه لص أيضاً؟"

- آه، كلا، يا صاحب الفضيلة. لقد نسيت أن أقول له ذلك.

أ.م.أ.

نظافة زائدة!

قال الزبون لصاحب المطعم وهو يدفع ثمن غذائه: "مطبخك نظيف جداً يا صاح."
فرد صاحب المطعم مبتسماً بافتخار: "شكراً لك، ولكن كيف عرفت ذلك؟"
فأجاب الزبون: "لان طعم الصابون طاغٍ على كل طبق أكلته."

أ.ش.

لوحة العمر

تقدم رجل بشكوى ضد سيارة صدمته. فسأله الشرطي عما اذا كان رأى رقم السيارة الجانية فأجاب: "طبعاً رأيته، واتفق أنه يوافق السنة التي ولدت فيها زوجتي."
فنهرته هذه: "هَهْ، سام، إنسَ الامر. فعلى كل حال، لم يحصل لك من الصدمة غير الفزع."

أ.ف.د.

آخر الابتكارات

كتب على كاسيت!

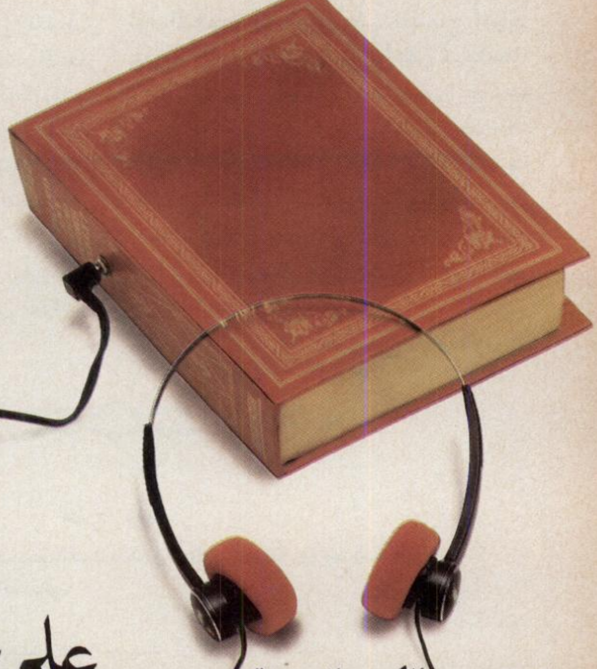

الكتب المسجلة تستحضر زمان القص الشفوي ان راوية موهوباً يحيطنا بعالم سحري اذ يعرض كتاباً أثيراً

كان دأبي التشكي من أن ليس عندي وقت كاف للقراءة. وطلبت قبل بضعة أشهر سيرة تروقني لأحد الابطال، فجاءني الكتاب بالبريد، لكنه لم يكن على ورق، بل على أشرطة صوتية. "قرأت" الأشرطة الستة أثناء تجوالي اليومي من العمل وإليه.

وفيما أنا أقود السيارة على الجادة ألفيت نفسي في قطار في جنوب افريقيا عام ١٨٩٩. الرصاص يئز حولي وحول المخبر الصحافي المبتدىء ونستون

Photo: Robert Milazzo

تشرشل. كنت في كرب خشية أن يقتل فيتبدل مجرى أحداث القرن العشرين.

ومنذ انتهت تلك الساعات التسع من مشاركتي الشغوفة خضت نهر المسيسيبي في رواية "مغامرات هكلبري فن" للروائي البريطاني تشارلز ديكنز. ونجوت من الاضطرابات والفتن التي حفلت بها الستينات من القرن الماضي في رائعة بروس كاتون المؤلفة من ثلاثة أجزاء (٤٠ شريطاً) بعنوان "الحوليات المئوية للحرب الأهلية" (١) وأصغيت الى مؤلفات عشرات الكتاب الآخرين، كواشنطن ايرفنغ وأغاثا كريستي.

لدي الآن سعة من الوقت لكي "أقرأ"، وكذا الملايين الذين يمضون ساعات كل أسبوع متنقلين في السيارة إلى أشغالهم، مما يتيح وقتاً كافياً لسماع نحو عشرين كتاباً كاملاً كل عام. وليس الذاهبون إلى أعمالهم والآتون منها يومياً هم وحدهم المستفيدون، فالملايين سواهم، أمثال المرضى المتماثلين في المستشفيات والبيوت لديهم وقت يملأونه. وفي الامكان "قراءة" الكتب أثناء الطبخ أو طلي المنزل أو العدو الوئيد. يقول أحد غلاة المتحمسين لهذه الظاهرة: "ندهش اذا فكرنا في الساعات التي نمضيها ونحن نؤدي مهمات تشغل أيدينا وعيوننا وتدع أذهاننا حرة لاستيعاب قصة جديدة."

إلى الآن، ثمة نسبة ضئيلة من العوام تدرك وجود تسجيلات للكتب، لكن انتشارها في تسارع. ويعرض عدد من الناشرين الكبار نصوصاً ملخصة للكتب الرائجة والآثار الأدبية على شرائط. وتباع هذه الشرائط وتؤجر في المكتبات. وثمة ٨٥٠ منظمة تؤجر الأشرطة أو تبيعها في أرجاء العالم.

تسجيلات الكتب ظاهرة جديدة تمزج الأدب والتمثيل. ورواتها هم المؤلفون أنفسهم أحياناً. وفي وسع المرء أن يشعر بحضورهم الحي متوارياً خلف كلماتهم. والمثال البارز على ذلك هو الكاتب جايمس هيريوت اذ يروي "الأشياء الزاهية الجميلة" (٢) بحذاقة بالغة.

والقصاصون الموهوبون يتلاعبون بجرْس الصوت أو اللكنة لتمثيل الشخصيات المتعددة في كتاب ما، إضافة إلى محاكاة حالاتها النفسية وعواطفها. والبعض الآخر يبدلون أصواتهم على نحو مثير وسريع يجعلك أكيداً من أن عدة أشخاص يتحدثون اليك.

ويرى ميشال ديردا محرر قسم الكتب في صحيفة "واشنطن بوست" أن "في الكتب المسموعة سحراً ذا أشكال وألوان. فهي تستعيد زمناً كان القصّ فيه شفوياً، وذكريات عن قصص الأشباح التي تروى همساً حول نار المخيم المضطرمة."

وفيما تروق الروايات غير الملخصة كثيرين، ترضي تلك الملخصة آخرين. وكلما طالت كان ذلك أفضل. وقد قصّ الممثل النيويوركي والتر زيمرمان رواية "موبي ديك" للكاتب الامريكي هرمان ملفيل في ١٨ شريطاً مدة كل واحد ٩٠ دقيقة، أي ما مجموعه ٢٧ ساعة. وفي ذلك كتب تشارلز شامبلن محرر الشؤون الفنية في صحيفة "لوس انجلس

(١) Centennial History of the Civil War

(٢) All Things Bright and Beautiful

نسكافه
قهوة اللحظات السعيدة!
نسكافه قهوة صافية
محضّرة من أجود انواع البُن
في العالم.
كوبٌ من نسكافه في الصباح
وفي أيّ وقتٍ مِنَ النهار يُعيد
اليك الحيويّة والنشاط.
أهنأ الأوقات تقضيها مع عائلتك
وَالأصدِقاء بصُحبة نسكافه
اللذيذة والمُنشّطة.
نسكافه
قهوة الشباب العصريّ الناجِح

تايمس": "وددت ألا تنتهي الرواية. فالكتاب اذ يحرّك أذن العقل يرسخ بجلاء وقوة أفلتت من عينيّ القارئتين. لم يشهد مسرح المخيلة أحداثاً رائعة كهاته ليحركها."

وكثيـر من أدب الاطفـال مـدين للتسجيلات، اذ انها كتبت لتقرأ بصوت عال. وثمة أعداد من الأشرطة موجهة إلى الاطفال، وقد سجلت كارول شاننغ نسخة رائعة من "ويني الساخر"(٣)، وخلد باسيل راتبون في تلاوته مغامرات شرلوك هولمز.

ويقول أ. ب. هاردسون أستاذ اللغة الانكليزية في جامعة جورجتاون بواشنطن: "سماع الأشرطة يضفي المرح على قيادة السيارات." ويصف نزهة بالسيارة من مدينة واشنطن الى كندا مع زوجته وكتاب ديفيـد هـوارث "١٠٦٦: سنـة الفتوحات"(٤) في ثلاثة أشرطة: "سررنا اذ شتتت العاصفة الاسطول الغازي الأول لغليوم. ورجونا بحماسة أن تغرق عاصفة أعنف الغزوة الثانية في القناة. ولما لم يحدث ذلك أملنا أن يحتجز النورمنديون على الشاطىء المعادي قرب هاستنغس. وجعلنا وصولنا متزامناً ونهاية الكتاب بأن سقنا بسرعة ٧٠ كيلومتراً في الساعة في المرحلة الاخيرة من رحلتنا."

في الإمكان تسجيل قصص قصيرة غير ملخصة على شريط أو شريطين. أما الكتب الكاملة فيلزمها ما بين ثمانية وعشرة أشرطة، وتتطلب ما بين ١٢ و١٥ ساعة من الاستماع.

لن تحـل الأشرطـة مكان الكتب المطبوعة أبداً، فهي ذات قصور كبير. ان الاستماع إلى كتاب متْلو يستغرق عادة ضعفي وقت قراءته. ولا يسع المرء أن يتخطى المقاطع المتباطئة بسهولة. كما أن الأشرطة غالية الثمن مما يجعل معظمنا غير قادر على شرائها.

لكن التسجيلات توسع آفاق الذهن. وهي مغامرات أدبية تؤنس المرء وتعلّمه أثناء القيادة. وعموماً، فإن القراءة بالأذن تضفي على الكتب سحراً جديداً.

نويل فيتماير

(٣) Winnie the Pooh

(٤) 1066: The Year of the Conquest

فلسفة الطناجر

عندما تبتاع طناجر (حللا) ومقالي فأنت تقتني أدوات تساعدك على العيش. كن بعيد النظر، فأنت لا تريد لحياتك ما يحدّ نماءها. والطناجر الكبيرة دليل وجود الاولاد والاصدقاء والضيوف من حولك. فطناجرك يجب أن تكفيهم جميعاً. لذا لا تولِ ثقتك عائلة طناجرها صغيرة.

م. ف

كان قُيّض لي أن أكون مهندساً، لكني بنيت قصوراً في الهواء.

حكيم هندي

Satellite models and artwork: Brian Sullivan. Photo: Ernest Coppolino

عندما كانت المقاتلات الامريكية تحوم فوق طرابلس الغرب في ١٤ ابريل (نيسان) ١٩٨٦، أسرع مراسل الشبكة التلفزيونية الامريكية «ABC» الى الهاتف في غرفته في أحد فنادق العاصمة الليبية. وعلى مسافة ألوف الكيلومترات سمع مشاهدو برنامج "أخبار العالم هذه الليلة" أصوات المضادات الارضية تدوي في غرف جلوسهم. أما الذي أمّن هذا الاتصال فكان قمراً اصطناعياً بعيداً يدور حول الارض. وبوجود هذه الأقمار بتنا نتوقع مشاهدة أخبار تصل الينا فوراً من أنحاء العالم.

إن الاقمار الاصطناعية المتطورة اليوم تمتلك قوى مدهشة، تماماً مثل "سوبرمان." فالى قدرتها على التحليق بسرعة تفوق سرعة الرصاصة، فإنها تستطيع أن تسترق النظر عبر الغيوم وحتى تحت الارض. وهي تتبع الحيوانات المهاجرة وتخلط مليارات الارقام وتعيد ترتيبها وتبث المعلومات من غير كلل ليلا ونهاراً لمدة تقارب الثماني السنوات ومن مسافات تبلغ مئات الكيلومترات، بل ألوف الكيلومترات.

إذا قُدِّر لك ان تسبح في الفضاء

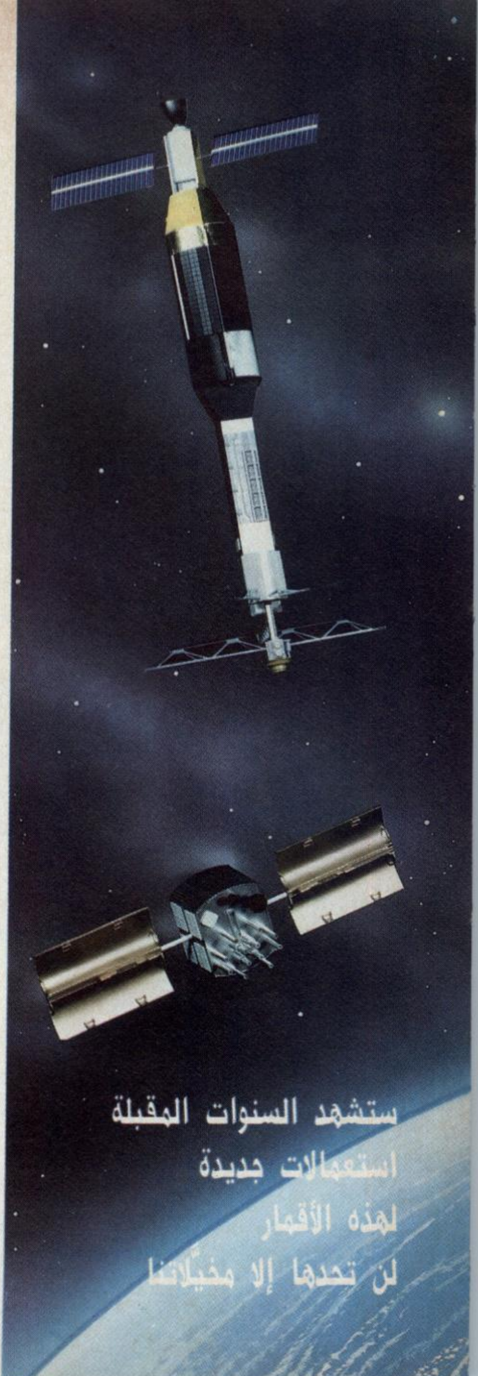

نماذج أقمار اصطناعية حالية ومستقبلية: (فوق، من اليمين) "لاندسات - ٤" زود العلماء صوراً ساعدتهم في وضع خرائط للارض، "توبكس/بوسايدون" قمر فرنسي - أمريكي مشترك لأبحاث المحيطات سيطلق سنة ١٩٩١، "سيسات" وفّر دراسة للمحيطات. (تحت، من اليمين) «KH—11» قمر أمريكي سري، "سبوت - ١" قمر فرنسي جديد يلتقط صوراً بثلاثة أبعاد، "ناڤستار" قمر تابع لوزارة الدفاع الامريكية يساعد السفن على تحديد مواقعها.

بمحاذاة قمر اصطناعي يدور مع دوران الارض، فستدهشك هذه البدعة الهشة المنظر. فهي تضم الواحاً رقيقة وصحوناً ناتئة من هنا وهناك واذرعاً ناحلة ملتوية تبدو على وشك الانثناء تحت وطأة ثقلها وجسماً يشبه علبة من التنك ينساب كسيارة قديمة. فجملة القول أن هذا الشيء يشبه أداة للاختبار العلمي مخلعة ومتروكة خارجاً في الصقيع.

جميلات من براغٍ وعزق – إن أهم الأقمار الاصطناعية هو ذلك المخصص للاتصالات. فعلى رغم حجمه المتواضع الذي يوازي حجم سيارة "ستايشن" فهو عملاق عصر المعلومات، إذ انه بدورانه يتلقى سيلا متواصلا من الاشارات الآتية من الارض، ويعيد توجيهها. وهو يرسل ألوف المكالمات الهاتفية البعيدة المدى في وقت واحد، اضافة الى بث برنامجين تلفزيونيين. كما ان القمر الاصطناعي المخصص للاغراض العسكرية يستطيع ارسال رموز خاصة.

ولقد أصبحت هذه الاجهزة المسافرة المركبة من براغٍ وعزق، معشوقة العالم التجاري أيضاً. إن شركة "ج.س.بني"، وهي سلسلة ضخمة من المخازن التي تبيع بالتجزئة (بالقطاعي) بدأت قبل سنوات ترى في الفضاء حلاً لمشاكلها الناشئة على الارض. والمسؤولون عن المشتريات في كل مخزن ينتقون البضائع التي يريدون تخزينها. ولكي يتسنى لكل مسؤول أن يختار، عليه أن يسافر مستطلعاً البضائع المتوافرة. المسؤول عن شراء الألبسة، مثلا، يسافر الى مدينة نيويورك نحو خمس عشرة مرة في السنة. ولا يخفى أن سفر مئات المسؤولين لدى مئات المخازن يحمل الشركة تكاليف باهظة.

لهذا السبب تمّ ادخال أداة صغيرة تسمى «GSTAR II» . وكما أن المحور في عجلة يربط مجموعة القضبان المتشابكة، فإن «GSTAR II» التابع لشبكة «GTE» الفضائية يربط الآن معظم مخازن شركة "بني" الكترونياً بعضها ببعض. وعدة مرات في الاسبوع، تبث شبكة "بني" التلفزيونية العاملة بواسطة القمر الاصطناعي والتي بلغت تكاليفها ثمانية ملايين دولار، عروض الأزياء والبضائع في مركزها الرئيسي في مانهاتن بنيويورك. وتنقل هذه العروض مباشرة الى القمر الاصطناعي «GSTAR II» الذي يدور على ارتفاع ٣٦ ألف كيلومتر فوق خط الاستواء، وهو بدوره يبثها الى هوائيات مركزة على سطوح مخازن الشركة ومكاتبها في أنحاء البلاد. فأصبح في إمكان المسؤولين عن المشتريات في ولاية كاليفورنيا أو آيوا مشاهدة العروض التلفزيونية الحية وتقرير ما يريدون طلبه.

صحون على السطوح – لسحب المعلومات من قمر اصطناعي يحتاج المرء الى صحن لاقط، أي الى واحد من تلك الطباق المقعرة التي انتشرت كالفطر في السنوات القليلة الماضية وركزت على السطوح أو في أفنية البيوت. هذه الصحون هوائيات تجمع المعلومات التي تبثها الاقمار الاصطناعية الى

الارض. أما الصحون المركزة في الافنية والمتصلة بأجهزة تلفزيون فتمكن المشاهدين من تجاوز محطات التلفزيون المحلية والتقاط باقة من البرامج الجميلة مباشرة عبر قمر اصطناعي. وهناك صحون مزودة اجهزة ارسال تنقل اشارات الى الاقمار الاصطناعية.

إن أول ارسال تلفزيوني حي بث عبر الاطلسي تمّ بواسطة القمر الاصطناعي المسمى "تلستار - ١" عام ١٩٦٢، واستعمل فيه صحن دوّار ركزّ على قمة جبل في ريف ولاية ماين، وبلغ قطره ٢٧ متراً ووزنه ٣٨٠ طناً. أما الاقمار الاصطناعية اليوم فترسل اشارات قوية جداً مما أتاح استعمال صحون خفيفة لا يتعدى عرضها مترين، وهي باتت شائعة.

وساعد صغر حجم هذه الصحون على التخفيف من تكاليفها مما أدى الى ازدهار الاعمال التجارية القائمة على الاقمار الاصطناعية نظراً الى انخفاض سعر الكلفة سنة بعد سنة. ففي منتصف الستينات بلغ ايجار شبكة هاتفية تعمل على قمر اصطناعي ٢٤ ساعة يومياً ستين ألف دولار شهرياً، أما اليوم فلا يتعدى الايجار ٦٠٠ دولار شهرياً.

إن التطور التكنولوجي سيجعل الصحون الحالية الموضوعة في أفنية البيوت تبدو شديدة الضخامة، وفي العام ١٩٩٠ سيطلق أسطول جديد من الاقمار الاصطناعية للبث المباشر التي ترسل اشارات تلفزيونية ذات ذبذبة عالية تفوق مثيلاتها في أيامنا. وكل ما سنحتاج اليه لالتقاطها هو هوائيات مسطحة خفيفة الوزن لا تتجاوز مساحتها نصف متر مربع.

حزام الاقمار - القمر الاصطناعي يدور فوق الارض، لكن الصحن الذي يتعقبه يبقى في وضع ثابت. فعلى ارتفاع ٣٦ ألف كيلومتر، وهو الارتفاع القياسي لأقمار الاتصالات، كل دورة كاملة للقمر الاصطناعي تستغرق أربعاً وعشرين ساعة، لذلك يبدو القمر الاصطناعي فوق خط الاستواء كأنه يحلق من غير تحرك. وانطلاقاً من هذا الواقع يشكل القمر الاصطناعي قمة لبرج غير مرئي يرتفع ٣٦ ألف كيلومتر عن الارض.

قبل استعمال الاقمار الاصطناعية كانت الاشارات التلفزيونية ترسل بواسطة أبراج بث معدنية. والمساحة التي كان يغطيها البث عبر برج الارسال كانت لا تتعدى ستين كيلومتراً مربعاً، تحدها التلال والمباني والتقوس الطبيعي للارض. أما اليوم فيغطي بث القمر الاصطناعي ثلث مساحة الكرة الارضية.

ومما يثير الدهشة أن يصبح الحزام الفضائي الذي يطوق خط الاستواء على ارتفاع ٣٦ ألف كيلومتر مزدحماً بآلات التكنولوجيا الحديثة. فالاقمار الاصطناعية تتزاحم اليوم داخل هذا المدار، وكثير منها يجوب الفضاء في مدارات أخرى. وقد أحصت "القيادة الامريكية لشؤون الفضاء" ٦٨٥٠ "جسماً من صنع الانسان" منتشرة في مدار الارض. وعدد الاقمار الاصطناعية العاملة في هذه المجموعة لا يتعدى نسبة واحد الى عشرين، وثلاثة أرباع هذه الاجسام حطام خزانات صواريخ قديمة وأقمار اصطناعية هامدة.

هذا المدار الذي تتزامن فيه سرعة

الاقمار الاصطناعية مع سرعة دوران الارض هو المفضل في الاتصالات، ولكن هناك مدارات أخرى منخفضة تعلو بين ١٥٠ كيلومتراً و١٣٠٠ كيلومتر فوق الارض وتعتبر المركز الرئيسي للاقمار الاصطناعية المخصصة للقياس والتتبع والتجسس. وقد أصبحت الصور المرسلة من الاقمار الاصطناعية عن أحوال الطقس جزءاً ثابتاً وعادياً في نشرات الاخبار المسائية. وهنالك أقمار أخرى مزودة أعداداً كبيرة من آلات التصوير المتطورة تراقب جبال الجليد وانتاج المحاصيل وانفجارات البراكين. كما أن هنالك قمراً مجهزاً بآلات لقياس الحرارة يساعد صيادي سمك التن على الاهتداء الى مناطق التيارات الدافئة في المحيط حيث يكثر هذا النوع من السمك.

إن مجموعة "لاندسات" من الاقمار الاصطناعية المتخصصة بوضع خرائط لجغرافية الارض والتي أطلقت للمرة الاولى عام ١٩٧٢، كشفت مجموعة كبيرة من أسرار الارض. وقد ساعدت دراسة الصور المرسلة من "لاندسات" شركات المناجم في العثور على معادن الاورانيوم والنحاس والموليبدنوم. أما مفتاح معرفتهم في هذا المجال فكان التغيرات الدقيقة في مقدار نور الشمس الذي تعكسه أوراق النبات، وهي تغيرات تحصل نتيجة وجود مقادير ضئيلة من المعدن في التربة.

وهناك قمر اصطناعي فرنسي يدعى "سبوت - ١" يؤمن صوراً أكثر وضوحاً من تلك التي يقدمها "لاندسات." فمن مداره الذي يعلو ٨٤٠ كيلومتراً عن سطح الارض يلتقط صوراً ثلاثية الابعاد، وهذه ظاهرة مفيدة بالنسبة الى مهندسي الطرق وبناة السدود وكل من يهمه أن يرى الارض بثلاثة أبعاد. وفي العام ١٩٨٦ زود هذا القمر الاصطناعي الصحافة العالمية صوراً للمنطقة التي أصيبت بالاشعاع النووي حول تشيرنوبيل إثر انفجار المفاعل النووي السوفييتي. وفي مقابل مبلغ زهيد لا يتجاوز ١٥٥ دولاراً، تزود شركة "سبوت" للتصوير هذا القمر تعليمات فيلتقط بدوره صوراً لأي مكان يختاره الزبون، أكان في موطنه أم على قمة جبل إفرست.

خرائط تحت البحار - لا تزال استعمالات حاذقة وغير متوقعة للأقمار الاصطناعية تظهر وتوضع موضع التنفيذ. فعالم البيولوجيا البحرية بروس مايت من جامعة أوريغون يعمل حالياً على استعمال قمر اصطناعي من طراز "تايروس" مخصص للأرصاد الجوية في اقتفاء حوت مزود جهازَ ارسال.

وخلال وقت وجيز سيتمكن علماء المحيطات من دراسة أسهل لقعر المحيط والتيارات التي تجوبه بفضل القمر الاصطناعي "توبكس/بوسايدون" وهو إنتاج فرنسي - أمريكي مشترك. وعند إطلاقه سنة ١٩٩١ سيحمل هذا القمر الاصطناعي مجسّ رادار لتحديد ارتفاع سطح المحيط الذي يسجل تغيرات تصل الى ثلاثين متراً. وأحد أسباب هذه التغيرات أن جبلاً تحت الماء، بوزنه الأثقل، يمارس جاذبية على سطح الماء الذي يعلوه أقوى كثيراً من جاذبية قعر

منخفض. ونتيجة ذلك تتجمع المياه فوق سلسلة جبلية تحتمائية وتنخفض فوق منخفض. وهذه التغيرات في ارتفاع الماء لا تظهر للعين المجردة، ولكن في إمكان القمر الاصطناعي "توبكس/بوسايدون" تحديدها، اذ عندما ترتد موجات الرادار عن سطح المياه يلحظ القمر الاصطناعي التغيرات الحاصلة في المياه الى مدى سنتيمترات قليلة، فيساعد العلماء على مسح قيعان المحيطات وتياراتها بتفاصيلها الدقيقة المدهشة.

ولكن ليس كل ما يكتشفه القمر الاصطناعي يكون مقصوداً. فهناك اليوم أقمار اصطناعية خاصة بالتنصت تضبط التجارب الصاروخية وتستمع الى المكالمات الهاتفية البعيدة المدى وتسترق السمع الى اتصالات أبراج المراقبة الارضية بالطيارين.

وفي وسع أقمار الاستطلاع أن تكون حادة النظر فعلاً. ففي العام ١٩٨٤ نشرت مجلة بريطانية صورة مذهلة لأول حاملة طائرات سوفييتية تعمل بالطاقة النووية وهي قيد البناء. وأظهرت الصورة بوضوح تفاصيل الرافعات في حوض بناء السفن، كما ظهرت نوافذ المباني. وافتُرض وقتذاك أن الصورة تم التقاطها بواسطة قمر اصطناعي أمريكي سري في حجم حافلة ويدعى «KH-11».

وعلى رغم احاطته بالسرية يعتقد أن «KH-11» الذي تعتمده وزارة الدفاع الامريكية يمكنه أن يناور في مداره ويضخم المناظر التي تثير الاهتمام ويلتقط الصور بتتابع سريع مثل آلة التصوير السينمائية. كما يشاع أنه في ظروف مثالية يستطيع قراءة رقم لوحة سيارة.

في المستقبل لن تكون الاقمار الاصطناعية موجهة نحو الارض فقط. فإن وكالة الفضاء الامريكية "ناسا" تخطط لإطلاق سلسلة مراصد مدارية تبدأ بالمرقاب (التلسكوب) الفضائي "هابل" الذي تبلغ تكاليفه ١،٤ مليار دولار. وفي غياب غلاف جوي يحجب الرؤية سيكون في امكان هذا المرقاب تحري كواكب تدور حول النجوم القريبة.

وتطاول الاقمار الاصطناعية بيوتنا لتكون أكثر فاعلية في تغيير حياتنا اليومية. فمن المحتمل مع بداية السنة ١٩٩٠ أن تُبَثّ المكالمات الهاتفية في السيارات عبر الاقمار الاصطناعية. يقول روبرت ماهر رئيس "رابطة صناعة وسائل الاتصال البعيدة المدى": "اذا كنت ممن يرسلون بضائعهم في شاحنات، فسيكون في امكانك أن ترفع سماعة الهاتف وتعلم على الفور موقع شحنتك من البطيخ."

"سبوتنك"، ذلك القمر الاصطناعي السوفييتي الذي اطلق عام ١٩٥٧، يبدو كأنه أطلق قبل دهور. ويصعب علينا أن نصدق أنه في مستهل الخمسينات، قبل اطلاق الاقمار الاصطناعية الاولى في مداراتها حول الارض، كان هناك أناس مشككون يتساءلون عن المنافع التي يمكن أن تحققها البشرية من إطلاق هذه الآلات النائية. أما اليوم فقد أثبتت هذه "العلب" المعدنية السريعة أنْ لا غنى عنها. وفي السنوات المقبلة ستكون لها وظائف لا تحدها إلا مخيلاتنا.

دوغ ستيوارت

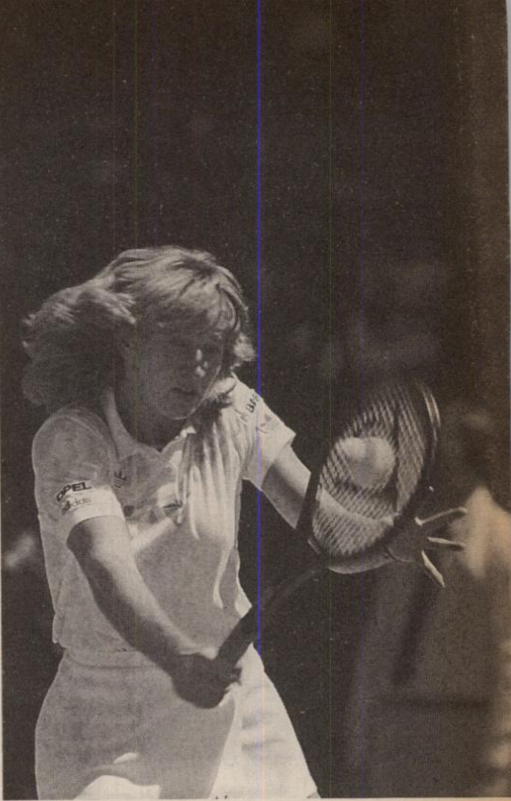

انتخبت رياضية العام
في ألمانيا ومنحت لقب
"رياضيّة العالم للعام ١٩٨٧."
في الدورة الفرنسية المفتوحة
على ملاعب رولان غاروس كما
في ومبلدون ببريطانيا،
ذهل المنافسون والمتفرجون
بابنة التاسعة عشرة
القادمة من برول والتي احدثت
ثورة بين لاعبات كرة المضرب

شتيفي غراف: نجمة ألمانيّة في المضرب العالميّ

قبل خمس سنوات، اكتشف المدرب الامريكي رينه ريتشاردز اللاعبة شتيفي غراف في الدورة المفتوحة للولايات المتحدة. وهو يتذكر: "كنت أدرّب لاعبة ناشئة هي ميليسا براون وكان مقرراً، في التصفيات، ان تواجه شتيفي التي كانت آنذاك في الرابعة عشرة. فراقبتها في مباريات الادوار الاولى ولاحظت أنها تتحرك بسهولة على أرض الملعب، وأن تسديدها الخلفي المنحرف ثابت، الاّ أنها تنزع الى الابطاء في تسديد الكرات الامامية، فأشرت على ميليسا لتركز على الضربات الامامية، وهكذا عُقد لها الفوز."

Condensed from New York (August 31, 87), © 1987 by
News Group Publications, Inc., New York, N.Y. Photo: Focus on Sports

واليوم، ما من مدرب يجرؤ على تحدي التسديدات الامامية لشتيفي. هذه التسديدات، التي يبدو جلياً أنها تغلب على أداء لاعبات كرة المضرب، خولتها لأن تفوز في ٧٥ مباراة من أصل ٧٧ مباراة خاضتها العام الماضي، ولتصنف، تالياً، اللاعبة الرقم واحداً في العالم اثر فوزها على كريس إفرت في دورة "فرجينيا سليمز" في لوس انجلس في ١٦ أغسطس (آب) ١٩٨٧. وللمرة الاولى في ١٤ عاماً تتصدر لاعبة غير كريس افرت ومارتينا نافراتيلوفا لائحة الجمعية العالمية للاعبات المحترفات في كرة المضرب في نهاية السنة.

كانت مارتينا نافراتيلوفا الوحيدة التي هزمت شتيفي (مرتين فقط) في العام ١٩٨٧. وتحفل المنافسة بين اللاعبتين عادة بكل عناصر المواجهة الكلاسيكية: السن المتقدمة في مواجهة الشباب، اللاعبة العسراء في مواجهة اليمناء، التسديدات العالية في مواجهة الكرات الارضية.

لكن رؤية شتيفي، وهي تلعب، مشهد مثير أيا تكن منافستها. ويوضح والدها بيتر غراف: "انها تحب ان تنهي المباراة بسرعة خلافاً للاعبات الاخريات اللاتي يعتمدن الاسلوب الدفاعي فيمكثن في الملعب ثلاث ساعات في كل مباراة." الحقيقة أن شتيفي تعتمد اللعب الهجومي الذي يغطي رقعة الملعب مسددة الكرات الارضية الرائعة بسهولة تعيي منافساتها. وعلى أثر خسارتها ثلاث مباريات على التوالي أمام شتيفي، وكانت آخرها في دورة "كأس الاتحاد" في أغسطس (آب) ١٩٨٧، أقرت كريس افرت: "لو اني تمكنت من العثور على أي خلل في أدائها لكنت استغللته. ولكن ما من ثغرات في درعها." ويثني ريتشاردز على هذا: "شتيفي من اللاعبات الفريدات اللواتي يظهرن مرة واحدة كل عشر سنين."

ابنة ابيها - ولدت شتيفي غراف في ١٤ يونيو (حزيران) ١٩٦٩ في مانهايم - نكارو، وهي بلدة تقع على مسافة ٢٢ كيلومتراً شمال غرب هايدلبرغ. مارس والدها، وهو ملاكم سابق عمل في بيع السيارات والتأمين، رياضة كرة المضرب عندما كان في الثامنة والعشرين. وما لبث أن صار عضواً في فريق المقاطعة وباشر تعليم هذه الرياضة. في سنتها الثالثة، شرعت شتيفي، وهي بعد في الثالثة، تبتكر أساليب في اللعب بمضربه داخل البيت. وهو يتذكر: "كانت تلح عليّ دائما لالعب معها كلما عدت من عملي واعتقدت لفترة أنها انما تبغي بعض الاهتمام فقط."

واذ بلغت شتيفي الخامسة أدرك بيتر غراف أن لدى طفلته استعداداً لممارسة هذه اللعبة. وقد باتت تستطيع اللعب وهي عند الخط الخلفي للملعب، ولاحظ أيضاً أنها أفضل من كثيرين من تلاميذه الذين يكبرونها سناً في التركيز على الكرة وسيطرتها على المضرب.

ألحقها بمركز التدريب لاتحاد بادن لكرة المضرب في ليمان، وكان أحد زملائها في مناسبات عدة اللاعب الالماني الشهير بوريس بيكر، وكان هذا لا يزال

ناشئاً. بيد أن المركز كان على مسافة نصف ساعة في السيارة ولم يكن فيه سوى ثلاثة ملاعب لـ١٥ أو ٢٠ لاعباً. لذلك حين باشر بيتر غراف ادارة قاعة لكرة المضرب قرب منزله، أخذ على عاتقه تدريب ابنته بنفسه. وتقول شتيفي عن صعودها: "لم أفكر قط في احتراف رياضة كرة المضرب بل كنت أهواها فقط. كنت أشترك في دورات وأتدرج دوماً الى المرتبة التالية. لقد حدث ذلك طبيعياً."

الصعود السريع - ارتقت السلم سريعاً. فبعد احرازها بطولة المانيا في كرة المضرب للحديثات - وكانت في الثانية عشرة - ثم بطولة المانيا للناشئات - وكانت في الثالثة عشرة - احترفت شتيفي رياضة كرة المضرب وباتت في ذلك الوقت أصغر لاعبة يصنفها الاتحاد الدولي لكرة المضرب. وبعد سنتين وصلت الى دور الـ١٦ في دورة ومبلدون في بريطانيا، واحرزت ميدالية ذهبية في مسابقة استعراضية في دورة الالعاب الاولمبية ١٩٨٤. وفي العام ١٩٨٥ وصلت سبع مرات الى الدور النهائي أو نصف النهائي في سبع دورات. وفي ابريل (نيسان) ١٩٨٦ فازت على كريس افرت في دورة "هيلتون هيد آيلند" في الولايات المتحدة لتحرز اولى الدورات محترفة." وعلى أثر هذه الانطلاقة فازت شتيفي في ثلاث دورات أخرى محققة بذلك اربعة انتصارات متتالية في ستة أسابيع توجتها بفوزها على مارتينا نافراتيلوفا في نهائي الدورة المفتوحة لالمانيا الغربية.

في أي حال، تعتبر أفضل مباراة خاضتها الى الآن تلك التي خسرتها أمام نافراتيلوفا في دورة الولايات المتحدة المفتوحة ١٩٨٦. كانت تسديدات شتيفي في بدء المباراة متزعزعة، وتقدمتها نافراتيلوفا بأربعة أشواط في مقابل شوط واحد. وبعد توقف لفترة، بسبب المطر، أظهرت اللاعبتان أداء رائعاً في ثلاث مجموعات انتهت بفوز نافراتيلوفا بعدما حسمت هذه، بصعوبة، الشوط الفيصل والاخير بنتيجة ١٠ - ٨. خلال هذه المباراة، وفي كل مرة كانت احدى اللاعبتين تحرز نقطة الترجيح التي تسبق نقطة الفوز، كانت الاخرى تستعيد رصيدها من النقاط بتسديدات جريئة وخطيرة وتنجح في اجتناب الهزيمة. في هذه الاثناء احتشد عدد كبير من اللاعبين واللاعبات في المدرجات مؤكدين بذلك الاحساس الذي بدأ يخالج جمهور المتفرجين: أن شتيفي كانت تهديداً واضحاً لسيطرة نافراتيلوفا الطويلة على مسابقة السيدات. ومذذاك باتت تقريباً لاعبة لا يمكن ان تُهزم.

يقول مدربها بافل شلوزل وهو لاعب دولي سابق: "تسدد شتيفي الكرة بطريقة أقوى وأقرب الى الشبكة مما يستطيع كثير من اللاعبين المحترفين." وفي حين أن اعتمادها غالباً ما يكون على كراتها الامامية التي تشبه ضربات السوط وتجمع الخداع الى القوة الفائقة، فان أكثر ما يدهش بعض الخبراء قدرتها على التحرك في كل الوضعيات. وتقول جين سكوت مالكة مجلة "تنس ويك": "الفارق الرئيسي بين اللاعبين واللاعبات هو

شتيفي مع والدها بيتر في الدورة المفتوحة للولايات المتحدة عام ١٩٨٦.

اللياقة البدنية، وهذا، في المقام الاول، ما يفسح لشتيفي لتأخذ وضعاً تستطيع فيه تسديد كراتها الامامية."

يعتقد ديك دِل مدرب غبرييلا ساباتيني اللاعبة الرقم واحد في الارجنتين أن الذي خول شتيفي الفوز على ساباتيني هو الجهد العظيم والادراك العميق لمجريات اللعبة أكثر منه مهارتها الجسدية. ويقول: "أنت لا تراها ابداً تسدد كرة عشوائية خرقاء، ذلك بانها تملك رؤية واضحة لما تريد تحقيقه وهي مدركة ما تسعى انت اليه."

غدت أسطورة – في التاسعة عشرة غدت شتيفي أسطورة في قدرتها على تحمّل الضغط. وتفسيرها لذلك بسيط وهو أنها لا تشعر بالضغط اطلاقاً وتقول: "حين أكون في الملعب أركّز على كرة المضرب فقط."

أقلقت هذه القدرة الجسدية كثيرات من اللاعبات، وتقول اندريا لياند: "خسرت مباراة من ثلاث مجموعات أمام شتيفي في دورة شتوتغارت، وذلك قبل أن تصير على ما هي من مهارة، بسنوات. واني أذكر أنه في كل مرة اعتقدت أنها لا بد ستنهار، كانت تزداد قوة." وتقرّ شتيفي بأنها لا تستطيع حتى التمرن من غير أن تحاول الفوز: "عندما ألعب ضد مدربي ونحاول معاً إبتكار أساليب جديدة كالتقدم الى الشبكة لدى كل ارسال، أجدني وقد تراجعت الى الخط الخلفي سعياً وراء تسجيل النقاط كلها."

تعتبر شتيفي لغزاً خارج الملعب بمقدار ما هي كذلك داخله. فمنذ انضمامها الى الدورات الدولية وهي على مسافة في علاقتها مع سائر اللاعبين واللاعبات، خلافاً لعلاقتها الوثيقة مع أهلها. فوالدتها وشقيقها الاصغر منها يشاهدان كل دوراتها ويجتمعان بها حين تعود الى منزلها في برول، فيما يضطلع والدها بدور رئيسي في حياتها المضربية.

ونظراً الى نزعته التصادمية (أبعد مسؤولي مباريات ومديري دورات واصطدم مع حكام) وكذلك الى علاقتهما الحميمة، غالباً ما يفترض المراقبون أنه القوة الكامنة خلف نجاحها، وانه "الوالد المضربي" المثالي. أما الذين يعرفونهما جيداً فيقولون أنه الآلة التي تمهد الطريق أمام ابنته في سعيها الى الكمال وقد منحها حرية التمتع بهذه الرياضة. وتؤكد شتيفي: "طوال فترة لعبي كناشئة، لم يمارس عليّ والدي أي ضغط للفوز. واذا هُزمت فالمسألة لا تتعدى حد الهزيمة." والواقع أن بيتر غراف يعامل ابنته بلطف ورقة شديدين، فهو يعانقها ويقبلها بعد كل مباراة، خاسرة كانت أم رابحة.

موزة "الغوريلا" - أما وقد وصلت شتيفي الى القمة، فاللاعبات يسعين في اثرها، وتبجّل وسائل الاعلام كل حركة لها، ويطلب ضامنو الدورات مزيداً من وقتها. وتساعدها روابطها العائلية الوثيقة في التعامل مع الشهرة. الا ان ما تخشاه، حاضراً، فهو التصريحات التي تدلي بها افرت ونافراتيلوفا اكثر منها المباريات التي تخوضها ضدهما. ولا تزال "الصرعات" الدعائية تحرجها، كما حدث لها عندما أسرع رجل في زي "غوريلا" الى المنصة خلال ندوة صحافية عقدتها في ماوا بنيوجرزي وقدم اليها موزة احتفالا باحتلالها المرتبة الاولى. حين رأته شتيفي، تركت المنصة واختبأت خلف ممثلها فيل دوبيكيوتو.

لم تحول اهتمامها بعد الى المال الذي تكسبه. فالعقود الموقعة وبدلات المباريات الاستعراضية (تتقاضى ٥٠ الف دولار حداً أدنى بدل اشتراكها في مباراة استعراضية واحدة) أضافت ما يفوق ٣ ملايين دولار الى دخلها من الجوائز المالية والذي تعدى مليون دولار العام الماضي. وهي تقول: "لا أفكر اطلاقاً في أن أصبح ثرية، فوالدي هو الذي يتولى المسائل المالية، ثم ان الطريقة التي بها أحيا لا تتطلب انفاقاً كبيراً."

بدل أن يكتنف شتيفي احساس بالضغط كونها اللاعبة الرقم واحد فانها على عكس ذلك تستمتع بتربعها على هذا المركز، وتقول: "قبل ان أفوز في دورتي الاولى، كانت رياضة كرة المضرب تشغل كل تفكيري. أما الآن فانا أكثر ارتياحاً وأرغب في أداء أمور أخرى: الطهو، الموسيقى أو الذهاب الى الشاطىء."
انها تحاول ان ترتاح عادة قبل كل دورة، فتتمرن فترة ساعتين صباحاً تتبعهما بثلاث على الشاطىء ثم ساعتين مراناً بعد الظهر فعشاء يليه احيانا حضورها فيلماً سينمائياً أو حفلة موسيقية.

اثناء وجودها في البيت تعنى بكلابها الثلاثة وأحدها هدية من دائرة برول قدم اليها اثر فوزها في الدورة الفرنسية المفتوحة في باريس. وهي كذلك تحب المطالعة خصوصاً كتب ارنست همنغواي الذي تقول عنه أنه: "يرى الامور بطريقة مختلفة."

لعل شتيفي ترى الامور بطريقة مختلفة هي أيضاً، ليس حين تكون النتيجة ١٥ في مقابل صفر في الشوط الاول بل حين يكون رصيد النقاط ٣٠ - ٤٠ لمصلحة منافستها قبيل انتهاء احدى مجموعات المباراة، والمتفرجون في حال ترقب وامامهم لاعبتان مستميتتان. اذذاك، تهدأ وتيرة المواجهة بالنسبة اليها، فتسرع حركة قدميها وتلوح الكرة ضخمة وجلية، هدفاً يدعوها الى نسيان الارهاق. وتقول شتيفي: "ربما أجيد اللعب أفضل في وضع كهذا، فأنا أهوى المجازفات وأستمتع في الحقيقة بقذف الكرة، لا فرق أخسرت أم ربحت، فأنا أدرك تماماً أني جاهدت في تسديد ضرباتي على الاقل."

مايكل ستون

فن العيش هو تحويل الحياة عملا فنياً.

إ.ر.

دائرة المعارف

تحرص "المختار" على تقديم مقالات مفيدة يجد فيها القارىء معارف جديدة مسبوكة في أسلوب واضح. وهي تنصح القراء بالافادة من مطالعاتهم، ليس فقط للتسلية وكسب المعلومات، بل أيضاً لاغناء لغتهم بمفردات وعبارات قد تبدو عادية وسهلة لكنها نادراً ما تُستعمل في الكتابة الخاصة.

هنا كلمات وردت في الاعداد الاربعة الاخيرة من "المختار". وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **ماطل:** تثاءب - سوَّف - شد وفتل - دافع.
٢. **شهَّر:** حادَ - تكلم بالحسن - فضح - أمضى شهراً.
٣. **استحثَّ:** حضَّ ونشَّط - نبش - أسرع - استقصى.
٤. **وبأ:** خبر شؤم - شعر خفيف - حشرة - مرض عام.
٥. **رياء:** ثوب - تظاهر بالخير - لعاب - ماء صاف.
٦. - **امتعض:** انتفض - ركض خائفاً - غضب - بلع ريقه.
٧. **تدارك:** تلافى - تذكر - تهاوي - علم أخيراً.
٨. **تسلَّط:** غلب وقهر - تكلم فحشاً - أصرّ - أنعم النظر.
٩. **ضَنْك:** جوع - وجع القلب - كوخ - ضيق.
١٠. **لَدُنْ:** فوق - عند - نعمة - يد بيضاء.
١١. **كشر:** قشر - عضَّ - كشف عن أسنانه - قطب جبينه.
١٢. **رمعان:** التماع - مشي حثيث - تحرُّك - شباب.
١٣. **توانى:** قصَّر ولم يهتم - تدلل - تبختر - أتى متأخراً.
١٤. **استهجن:** استفزَّ - طار صوابه - ربّى - استقبح.
١٥. **يمَّم:** بارك - سافر بحراً - تفاءل - قصد.
١٦. **بَذْخ:** كرم - كبر وعظمة - ثرثرة - مزاح.
١٧. **مأثرة:** فعل حميد - ثأر - مجزرة - تفضيل.
١٨. **مالق:** سلّى - آخى - تودد وتذلل - خاصم.
١٩. **تألَّب:** تدهور - علا منصبه - تألم - تجمع.
٢٠. **بثرة:** بذرة - خراج صغير - قشرة - بسمة.
٢١. **غَبَش:** ضباب - بقية الليل - جرح - وسخ في العين.
٢٢. **رُكون:** اصغاء - سلطان - وقار ورزانة - سكوت.
٢٣. **سدل:** مشى ليلاً - أخفى وتكتم - نسي - أرخى.
٢٤. **فَرْط:** مجاوزة الحد - صفعة - بكاء - قطع نقد.
٢٥. **راوند:** فضة - نبات مفيد - عطر - حب الرمان.

الأجوبة الصحيحة

١. **ماطله بحقِّه:** سوَّفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى.

٢. **شهَّره:** فضحه وجعله شهرة. أشهرَ الامر: أظهره.

٣. **حثَّه واستحثه على الامر:** حضَّه ونشَّطه على فعله.

٤. **الوبأ والوباء:** كل مرض عام. جمعه أوبئة.

٥. **الرياء:** التظاهر بالخير من دون حقيقة.

٦. **امتعض من الامر:** غضب منه وشقَّ عليه.

٧. **تدارك:** تلافى. تدارك الخطأ بالصواب: أتبعه. تدارك القومُ: تلاحقوا.

٨. **تسلَّط عليه:** غلبه ومارس عليه القدرة والقهر. السُلطة: المُلك والقدرة.

٩. **الضَنْك:** الضيق من كل شيء. يقال: مكانٌ ضنك وعيشة ضنك.

١٠. **لَدُنْ ولَدَنْ ولُدُنْ ولَدِنْ ولُدْنُ ولَدْنُ:** ظرف زماني ومكاني بمعنى عند، ولا يستعمل الا في الحاضر.

١١. **كشَر وكشَّر عن أسنانه:** كشف عنها وأبداها.

١٢. **رمع أنفُه رمعاناً:** تحرك من غضب أو كِبَر.

١٣. **توانى في حاجته:** فتر وقصَّر ولم يهتم.

١٤. **استهجن فعلَه:** استقبحه. الهُجْنة من الكلام: العيب والقبح أو ما يعيبه الانسان.

١٥. **يمَّمه:** قصَدَه. تيمَّم للصلاة: مسح يديه ووجه بالتراب.

١٦. **البذخ:** الكبر وعظم الشأن.

١٧. **المأثرة:** المكرُمة المتوارَثة والفعل الحميد.

١٨. **مالقه:** تودد اليه وتذلل له وأبدى له بلسانه من الاكرام والود ما ليس في قلبه.

١٩. **تألَّب القومُ:** تجمعوا وتحشَّدوا، عادةً ضد واحد.

٢٠. **البثرة:** خراج صغير. بثرَ وجهُهُ: خرجت به بثور.

٢١. **الغَبَش:** بقية الليل أو ظلمة آخره.

٢٢. **الرُكون:** الوقار والرزانة والثبات. الركين: الرزين والوقور.

٢٣. **سدل الشعرَ أو الثوبَ:** أرسله وأرخاه.

٢٤. **الفَرْط والافراط:** مجاوزة الحد.

٢٥. **الراوَنْد:** نبات عريض الورق يؤكل، خاصته الطبية اطلاق البطن وتقوية المعدة.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز

١٤ - ٢٠: جيد جداً

٩ - ١٣: مقبول

كتاب الشهر

أيها العالم ما أجملك!

بقلم

ميرندا وروبرت رَصَل

أيها العالم ما أجملك!

بدأت مأساتنا في ربيع ١٩٨٥ وقد مضت على زواجنا ثلاث سنوات. وكنا مقيمين في بوسطن بولاية مساتشوستس، وكان بيل يعمل في النجارة، وفي أوقات فراغه يصمم قطع أثاث ويصنعها. لم ننجب أولاداً في بادئ الامر ريثما تتحسن أحوالنا المادية فنتمكن من تأمين عيش لائق لهم. الا أننا ربينا قطتين.

**آلام الصداع الحادة
التي كانت تعانيها أشارت
الى أن هناك ما يدعو حقاً الى القلق
وأثبتت نتائج التحاليل
أن هناك مرضاً خفياً قاتلاً في
مخ العظم، والكفاح ضد هذا العدو
سيكون طويلاً وشاقاً.
وقبل أن تقهره سيتحتم عليها
أن تدخل عالماً من العدم والوحدة
لا يعضدها فيه سوى شجاعتها
ومحبة عائلتها
التي رافقتها خطوة خطوة
في كفاحها الطويل المضني**

وكنت في منتصف سنتي الاولى أدرّس الفن في المدرسة الثانوية، وكان ذلك أول عهدي بساعات التعليم الطويلة المضنية والتوتر الدائم. وقد اعتدت حديث والديّ في هذا الشأن، وهما أستاذان جامعيان. لكن الوهن أخذ ينال مني.

بدأت أشعر بالصداع. وكلما ذكرت ذلك لزميلاتي في التعليم ابتسمن كمن يعرف السبب وقلن لي ان هذا هو تماماً ما أصابهن في سنوات التعليم الاولى. غير أن ذلك لم يطمئنّي كثيراً. كنت أحس الالم يبدأ في قفا رأسي كأنه ينبعث من داخل عظم الجمجمة. ولم تَجِدِ المسكنات كالاسبيرين والتايلينول لانني كنت كمن يتناول حبوب سكاكر.

كنت حين ينتابني الصداع في المدرسة أقبض يدي بشدة وأركز على كل عبارة وأصلّي لكي لا أنفجر غضباً لدى طرح

Illustrations: Rick McCollum

أبسط الاسئلة علي، وفي نهاية النهار أذهب الى الموقف وأجلس في سيارتي في انتظار أن يخف الالم فأتمكن من القيادة الى البيت.

عاد بيل في احدى الامسيات فوجدني منهارة في الاريكة غارقة في دموعي تحت وطأة الالم، فقال: "ان هذا الامر لخطير ويستدعي طلب مساعدة."

استشرنا الأطباء واحداً بعد آخر الى أن باتت أسماؤهم تملأ قائمة طويلة، فمنهم من قال لي: "امتنعي عن تناول القهوة،" ومنهم من قال: "تناولي هذه الحبوب أربع مرات في اليوم،" وآخر سألني: "هل أنت سعيدة بزواجك؟"

وفيما اختلفت وصفاتهم وتعددت فانهم أجمعوا على أن فحوصهم الدقيقة لم تكشف أي شيء يثير المخاوف.

مرّ شهر ابريل (نيسان) وتبعه مايو (أيار) فاذا باوجاعي تزداد سوءاً من دون أن يكون هناك أي مسكّن لها. وما ان يسعدني الحظ فأغفو قليلاً حتى يوقظني ألم مبرح في كتفي اليسرى أشعر معه كأن هناك ما يسحن العظم في الداخل، ثم ينساب الالم نزولاً الى الذراع ومن ثمّ الى المرفق. فأقول في نفسي ربّما كنت على وشك أن أفقد عقلي.

وفي هدأة الليل كان بيل يقرأ لي أو يفرك ظهري أو يروي لي قصصاً الى أن يغلبه الارهاق فينام. عندئذ أجاهد لكي أرقد بلا حراك لئلا أوقظه، لكنني لم أكن لاستطيع ذلك فأنسلّ من فراشي وأجول في البيت محاولة خنق تنهدي وبكائي.

انتهت السنة الدراسية في يونيو (حزيران) فوددت لو أن لي القدرة أن أهتف جذلة. قال لي بيل: "ان ما نحتاج اليه كلانا هو الذهاب في عطلة." فزرنا والديه لقضاء عطلة نهاية الاسبوع في كوخ استأجراه. كان اليوم الاول على أتم ما حلمنا به، اذ نمت الليل بطوله. ربما كان بيل على صواب.

ولكن لا، لقد خاب فألنا. ففي صباح اليوم التالي أخذ الالم المبرّح يخترق عظامي متنقلا في جسدي، وبذلت وسعي كي أكبت دموعي التي كاد الالم أن يفجرها خوفاً من أن أفسد العطلة على بيل ووالديه. كانت تلك الاوجاع شبحاً يخيفني ويدفعني الى العزلة والابتعاد عن هؤلاء الاشخاص الذين أعيش بينهم ويغمرونني بعطفهم.

مخاوف وأوهام

رقدت قليلاً تلك الليلة ولزمت الهدوء الى أن أغفى بيل فانسللت خارج المنزل ومشيت في ظلمة الليل الى حقل مجاور والعشب الندي يدغدغ قدمي، ورفعت نظري الى السماء المرصعة بالنجوم. فرجعت بي الذكرى الى سنوات خلت حين كنت أحلم بلقاء أمير أحلامي والعيش حياة هنيئة رغدة. وها أنا الآن أقف حافية في ثياب النوم، وحيدة أستلهم لمسة سحرية من الليل، من هواء الصيف المنعش، من النجوم، لمسة تبعث فيّ الثقة، شيئاً ما يطمئنني: لا داعي الى الخوف، سيكون كل شيء على ما يرام. فانتظرت، وصلّيت، لكنني لم أحظ بتلك اللمسة.

صباح اليوم التالي لرجوعنا الى بوسطن رتب لي بيل موعداً مع طبيب بارز

للامراض العصبية، هو الدكتور ريتشارد تايلر في مستشفى بريغام للامراض النسائية في بوسطن. ذهبت بمفردي لأن بيل كان مشغولا. وفي الطريق الى عيادة الطبيب كان علي أن أمشي مسافة قصيرة بعدما أودعت سيارتي الموقف، فاضطررت الى التوقف ثلاث مرات لكي أرتاح بسبب اعيائي الشديد. وتجلّت حالتي اليائسة للطبيب فور وصولي، فسألته متلهفة عما أشكو. أجابني بلطف: "لست متأكداً، لكنني لا أعتقد أنه مرض عصبي. حسناً فعلت بمجيئك الى هنا. انه المكان الصحيح لك وسنساعدك."

أجريت لي سلسلة من الفحوص باشراف طبيب شاب متمرن، وراحت ممرضات مرحات يأخذن العينات الواحدة بعد الاخرى. ونصحني الدكتور تايلر بالبقاء في المستشفى لاجراء مزيد من الفحوص الضرورية في اليوم التالي.

اتصلت ببيل وأخبرته، فأتى ومعه فرشاة أسناني وقميص نومي، وقد بدا شاحباً قلقاً. وكان أن جاء طبيب آخر لاجراء فحوص اضافية، فالتفت الى بيل وقال له: "سيكون يومها حافلاً غداً، فيجب أن ترتاح جيداً. لذلك أرى من الافضل لها أن تتركها وتذهب الى البيت."

غادرني بيل وهو مضطرب الاعصاب. أما أنا فسيطر عليّ الخوف. وبعد أخذ مزيد من عينات الدم دخل الطبيب ووقف الى جانب سريري ووضع يده على كتفي وقال لي: "يجب أن تتشدّدي، اذ ربما اضطررنا غداً الى استخراج عينة من السائل الشوكي في العمود الفقري واجراء فحص مجهري لنقي العظم(١)، انما هذا يتوقف على النتائج التي تظهرها الفحوص."

قلت في نفسي: ولماذا يجب أن أتشدد؟ ما الذي يحاولون اخفاءه عني؟ هل هناك بعد ما هو أسوأ مما أنا فيه؟ ان صدري يؤلمني وأكاد أعجز عن التنفس.

ورحت أبكي، لخوفي من كل شيء.

ثم جاء الطبيب والممرضة فهدّأا من روعي وأعطياني حبوباً مسكنة لم تزدني الا قلقاً. وبعدما انصرفا نهضت أتمشى في الاروقة الخالية، متنصتة لعلها تتناهى الى سمعي تحركات ذلك الوحش الذي أعلم أنه كامن في داخلي. فلم أسمع سوى أصوات جرّ الاقدام والهمسات الخافتة وأنات المرضى تتردد في الممرات التي يغلفها السكون. لكنني كنت متيقنة أن الوحش هناك متربص في المنعطف التالي ويداه مبسوطتان لضمّي اليه. وخيّل الي أنني في أي لحظة سأحس سعير أنفاسه يلفح وجهي ويديه اللزجتين تطبقان علي. كانت تلك أسوأ ليلة مرت علي... الى ذلك التاريخ.

طلعت الشمس في اليوم التالي فبددت أشباح الظلام. وعجبت اذ وجدتني أفيض بهجة وحبوراً بدلاً من أن أشعر بالانقباض والارهاب. وتملكتني نشوة غريبة من الثقة والطمأنينة. فرأيت نفسي بعد أشهر طويلة من القلق والمعاناة قد اتخذت قراراً جازماً: فها قد دخلت المستشفى، وأنا الآن في هذا السرير أنتظر بلهفة ما ستسفر عنه الفحوص. واليوم، ٩ أغسطس (آب) ١٩٨٥، سيكون يوماً حسن الطالع. ولم لا؟

(١) النقي (marrow) هو مخ العظم.

انه يوم جميل! سيأتي الاطباء بعد الفطور ويطلعونني على ما ظهر في التحاليل ويحددون مرضي ويزودونني وصفاتهم ويطمئنونني وينصحونني بألا أقلق. ومن ثم أغادر المستشفى الى البيت.

ولكن ما ان جاء طبيبان بالنتيجة بعد الفطور حتى تبددت أحلام اليقظة. فبدلاً من أن يتمنيا لي شفاء عاجلاً ويرسلاني الى البيت، أبلغاني أنهما سيسحبان عينة من النقي لفحصها مجهرياً، وأنهما سيفحصان أيضاً عينة من السائل الشوكي. ولم تخفَ عنهما خيبتي.

سألني أحدهما: "ألم يخبرك أحد أنك ستخضعين اليوم لعملية سحب النقي؟"

أجبت بصوت خافت: "أظن أنني نسيت ذلك، ولكن هذا الفحص كان يتحتم اجراؤه في حال أظهرت التحاليل..." وعجزت عن اكمال الجملة.

فرد الطبيب الآخر: "لقد صح ما توقعناه، فالتحاليل تشير الى ضرورة فحص النقي كخطوة لاحقة."

وسألت: "ما هي عملية فحص النقي؟"

فشرحا لي: "سنغرز ابرة في العظم الحوضي لاستئصال عينة من النقي. انها ليست بالعملية السهلة، لكننا سنحاول أن نخفف عنك الالم ما أمكن."

اسم الوحش

أطبقتُ أسناني بشدّة وانكمشتُ متوترة. ثم شعرت بوخز الابرة ومعها مخدر موضعي. وبعد نحو دقيقتين باشر الاطباء عملهم بتحريك الابرة دائرياً، وكنت أحس بكل حركة لتلك الابرة الكبيرة وأسمع صوت احتكاكها داخل عظمي.

وشعرت، على رغم المخدر، كأن هناك سيّافاً يطعنني ويحز عظمي بسيف غير مرهف الحدّين.

غرز الطبيب الابرة حتى العمق في عظمة الحوض المجوّفة، وأخذ يسحب النقي من الداخل. لم أكن أتوقع أن أعاني أوجاعاً بتلك الشدة، فأخرجت يديّ من تحت المخدة وأطبقت بهما على فمي لتفادي الصراخ، ورحت أهمس للمخدة تهديدات أتوعد بها الاطباء بالويل والثبور وبمعاملتهم بمثل عملهم.

سأل أحد الاطباء رفيقه عن سير العملية فأجابه: "سننتهي بعد بضع دقائق."

فصرخت: "دقائق! دقائق!" وخنقت الوسادة صراخي وانسكبت عليها دموعي الساخنة. ثم شعرت بيد تربّت كتفي بلطف وسمعت صوتاً هادئاً يقول لي: "سمِّنا ما شئت، لو كنت في وضعك لفعلت الامر ذاته."

لم أكفّ عن الصراخ. وتابع الطبيب الحفر الى أن انتهى، فنزع الابرة.

قال لي: "لقد كنت عظيمة، وعليك أن تأخذي قسطاً من الراحة قبل فحص السائل الشوكي. أعدك بألا يكون الالم شديداً."

حاولت تحصين ذاتي والاختباء في زاوية في عمق أعماقي، لكن الاطباء والممرضات عادوا ومعهم ابر أخرى. حاولوا أن يخففوا عني الالم، ولكن هيهات، وطعن العمود الفقري بالابر هو الالم عينه. شعرت بأني منهكة. وبعد انصرافهم كان الارهاق بلغ مني الذروة فنمت طويلاً ولم أعد أعي شيئاً، الى أن

استيقظت لاجد الممرضة قد أتت بطبق الطعام. نظرت اليه ولم أدر ماذا أصنع به. واذا بمعذبيَّ يدخلون غرفتي ومعهم مساعدان.

وقف طبيب شاب أسود الشعر الى جانب سريري وقال لي: "لقد تلقينا النتائج."

نظرت اليه مستطلعة ولم أجرؤ على السؤال.

أخبرني أن النتيجة لم تكن حسنة. وبعد صمت قصير أضاف: "أنت مصابة باللوكيميا (٢)." صعقت للنبأ وبدا كأنه سهم يخترق صدري. وقلت في نفسي: اذاً هذا هو اسم ذلك الوحش الذي يتربص به.

ثم قال الطبيب: "انه مرض خطير. يولّد النقي خلايا الدم البيضاء والحمراء واللويحات. وهذه الخلايا تتلف باستمرار، ويجب صنع خلايا بديلة، والنقي هو المصنع الذي ينتج الخلايا البديلة. ويحدث أحياناً أن يصاب المصنع بخلل فيأخذ في توليد كميات كبيرة من الخلايا البيضاء وقليل من الخلايا الحمراء. وهذا هو سبب ضعفك الشديد، اذ لم تكن لديك الخلايا الحمراء الكافية لنقل الاوكسيجين الضروري الى الجسم. والانتاج المفرط للخلايا البيضاء زاد الضغط على العظام من الداخل، مما سبب لك الصداع والالم في الكتفين."

فسألت عندذاك: "اذاً ما العمل؟"

أجاب الطبيب: "آه، حسناً، سنباشر العلاج منذ اليوم، وستشعرين بتحسن سريعاً."

قلت: "وهل هذا يعني أني سأشفى؟"

فهز رأسه قائلا: "ان تلك الاوجاع ليست سوى مؤشرات. فالمرض أكثر تعقيداً، ولكن علينا أن نكون شاكرين لما نقدر عليه. هل زوجك آت لرؤيتك قريباً؟"

قلت: "سيأتي بعد الظهر ليأخذني الى البيت."

قال: "أخشى ألا يكون هذا ممكناً، ولكن سيكون لنا حديث معه. ولا تقلقي، لانك ستحتاجين الى كامل قوتك." ثم انصرفوا جميعهم بوقار.

أحسست بخدر يسري في عروقي وبدوار في رأسي. كنت كمن فقد حسه ودخل غيبوبة نفسية. جاء بيل فوجدني شاحبة وقد صدمني النبأ، فكنت أحاول عبثاً كفكفة دموعي المنهمرة. فقال لي والعبرات تكاد تخنقه: "لقد أخبروني، وأراني مذنباً بحقك لانني حسبتك ستتغلبين على أوجاعك وتستعيدين عافيتك. وها قد بانت فداحة خطأي. انني آسف جداً."

قلت له: "لا، لم تكن مذنباً أو مخطئاً، انما أنا كنت قاسية عليك. فأنى لك أو لسواك أن تعرفوا الحقيقة المخيفة؟"

انحنى بيل وقبلني مطمئناً فامتزجت دموعنا. وقال: "انها معركتنا نحن الاثنين، وسينتهي كل شيء على ما يرام، لست أدري كيف، لكنني أعرف أننا سننجح وستتم لنا الغلبة."

معالجة بالاشعة

كان أبي وأمي يقضيان فصل الصيف في جزيرتنا في سان لورنس بكندا. ووصل أخي مارك الى هناك مع عروسه نانسي لتمضية عطلتهما، وتبعهما أخي جايمس

(٢) اللوكيميا أو ابيضاض الدم نوع من السرطان.

قادماً من واشنطن. وكانوا كلهم على علم بالصداع الذي أشكو منه، لكنهم لم يعرفوا السبب الى أن اتصلت بهم. فحمّلوا أمتعتهم في سيارة وجاؤوا الى بوسطن قاطعين مسافة ٦٥٠ كيلومتراً.

أقبل علي أفراد العائلة جميعهم، باستثناء أخي ريتشارد الذي كان يعيش في أوستراليا. كانوا قلقين على مصيري، فمنهم من بكى فيما حاول الآخرون حبس دموعهم. واتضح لي فجأة أنني أنا مصدر حزن العائلة كلها. لكنني اكتشفت من خلال حزنهم مبلغ محبتهم وعطفهم. كانوا يخشون علي من الموت أكثر مما كنت أخشاه أنا. ورأيت أن محبتهم لي ألقت علي مسؤولية تحفزني على أن أتعافى وأبقى قيد الحياة.

دخل الاطباء، وأفراد عائلتي متحلقون حولي. فشرح لنا أحدهم أن لوكيميا الكريات اللنفاوية الحادة(٣) التي أنا مصابة بها خطيرة جداً. وقد خطا العلم خطوات كبيرة متقدمة في معالجة اللوكيميا لدى الاولاد، وكانت النتائج حسنة بحيث بلغت نسبة النجاح ٨٥ في المئة وربما أكثر، بعدما كانت كلمة "لوكيميا" الى عهد قريب تعني حكماً بالموت. ولكن، لسوء الحظ، لم تكن هناك خطوات مماثلة في معالجة البالغين الذين تندر اصابتهم بلوكيميا الكريات اللنفاوية الحادة.

فكم كانت نسبة حظي في البقاء قيد الحياة؟ ذلك كان السؤال الخطير الذي جال في خاطر كل منا ولم يجرؤ أحد على طرحه. أدرك الطبيب ما أردنا معرفته فشرح لنا أن مرضي نادر جداً ولكل حالة منه ميزة خاصة، وليس هناك سوى أساس واه للتكهن بتطوره. كان ذلك كلاماً لطيفاً كيِّساً صيغ بلغة غير جازمة قابلة للتأويل مفادها أنه غير متيقن من مصيري: أأعيش أم أموت؟

سيباشرون معالجتي ذلك المساء بحقنة وريدية بمقدار من الـ "أدرياميسين" الذي يلقب "الشيطان الاحمر" بسبب لونه وقوته، وتكفي نقطة

(٣) Acute lymphocytic leukemia

منه على الجلد لكي تخترق طريقها وصولاً الى العظم. أما لماذا لا يتلف الاوردة التي يحقن ضمنها فلم يفدنا أحد بهذا الامر. انه بدء الهجوم الكبير: الحرب الكيميائية ضد الخلايا السرطانية في مجرى دمي.

وما هو الا يوم أو يومان وأعود الى البيت وأتبع نظاماً أتناول بموجبه عقاقير مختلفة. عيّن الاطباء بدقة جميع الاعراض الجانبية التي يحتمل أن تترافق وتناول العقاقير. كان هناك عدد لا يحصى من تلك الاعراض الجانبية، وكل منها خطر ومخيف. وعلي أن أخضع أسبوعياً للفحوص والحقن بالابر في عيادة أمراض الدم. واذا تمكن الاطباء من الوصول بمعالجتي الى حد لا يبقى فيه اي مؤشر على وجود المرض، فسأكون أصبحت في طور الخمود(٤) أي خفة حدة المرض.

واذا استطعت العودة، وإن الى تلك الحالة الغامضة، فستكون خطوة جبارة في الطريق الى... الى ماذا؟ الشفاء؟ الحياة الطبيعية؟ ان الاطباء لا يسمّون الحالة التي قد أعود اليها. لكن بلوغي مرحلة الخمود يعني أننا ربحنا الجولة الاولى في المعركة. ولكن من المحتمل أن يكون العدو تسلّل الى عمودي الفقري أو الى دماغي حيث يكمن ريثما تهدأ الامور ثم يعود الى الظهور. واذا أسعدني الحظ في بلوغ الخمود، فيجب مهاجمة المرض في مخبأه، ويعني ذلك معالجة الجمجمة بالاشعة، تتبعها سنتان من المعالجة بالادوية التي تؤخذ من طريق الفم وحقناً ضمن الاوردة، هذا اذا لم تلمّ بي انتكاسة في تلك الاثناء، والانتكاسات كثيرة الحدوث.

شعرت بالاحباط. وتساءلت: هل قدر لرأسي أن يشوى في لهب الاشعة؟

صحوت الى نفسي وتبصّرت في ما آلت اليه حالي فوجدت أني فقدت السيطرة على حياتي وأصبحت ضحية لا حول لها ولا قوة. ولكن لا، لن أذعن، فهناك دائماً خيارات، منها أن أدير ظهري لكل هذه التدابير الوقائية وأغادر المستشفى متأبطة ذراع بيل وأعود الى ممارسة عملي وأحقق كل أمانيّ وأحلامي. ثم، من يهتم؟ لكن هذا ليس بالتفكير الصحيح، اذ ان هناك أناساً دأبهم الاهتمام الشديد بما أعانيه والغيرة عليّ. ربما كتب لي أن يحجبني الموت باكراً، ولكن لا يسعني أن أختار طوعاً هذا المصير ما دامت هناك خيارات بديلة.

عطف الآخرين

عينت الساعة الثامنة مساء موعداً لحقني بالادرياميسين. فاجتمع الكل حول سريري صامتين مترقبين، وبدوت كنجمة مسرح في ليلة افتتاح.

دخل طبيبان ومعهما عدة العملية. وكنت أُعطيت كمية مكثفة من المسكنات. فتراجع أفراد عائلتي حتى التصقت ظهورهم بالحائط. وتقدم بيل وأمسك بيدي وقال لي: "سأبقى معك هنا الى أن تنتهي العملية."

استيقظت في الصباح التالي فوجدت بيل يغط في نومه الى جانب سريري وهو لا يزال ممسكاً بيدي. وكنت نمت طوال الليل فتخطيت أشدّ الاوجاع التي يسببها "الشيطان الاحمر." لم أشعر بالصداع أو

(٤) Remission

بأي آلام أخرى، بل بسلام داخلي يغمر كياني.

غادرت المستشفى بعد بضعة أيام عائدة الى البيت. ورجع أبي وشقيقاي جايمس ومارك مع زوجته الى الكوخ الصيفي في كندا، وبقيت أمي معي مدة أسبوعين لتساعدني في ترتيب أموري. بعدما انصرفت أمي أقامت معي صديقة طفولتي ماري أسبوعاً، فكانت تجبرني على لزوم فراشي وتحشو الثلاجة بالاطعمة التي يسهل طهوها في الفرن وتفعل كل ما يدخل البهجة الى نفسي.

ذاع نبأ مرضي الخطير فتدفقت علي الاتصالات الهاتفية والرسائل التي تحمل وصفات من أناس أحبوا ان يساعدوني. فمنهم من نصحني بأن أصبح نباتية فلا أتناول سوى الخضر والحبوب والفاكهة، ومنهم من أشار عليّ بمزاولة التأمل والاستغراق في التفكر، وأشار آخرون بالغناء لفترات معينة في اليوم.

واشتكيت من الوضع المزعج الى أحد الاطباء، فقال لي: "كثيرون من الناس يجدون راحة وعزاء في هذا الاهتمام الذي يغدقه عليهم الآخرون، فلا تقللي من أهميته."

أما المسؤولون في مدرستي فتعاطفوا معي حين أطلعتهم على وضعي وطبيعة مرضي، وقبلوا أن أعود الى التعليم بعد أن أتعافى تماماً. في تلك الاثناء تابعت زياراتي للعيادة بانتظام. وكان الطبيب الشاب دوغلاس تايك، المكلف العناية بي، رائعاً في غاية اللطف يبعث الامل والطمأنينة في نفوس مرضاه ويبدد مخاوفهم.

كانت الحقن وفحوص النقي والسائل الشوكي تجرى لي بانتظام. كنت أشدّ شعري من حين الى آخر لكي أطمئن الى أنه لا يزال في مكانه، فقد حذرت من أنه مهدد بالسقوط. ثم أخضعت للمعالجة بالـ"ستيرويد" مما أيقظ فيّ نهماً شديداً، وسررت لمعاودتي التلذذ بالطعام. لكن الستيرويد حمل جسمي على الاحتفاظ بالسوائل فنتج من ذلك انتفاخ وجهي ومعدتي انتفاخاً كبيراً.

وبنتيجة تناولي عقار "فينكريستين" كنت أفقد الاحساس برؤوس أصابع يديّ وقدميّ. وعلى رغم الاعراض الجانبية التي ترافقه، أصر الاطباء على أن أتناوله لكونه عنصراً رئيسياً في المعالجة. واستمرت الحال على هذا المنوال وأنا أنتظر. لكن الاطباء لم يعرفوا كم سيطول الانتظار.

رائدة فضاء!

كان ذلك بعضاً من مشاكلي التي شاركني بيل في تحملها، الى ما هنالك من مشاكل خاصة به، ومنها النهوض باكراً للوصول الى عمله في السابعة صباحاً. وأذن له رئيسه بأن يغادر عمله حين يصطحبني الى العيادة أو يضطر الى مساعدتي في مئات الامور التي أفتقر فيها الى مساعدة. ولكي يعوّض الوقت الذي ضيعه كان يشتغل في محل النجارة الذي يملكه الى منتصف الليل أحياناً. ولم يشتكِ ولم يتذمّر. أما أنا فكنت أرى أن في وسعي تحمّل مأساتي برحابة أكبر لو أنها لا تعقد حياة كثيرين أحبهم.

وأظهرت الفحوص أني بلغت مرحلة الخمود، فاحتفلت وبيل للمناسبة بوجبة

من الاطعمة اللذيذة المجلّدة التي هيأتها صديقتي ماري قبل أن تعود الى عائلتها في مونريال.

ما أروع أن تكون لديك أخبار سارة تذيعها، وإن حدّ من بهجتها التفكير في معالجة الدماغ بالاشعة التي تستلزم خمس عشرة جلسة. حضرت والدة بيل لتساعدنا في هذه المرحلة. وذهبت الى الجلسة الاولى فأجريت لي خلالها مقابلات مع عدد من الناس وضبط وزني واستخرجت عينة من دمي.

كانت غرفة المعالجة بالاشعة باردة مظلمة. وطلبت مني الاختصاصية نزع مجوهراتي والتمدد على طاولة معدنية كبيرة. ثم أخذت تحرك فوقي جهازاً ضخماً الى أن ظهرت نقطة حمراء. وحين ركزت النقطة فوق المكان الصحيح من صدغي عمدت اختصاصية ثانية خلف نافذة زجاجية كثيفة الى ادارة مفاتيح على لوحة ضبط كأنها تسيّر عربة فضائية.

قالت لي الاختصاصية التي الى جانبي، قبل أن تخرج مسرعة: "لا تتحركي." وسمعت أزيزاً غريباً وشعرت بوخز خفيف في فمي وبنكهة معدنية تملأه. كنت غارقة في التفكير في ما حل بي، واذا بالباب يفتح على مصراعيه وتدخل الاختصاصية بلهفة تهنئني على حسن ما فعلت. فتساءلت متعجبة: وما الذي عملته؟ فان كان هذا كل ما في الامر، فعلام يستبد بي القلق؟

وتوالت الايام وفي كل منها تكرار لسابقاتها، الى أن أفقت ذات صباح لاجد حزمة من شعري سقطت على الوسادة. راعني المشهد وان كنت حذّرت منه، فسماع الكلام عن احتمال حدوث أمر ما هو غير رؤيته يتحقق فعلاً. لقد دخلت مرحلة الانهيار، وها أنا أتساقط قطعة قطعة وأرى شعري الملقى على الوسادة جزءاً من تلك القطع.

لم يزد قلقي على ما كان في الاسبوع المنصرم. ولكن مهما يكن فها هي الحقيقة المرة ماثلة أمام عيني تنبئ بالحرب الخفية الدائرة داخلي، وتلك هي الضحايا، خصل طويلة من شعري سقطت في المعركة وزالت من كياني.

قصصت شعري الى الكتفين موهمة نفسي بأن ما سيسقط منه سيكون أقل فيخف قلقي. لكنه استمر في السقوط، فحلقت رأسي وتخلصت نهائيا منه ومن قلقي عليه.

قال بيل وهو ينظر الي مندهشاً: "اني أرى رأسك بلا شعر يتلاءم ومظهرك، أنت تبدين كاحدى رائدات الفضاء في أفلام الرحلات الى النجوم. لن يطول بك الامر قبل أن تعتادي مظهرك." وهذا ما كان.

في منتصف أكتوبر (تشرين الاول) كان مضى شهران على خضوعي للمعالجة. ولحسن حظنا كنت أقبض تأميناً بموجب عقد وظيفتي المدرسية، وتعويضات مرَضية واعانات مالية، ولولا ذلك لأعلنّا افلاسنا منذ بداية المأساة. وكان برنامج معالجتي الكيميائية يقضي بزيارة العيادة أسبوعياً على مدى سنتين. ومع ذلك شعرت برغبة ملحة في معاودة عملي، فاعتمرت شعراً مستعاراً كنت أكرهه وأعجز عن تثبيته على رأسي كما يجب، وعدت الى مزاولة مهنتي في التدريس.

أقبل نوفمبر (تشرين الثاني) وزال

تأثير الصدمة الاولى فبدأنا نشعر أن أمورنا آخذة في الاستقرار وأننا نعود تدريجاً الى حياتنا العادية.

أثناء احدى زياراتي المنتظمة للعيادة طرحِ الدكتور تايك موضوعاً جديداً: زرع النِقي (مخ العظم). ويقضي ذلك بإجراء فحوص دم لجميع أفراد عائلتي علّ نقي أحدهم يطابق نقيي أنا. وبما أن كياني نسخة مركّبة من كيان أبي وأمي فالاحتمال ضئيل أن يتطابق نقي أي منهما مع نقيي. ولكن قد يتطابق نقي أحد أشقائي: ريتشارد ومارك وجايمس.

قال الدكتور تايك: "متى حصلنا على النقي الملائم نبحث في طريقة زرعه." فقلت له اننا نعلم أن الاطباء يلجأون الى الزرع في محاولة أخيرة للشفاء، ترى هل أصبت بالانتكاس؟

فطمأنني الدكتور تايك وقال ان هناك نظريتين في ما خص الزرع، وان في وسعنا البحث مطولا اذا تحقق امكان معالجتي بهذه الطريقة.

الخيار الحاسم

أظهرت نتائج التحاليل أن نقي مارك وجايمس لا يطابق نقيي. ثم وصلت نتائج ريتشارد من اوستراليا فكانت متطابقة. فعقد الدكتور تايك اجتماعاً في أوائل ديسمبر (كانون الاول) مع الدكتور جوزف أنتين عضو فريق الزرع في مستشفى بريغام لشرح الايجابيات والسلبيات.

وتسهيلاً لفهم الطريقة شبّه الطبيبان النقي بتربة حديقة تنتج الخُضَر واللوكيميا بوبأ أعشاب برية تخنق الخضر. واذا قدّر للجسم أن يبقى حياً فيجب اتلاف الاعشاب البرية. لكن هذه الاعشاب قوية الجذور الى حد يفوق التصور. فقد ترشها بالمبيدات - المعالجة الكيميائية - وتزيلها، لكنها قد تعود فتنبت أقوى مما كانت. والمعالجة بالزرع هي جزء من مرحلتين لمواجهة هذه المشكلة.

في المرحلة الاولى يتم اتلاف الخضر والاعشاب البرية بالاشعة والمعالجة الكيميائية، وتصان التربة. وعلى أمل عدم بقاء بذرة واحدة من الاعشاب البرية حية، يجلب الطبيب (الحدائقي) بذوراً جديدة من حديقة خالية من الاعشاب البرية، فتضرب هذه البذور جذورها في التربة وتنبت خضراً جديدة. وهكذا يعود كل شيء الى الوضع الصحيح. لكن هذا الامر لا يبلغ درجة الكمال، لان هناك خطوات كثيرة قد تطرأ خلالها تفاعلات قاتلة.

قد يعجز المريض عن تحمل الاشعة والمعالجة الكيميائية القوية. وهناك أيضاً النقي الجديد المزروع الذي قد لا يتجذر وينمو في العظم. وحتى اذا نما فربما نبذ النقي المزروع الجسم المضيف، وهو لا يملك اي دفاعات لأن جهاز مناعته الذي يعتمد على خلايا الدم البيضاء قد أتلف، أما النقي الجديد فيحتفظ بجهاز مناعته كاملا وقد يرى في الجسم المضيف عدواً غريباً فيهاجمه في حين جيء به لينقذه.

واذا أمكن ضبط عامل النبذ هذا فتلزم المريض بضعة أشهر لكي يتمكن من انشاء شبكة دفاع تامة، وأي اصابة أو عدوى خفيفة قد تتحول خلال هذه المدة مرضاً قاتلاً.

بعد استيعاب هذا الشرح المفصل، لماذا أفكر في معالجة كهذه؟ كان الجواب عن تساؤلي واضحاً، لكن كلا الطبيبين أورداه بطرق لبقة. وأخيراً قال الدكتور أنتين: "لو كانت المصابة زوجتي أو ابنتي، أو كنت أنا المصاب، لاخترت اجراء الزرع."

عندئذ سأل بيل: "وماذا عن النفقات؟"

فكان الجواب أن التأمين الطبي يتكفل بذلك عادة.

وفي عطلة الميلاد اجتمعنا في منزل مارك ونانسي. وذات ليلة بعد انصراف والديّ كنا نتسلى بلعبة الـ"مونوبولي"، فاستدار مارك نحوي فجأة وحضني على اجراء عملية الزرع. وعضده جايمس في ذلك. الا أن بيل أبدى معارضته. فالمعالجة الكيميائية أزالت دلائل المرض، فلماذا المغامرة بعملية الزرع التي قد تقضي علي. وهو كان التقى امرأة خضعت للمعالجة الكيميائية كانت لا تزال في حال جيدة.

فنبهته نانسي، وهي طبيبة أيضاً: "لكن الذين بقوا قيد الحياة هم الذين تقدر أن تكلمهم. انني أشاهد الآخرين وكم يتحملون من عذاب شديد، وأرى بعينيّ انحلالهم البطيء. على الاقل، اذا أخفقت عملية الزرع فستكون النهاية سريعة." وخيم الصمت على الجميع وأكملنا لعبتنا.

كان الجدل يدور بينهم في شأن حياتي أنا، وكان علي أنا أن أختار. وبعد بضعة أيام من الحيرة والتردد اتخذت قراري: الزرع.

لكي أتمكن من اجراء عملية الزرع كان علي انهاء الفصل الدراسي الاول في آخر يناير (كانون الثاني) وانتظار خلو سرير في جناح الزرع. وفي هذه الفترة كان علينا أن نجد شقة سكنية جديدة أقيم فيها لدى مغادرتي المستشفى بعد عملية الزرع، لان شقتنا كانت في بناية قديمة ملأى بالغبار والشقوق. ذلك بأنه لن يكون لدي جهاز مناعة بعد العملية، فيتعين أن تكون البيئة التي أقطنها نظيفة من الجراثيم.

حفل شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ بالنشاط، وفي نهايته بتنا نقيم في شقة جديدة أكثر نظافة. وأبلغ الي أنني سأدخل المستشفى في منتصف فبراير (شباط). ووعد ريتشارد بالوصول في الطائرة التالية الآتية من أوستراليا. وغلبت المخاوف شعوري بالاثارة، وتركزت آمالنا وحياتنا على نقطة واحدة هي الزرع. وكنت تخليت عن المعالجة الكيميائية وغاب عني الدوار الذي كان يلازم تناولي الادوية. وشعرت بالقوة جسدياً وعدت سليمة عاطفياً وعادت الي قدرتي الكاملة على ضبط نفسي.

قدم ريتشارد من صيف أوستراليا الى شتاء بوسطن الجليدي. وتوجه رأساً الى العيادة لاجراء فحص كامل. ثم عاد الى منزلنا وهو مضطرب وقال: "صحيح أني لم أتوقع أن يستقبلوني بعزف الموسيقى، ولكن لدي انطباع أنهم لا يريدونني هناك."

كان هناك خطأ ما. وجاء الجواب في كتاب مرسل بالبريد من شركة التأمين الطبي جاء فيه أن التأمين لا يشمل زرع

النقي في مرحلة الخمود الاولى لمرض لوكيميا الكريات اللنفاوية الحادة. اذاً، ذلك كان سبب امتناع المستشفى عن فحص ريتشارد. ووقع النبأ علينا وقوع الصاعقة وشعرنا كأن العالم حولنا يتداعى وينهار.

اعترضنا على هذا التدبير متذرعين بقول الدكتور تايك لنا في ديسمبر (كانون الاول) ان شركة التأمين ستدفع النفقات. وأوكل الامر الى الدكتور جويل رابيبورت رئيس جناح زرع النقي، فاذا سوّيت المشكلة سرنا على الخطة المرسومة، والى حينه سنعود الى المعالجة بالمواد الكيميائية.

غلب علينا اليأس والغضب والتعاسة، فكم قاسينا من شك وحيرة ومرارة الى أن توصلنا الى القرار الخطير بقبول اجراء عملية الزرع. وها قد ضاعت معاناتنا وشجاعتنا، وتوقفت عن عملي قسراً وتكبد ريتشارد مشقة السفر من أوستراليا، كل ذلك لكي نصل الى حيث يقال لنا: "قضيتكم هي الآن قيد الدرس."

أعراض جانبية

أقام ريتشارد مع والديّ في منزل قديم استأجراه في لانكاستر بولاية بنسلفانيا. وكنا على اتصال مستمر بالدكتور رابيبورت لمعرفة ما يجري.

شرح لنا الدكتور رابيبورت أن سياسة شركة التأمين الطبي لا تسمح بدفع نفقات الجراحات الاختبارية التي يندرج فيها زرع النقي في مرحلة الخمود الاولى لمرض لوكيميا الكريات اللنفاوية الحادة، لذلك أرسل تقريراً يشرح فيه أن وضعي الخاص يجعل عملية الزرع معالجة أصولية صحيحة لا عملية اختبارية.

ولكن كم من الوقت يستغرق التوصل الى معرفة النتيجة؟

قد يستغرق ذلك شهراً وربما شهرين أو أكثر. لكننا قدّرنا مدى صعوبة اقرار سياسة جديدة خاصة تؤدي الى دفع تعويضات كبيرة. فعمليتي وحدها تكلف نحو ٢٠٠ ألف دولار.

ذاع نبأ المأزق الذي علقنا فيه فهب الانسباء والاصدقاء لمساعدتنا. وذات يوم تلقى والداي كتاباً من صديق يتضمن حوالة بقيمة ألف دولار وجاء فيه: "أنفقوا هذا المبلغ على الاتصالات الهاتفية أو بطاقات السفر بالطائرة أو الكافيار أو أي شيء آخر." وأرسل آخرون بطاقات مؤاساة وتمنيات حارة لقرب شفائي.

في هذه الاثناء لم تكن المعالجة الكيميائية كما يرام. وعلى رغم تخفيف جرعات الادوية ازداد وهن الاحساس بأصابع يديّ ورجلي، ثم فقدت صوتي. وهذه الاعراض الجانبية قد تتحول عللاً دائمة، لذلك يجب وقفي عن تناول الفينكريستين.

وفي وقت لاحق بدأت أعاني مشاكل من جراء تخثر الدم في القسطر (أو الميل) (٥) المولج في العرق. ويستعمل القسطر للمرضى الذين يغرز فيهم عدد كبير من الإبر (في حالات أخذ عينات الدم بانتظام والحقن في العروق ونقل الدم). وبما أن العثور على العروق الصالحة يصبح

(٥) القسطر (catheter) أنبوب معدني أو مطاطي يدخل في العرق أو مجرى البول.

صعباً مما يزيد في مشاكل المعالجة، يصار الى استخدام القسطر النقال وقسطر "هيكمان"(٦) المصممين لتلافي هذه الصعوبات. ففي كل منهما أنبوب يولج جراحياً في أحد الاوردة الكبيرة ويترك أحد طرفيه مفتوحاً لكي يسهل ادخال السوائل وعقاقير المعالجة الكيميائية وسحب الدم. وكان هناك قسطر نقال مغروزاً في جهة صدري اليمنى تحت عظم الترقوة. والفكرة في غاية البساطة، فهي تتيح اختراقاً واحداً وصحيحاً بدل الغرز في كل مكان للتفتيش عن عروق صالحة طال عذابها.

لكن هذه الطريقة لا تعمل في أحيان كثيرة. فقد كانت خثرات الدم تسد القسطر النقال فتحول دون سحب عينات من دمي ومعالجتي بالمواد الكيميائية. واستغرق اصلاح هذا الخلل بقائي بضعة أيام في المستشفى.

من ثم أبدل القسطر النقال بقسطر "هيكمان" مجهز بثلاث قنوات لاستيعاب المواد الكيميائية والحقن الوريدية ونقل الدم. ورجعت الامور الى طبيعتها. وكان أبي على اتصال دائم بالاطباء، وعيّن محامياً لحض شركة التأمين على معالجة قضيتي.

في بداية أبريل (نيسان) بعد ستة أسابيع من الموعد الذي كان حدد لعملية الزرع، طرأت مضاعفات جديدة بسبب خثرات الدم، فكان لا بد لي من دخول المستشفى. وعلمنا في تلك الاثناء أن التأمين وافق أخيراً على دفع نفقات الزرع.

تعيّن اجراء فحص لصدري بالأشعة السينية (إكس) لكي يتأكد الاطباء من عدم وجود أي عدوى قبل الاستعداد للعملية. كانت العملية ستودي بجهاز مناعتي مما يعرضني للاصابة بأي مرض. وأظهر فحص الاشعة عُجرة على رئتي اليسرى. في الاحوال الطبيعية تغرز ابرة ويستخرج بواسطتها جزء صغير من العجرة لفحصه، انما للتأكد من عدم وجود أي عدوى لدي كان على الاطباء أن يشقّوا صدري ويستخرجوا جزءاً كبيراً لدراسته.

الرحلة الرهيبة

وصلت والدتي بالطائرة الى بوسطن في اليوم الذي سبق الجراحة. وقد أظهر فحص العجرة أنها خالية من العدوى.

وكان بيل قبل محنتنا يعزف على الغيتار مع بعض الاصدقاء في بروفيدانس بولاية رود أيلاند. ولما علموا بمصابنا نظموا حفلة موسيقية لمساعدتنا. وأعلن عن الحفلة بدعاية واسعة فحضرها أناس كثيرون وكان ريعها مساعدة كبيرة لنا بمقدار ما كان العطف الذي أثارته مواساة وعزاء في محنتنا.

في منتصف ابريل (نيسان) أعلن الاطباء أنني أصبحت مؤهلة للعملية التي تهدف الى اتلاف نقي عظامي. تبدأ العملية بمعالجة كيميائية قوية على مدى سبعة أيام، تتبعها ثلاثة أيام من المعالجة بالاشعة صباحاً ومساء للجسم كله. وسأعطى مرة كل يوم جرعات كيميائية قوية. وفي ١٥ ابريل (نيسان) ١٩٨٦ باشر الاطباء العملية.

(٦) Port-A-Cath and Hickman catheter

وضعت في غرفة معقمة لها ثلاثة جدران عادية وستارة بلاستيكية ثقيلة مكان الجدار الرابع. وفي وسط الستارة ثقبان يمتد منهما قفازان بلاستيكيان طويلان يستطيع الطبيب عبرهما أن يقوم بأعمال كثيرة من دون أن يدخل الغرفة. وفي الجدار فوق رأسي مراوح تغذي الغرفة بالهواء النقي.

يجب أن يكون كل ما في الغرفة معقماً. وتمسح الغرفة بمواد مطهرة قوية، وتؤدي هذا العمل ممرّضة ترتدي برنساً وقفازاً وخفاً وكمامة جميعها معقمة. حتى الطعام يجب أن يكون معقماً.

كان علي أيضاً أن أعقم جسمي أربع مرات يومياً، مما يستدعي تنظيف كل فتحة بمطهّر قوي، وتنظيف داخلي بتجرع شراب كريه يطهر القناة الهضمية. وتستغرق العملية كلها خمساً وأربعين دقيقة.

كانت المعالجة الكيميائية قاسية جداً، لكنني كنت مسرورة لبدء العملية التي ستقرر مصيري. يوم الثلثاء في الثاني والعشرين من شهر ابريل (نيسان) لفّتني الممرضات بملاءة وقدنني في عربة للفحص بالاشعة. وطلبت أمي أن تبقى الى جانبي وأبدت استعدادها لارتداء أي شيء يطلب منها.

في غرفة الاشعة مُددت على طاولة معدنية باردة وعمدت اختصاصية الى تقويم وضع جسمي، ثم خرجت عبر باب معدني ثقيل أقفل وراءها بصوت مدو. ثم سمع أزيز عندما أديرت المفاتيح وأخذ الهدم الصامت يعمل في عمق كياني.

قلت لاحقاً لأمي: "ان هذا يجعل من أحلامي بالانجاب هباء منثوراً."

فردت أمي: "لكنه يؤكد لنا بقاءك معنا يا حبيبتي."

قلت: "انني أخشى هذه الرحلة كثيراً، فكأني أنحدر الى سجن مسحور تحت الارض."

فردت: "سأكون دائماً الى جانبك، وسنخرج معاً من السجن."

"شكراً يا ريتشارد"

نهار الاربعاء في ٢٣ أبريل (نيسان) أدخل ريتشارد المستشفى على أن يخضع الخميس لاستئصال عينات من نقي الحوض فيما تجرى لي جلسة خامسة من المعالجة بالاشعة. والخطة هي كما يأتي: يخدَّر ريتشارد، ويأمل الاطباء سحب ألف سنتيمتر مكعب من النقي من خلال ثلاثمئة ثقب في عظمه مما يستغرق بين ساعتين وأربع ساعات. وفي لغة الاطباء تدعى هذه العملية "حصاد" النقي. لكن "ثقب الآبار" قد يكون أكثر تعبيراً.

ويقلَّص النقي المستأصل من ألف سنتيمتر مكعب الى خمسين، ويعالَج لتخفيف حدة نبذه للجسم المضيف. ويزرع النقي في الثامنة مساء الخميس بعد أن يستعيد ريتشارد وعيه وتنتهي الجلسة الاخيرة من معالجتي بالاشعة.

كان والداي وبيل بجانبي قبل الموعد المقرر. وفي الثامنة الا ربعاً سمعت ريتشارد قادماً يجر قدميه ببطء وألم كي ينضم الينا.

هتفت أمي: "آه، يجب أن تلزم سريرك يا بني. هل سمحوا لك بالمجيء الى هنا؟"

قال ريتشارد: "قدمت من اوستراليا قاطعاً مسافة ١٦ ألف كيلومتر، ولن أحجم عن قطع ٢٥ متراً الى هنا."

ضحكنا بعصبية وفي خاطر كل منا سؤال واحد: "هل ستثمر تضحية ريتشارد فينقذني؟ لقد راهنت بحياتي على هذا الامل: لحم من لحمي وعظم من عظمي."

ثمّ جاء الدكتور رابيبورت الذي سلمته حياتي. فأدخل يديـه في القفازين الطويلين في الستارة، ووضعت ممرضة محقنة كبيرة بين يديه.

فسألته غير مصدقة: "أهذا كل شيء؟ كل شيء داخل هذه المحقنة؟"

"نعم، انه كل شيء،" أجابني الطبيب وقد بدأ حقني عبر قسطر "هيكمان." وأضاف: "انه لامر مدهش حقاً. نضع خلايا النقي في مجرى دمك فتهتدي وتجد سبيلها الى عظمك فتستقر في داخله وتبدأ توليد دم طبيعي جديد من دون أن يرشدها أحد الى أين تذهب وماذا تعمل."

فما أشبه هذا بالعجيبة اذا تم فعلاً! ولكن اذا لم يتمّ... وخيّم علينا الصمت فيما نقي الحياة يدخل جسدي. ثم سمعتني أقول بصوت واهن: "شكراً لك يا ريتشارد."

فهمهم أخي. وبعد ثوان قلت: "انني أسحب كل كلمة سيئة قلتها في حقك."

فانفجر ريتشارد والآخرون ضاحكين. كنت بلغت في معاناتي نهاية المطاف، وبدا لي في تلك اللحظة أنني أنهض من عمق الهاوية لأعود فأتبوأ مكاني وأشارك في الفرح والخيبة والبهجة والحب التي يقوم عليها كيان العائلة.

لدى انتهاء العملية تنفسنا الصعداء. طلب أبي من الطبيب أن يريه المحقنة، فناوله اياها وانصرف. وبقيت المحقنة في يد أبي وهو يتحسسها ويتفحصها فيما الجميع منهمكون بالحديث. ثم مرّرها الى بيل وقال: "هذه هي التحفة التي ستتصدر رف الموقد في بيت بيل وميرندا، عسى أن تنظرا اليها لسنين كثيرة آتية بملء الشكر والعرفان."

لم يبق سوى الانتظار. ولكن كم سيطول الانتظار ومن أجل ماذا؟ من أجل تولّد خلايا دم حمراء جديدة هي الدليل على أن "المصنع" باشر الانتاج. ثم تؤخذ عينة من الدم بعد النهوض صباحاً وقبل النوم مساء لتبيّن الارتفاع الثابت في عـدد الخلايا البيضـاء ولاحقـاً في الكروموزومات الذكرية(٧).

وهتفت: "كروموزومات ذكرية! ماذا تعني بذلك؟"

فشرح لي الطبيب: "لن يسرنا كثيراً ان نجد كروموزومات أنثوية في خلايا دمك، لان ذلك يدل على أن هناك بعضاً من نِقْيك القديم لا يزال ينتج. وهدفنا استئصال النقي القديم بكامله وابداله بنقي شقيقك. ولكونه ذكراً، فان النقي المستخرج منه سينتج خلايا دم تحوي كروموزومات ذكرية."

سألت: "وهل يعني هذا أنه سينبت لي شاربان؟"

فأجاب ضاحكاً: "لا، لن يحدث ذلك. لو لم أخبرك بالامر لما عرفت شيئاً عنه."

فقلت وأنا ما زلت غير مقتنعة: "حسناً، ولكن إياك أن تطلع زوجي على ذلك."

(٧) Male chromosomes

مكث أبي وأمي الى يوم الاحد ثم غادرا عائدين الى عملهما في التدريس. وتقدم من ريتشارد طبيب يبدو أنه لم يتبرع بنقي عظمه إذ قال له: "انك قد تشعر ببعض الانزعاج لفترة لن تتجاوز الاسبوع، وتعود بعدها الى عملك." ولكن مرت ستة أسابيع قبل أن يستعيد ريتشارد نشاطه ويعود الى أوستراليا.

كنت آنذاك في ذروة الخطر من العدوى اذ لم يكن لدي جهاز دفاع. ولئن يكن النقي الجديد المزروع وجد مقصده وبات في طور النمو فانه لم يكن قادراً بعد على صيانة دمي، وعلي الاعتماد على نقل الدم بمعدل مرة في اليوم للخلايا الحمراء وأخرى للويحات أي الخلايا التي تمكن الدم من التخثر. ويوماً بعد يوم كانت تطل أزمة تختلف عما سبقها، لكن عدد خلايا الدم بدأ الارتفاع.

اهتمام عزيز

كانت في جناح الزرع في المستشفى خمس غرف معقمة أخرى، وكانت غرفتي الاقرب الى مركز الممرضات. ولم أرغب في معرفة ما يجري في عمق الجناح أو سماع التشاور الخافت بين الاطباء والممرضات وصرير عجلات أجهزة الاشعة وخزانات الاوكسيجين والاعلان في مكبر الصوت عن حالة طارئة يتبعها وقع أقدام في الرواق.

كانت في غرفتي أصوات ناعمة وهمس الهواء المنقى وهو ينفخ فوق رأسي ثم يخرج من الباب عند قدمي. وبين وقت وآخر يعلو صوت جهاز الهواء وينخفض فكأنه يطلق تنهّدة ارتياح تنفيساً.

في الاسبوعين الاولين لوجودي في المستشفى كان السعال والتقيؤ لنزيل الغرفة المجاورة يخيفني. وأخبرتني احدى الممرضات: "اسمه خوان، وهو في حال سيئة."

بدا كل من تشنجاته كأنه الاخير. ووجدتني أشاركه في نوباته القوية وكأن جسمي أنا يتمزق. فأتنفس بارتياح وترتخي قبضتاي عندما تنتهي نوبته، ثم يعاودني التوتر تحسباً للنوبة التالية. وعجبت حين استيقظت ذات صباح فوجدت أنني نمت الليل بطوله. فأصغيت، لكني لم أسمع سعال خوان وتشنجاته.

وأخبرتني الممرضة التي جاءت لاخذ عينة من دمي: "خوان مات ليلة أمس." سألتها: "متى أجريت له عملية الزرع؟"

أجابت من دون مبالاة وهي تتفحص المحقنة في يدها: "أوه، قبل مدة، قبل ثلاثة أسابيع تقريباً." ثم خرجت وتركتني لوحدي تتقاذفني الافكار والهواجس.

كانت حاجتي شديدة الى العزلة والانفراد بنفسي، وأحسست في الوقت ذاته بحاجة الى الاتصال بالعالم. وجاءني أصدقاء كثيرون، فصُدموا وعز عليهم أن يشاهدوا صديقة تشوَّه وجهها وانتفخ بفعل الادوية وتعرى رأسها من الشعر وبرزت أنابيب من صدرها، وكل ذلك من خلف ستارة ومن دون أن يسمح لهم بالاقتراب منها لمواساتها بكلمة عطف أو لمسة حنان.

طلب جايمس اذناً بالتغيب عن عمله في واشنطن ليبقى بقربي. وكان يأتي كل يوم فيلبس بذلة معقمة لكي يتمكن من

دخول غرفتي. فأقمنا طاولة بيننا وكنا نلعب بالنرد (الطاولة) ونشاهد مباريات البايسبول وكرة السلة على التلفزيون ونستمع الى اشرطة مسجلة.

لم أعد أتقيأ كثيراً، انما كان الاكل لدي واجباً رتيباً بغيضاً، وكان مناسبة يظهر لي فيها جايمس مبلغ اهتمامه من خلال حضه اياي على الاكل، تارة باضحاكي وطوراً بالخداع والمراوغة، كي لا أقف عند تناول ثلاث لقمات أو أربع بل أزدرد العشر اللقمات المقررة لي أو أتجاوزها. وكنت أشعر بالامتنان العميق لما يبديه من اهتمام بغذائي وبادخال البهجة الى نفسي، وأرى في عمله تكريماً لي وتكريساً للمحبة التي طبعت علاقة افراد عائلتنا بعضهم ببعض.

الحقيقة الثابتة

كانت مأساتي مستمرة لم تكتمل فصولها. ففي نهاية الاسبوع بدأ أنفي ينزف بغزارة وشعرت بالانحلال وكأن داخلي يتقوّض. وتراءى لي أن ما هي الا دقائق وأصبح مجرد بركة من الدم على الارض والى جانبها جلدي كأنه بالون فرغ منه الهواء. ضغطت ضمادة من الشاش المعقم على أنفي لكن الدم استمر في التدفق.

ثم أقبل الطبيب وقال لي: "استمري في ضغط الضمادة يا ميرندا." ونادى ممرضة: "أسرعي اجلبي محلول الكوكايين."

شعرت بالدوار في رأسي يزداد باطراد وكأني أسبح وقد غلب علي التعب وأخذت أغرق على مهل. لكنني لم أكن لأبالي. كنت أسمع كلمات غامضة تتردد: "نقل الدم... اللويحات..." ثم شعرت بيدين مقفّزتين تدفعان برأسي الى الوراء وتحشوان أنفي بضمادة مشبعة بمحلول الكوكايين دخلت اثرها غيبوبة فارقني فيها الخوف وحملتني الى عالم الاحلام.

كان لدي في غرفتي جهاز فيديو، وفي كل ليلة كان بيل يأتي ومعه فيلم جديد. وسمح لي أيضاً بقراءة كتب معقمة. لكنني كنت أفضل زيارات الاصدقاء على كل الكتب والافلام. ولدى انتهاء موعد الزيارات كان أقرباء المرضى الآخرين وأصدقاؤهم يتوقفون للتحدث الي قليلا.

تلك كانت لحظات سعيدة حقاً أحرص عليها ما حييت. ولكن مهما بلغ بهاء تلك اللحظات فهي لم تبدد الظلام الذي حاقني اذ كنت لا أزال معزولة عن العالم وعن الحياة العادية الهانئة وراء ستارة بلاستيكية. وكم تساءلت: هل سيسعدني الحظ فأخرج من وراء تلك الستارة؟ واذا خرجت فكيف سيكون شعوري وقد أصبحت حرة طليقة معافاة في هذا العالم الواسع بعدما كنت سجينة المرض والقلق والخوف؟

وتساءلت أيضاً: اذا كانت هذه حالي فكيف عساها أن تكون حال ماريا جارتي في المستشفى.

جاءت ماريا من احدى جزر البحر الكاريبي وهي لا تتكلم الا الاسبانية. وكان الاطباء والممرضات يستعينون بمترجم كلما أرادوا ابلاغها - أو ابلاغ عائلتها - أمراً ما.

لم تكتب لماريا الحياة فماتت. وفي ليلة وفاتها، وللمرة الاولى منذ دخولي

المستشفى، هطل المطر بغزارة. كان ذلك في العيد الثلاثين لمولد بيل، فجلسنا معاً في ظلام الغرفة نبكي، وقد أثار فينا موت ماريا المخاوف الدفينة وأدركنا كيف ينتهي كل شيء الى الزوال. انه لامر مخيف جائر، فالموت حقيقة ثابتة قد تدركك في أي لحظة ولا يد لك فيها.

اليوم الكبير

في أواخر يونيو (حزيران) أبلغ الي الاطباء النبأ السار، انهم "سيعيدون تلويثي." فعدد خلايا دمي آخذ في الارتفاع ببطء وشهيتي تعود اليّ.

لو كنت شاعرة لنظمت قصيدة عصماء ولو كنت موسيقية لوضعت لحناً جميلا يشيد بالتلوّث. لقد سئمت الطهارة اذ كان لدي منها ما يكفيني مدى الحياة. تلك الطهارة حتمت عزلي كلياً عن الناس. وقد مضت ثلاثة أشهر لم يلمسني فيها أحد، حتى بيل. ولن أنسى ما حييت مبلغ السعادة والبركة الكامنتين في لمسة انسان آخر.

لكن اللمس كان لا يزال محرماً علي. فسيُعمد أولا الى اعادة تلويث معدتي بتغذيتي باللبن الرائب الذي يحتوي على جراثيم من النوع المفيد الذي لا ضرر منه. واذا كانت النتيجة حسنة فسأرقى الى تناول "الطعام الملوث" غير المعقم. وقد تمر سنة قبل أن يرفع الحظر عن تناولي جميع الاطعمة. لكن اللبن كان الخطوة الاولى الواضحة والثابتة في طريقي الى استعادة الحياة العادية التي تركتها منذ أمد بعيد.

أعطى اللبن نتيجة باهرة، ومن ثم أجيز لبيل أن يدخل غرفتي من دون قفازين وأن يلمسني ويعانقني. كانت تلك أمنية عذبة اختلجت في صدري وراودت أحلامي طويلا. وكان عناقنا الاول قوة سحرية أعتقتني من ليل الموت وشدتني الى حضن الحياة. فبوركت أيها التلوّث وبوركت النعمة التي حملتها الي!

أذن لي بعد ذلك بالنهوض والخروج من غرفتي على أن أضع كمامة وقفازين. وقفت بباب الغرفة فتملكتني قشعريرة من الخوف وترددت في الخروج ووددت أن أرجع الى خلف الستارة. لكن النزعة الى الحرية غلبت علي فخرجت وطفقت وبيل نروح ونجيء في الجناح ونصعد السلم ونهبطها لكي تستعيد رجلاي نشاطهما.

وبعد انتهاء موعد الزيارات كنت أطوف على غرف النزلاء الذين كنت أتصل بهم عبر الهاتف ولا أعرفهم شخصياً، فاعرّفهم بنفسي ونتحادث. وكنت أشعر بغصة لقرب مفارقتهم اذ صهرتنا المصيبة ووحدت آلامنا وآمالنا وأصبحنا كأننا عائلة واحدة.

كان ٧ يوليو (تموز) يومي الاكبر. فارتديت ملابسي وحذاء رياضياً. وكان هذا حدثاً رائعاً بالنسبة الي، وطفت مترنحة على النزلاء أودعهم والأسى يعصر قلبي للمحنة التي ما زالوا يعانونها.

ثم جاء بيل وخرجنا في السيارة الى العالم الرحب، عالم الحرية والامل والكفاح. كنت كمن يخرج من الظلمة الدامسة الى النور الساطع، فبهرتني مشاهد جموع البشر المتدافعة والملابس الزاهية والسيارات والشوارع والارصفة والاشجار والطيور. دُهشت واصبت بالدوار

ميرندا رصل في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨.

لروعة هذا العالم الواسع وتعدد صوره المتلاحقة التي بدت كأنه لم يسبق لي أن رأيتها.

توجهنا الى الشاطىء حيث كان ملتقانا الاول، وتمشينا هناك وتمددنا على الرمل وتنشقت الهواء الطبيعي النقي الذي لم يمر عبر مصفاة. وكانت الشمس ترسل أشعتها الدافئة والريح تحمل رائحة البحر القوية. كان كل شيء حولي حقيقياً، وكنت أنا هناك في قلب الحقيقة.

وعندما عدنا الى البيت مساء دخلت الحمام وصرفت وقتاً طويلا أتلهى بفتح الصنابير واقفالها وتعويم المرحاض بالماء. وكان مضى علي وقت حسبته دهراً لم أغتسل.

كنت لا أزال معرضة للعدوى وكانت لا تزال هناك قيود كثيرة مفروضة علي: فلا أكل فاكهة أو خضر طازجة، بل يجب أن تطهى لمدة طويلة قبل تناولها. ولا أكل محار ولا مصنوعات المخابز التي ربما سعل عليها أحد أو لمسها، ولا أطعمة معلّبة أو جاهزة. وسمح لي بالسير في الشوارع وانا مرتدية كمامة وقفازين، كما سمح لافراد عائلتي بأن يزوروني اذا لم يكونوا مصابين بالزكام أو بألم في الحنجرة. وأذن لبيل بامساك يدي، لكن القبل بقيت ممنوعة.

ومع ذلك لم تكن مشاكلي انتهت، اذ كنت أتعذب من داء العقبولة المنطقية (٨). ولكن طرأ علي تحسن عام، فأزيلت قيود الاطعمة الواحد بعد الآخر. وفي عيد الشكر في الخميس الاخير من نوفمبر (تشرين الثاني) ذهبنا في السيارة الى واشنطن لزيارة والدي بيل، ثم توقفنا في لانكاستر لزيارة والديّ. وأخذ شعري ينمو وازدادت قوتي. وأقام لي بيل محترفاً في المستودع حيث كان مشغله للنجارة. أعددت معظم هدايا الميلاد في المحترف وعدت الى مزاولة الرسم.

جذور الحياة

في ربيع ١٩٨٧ توجهنا شمالا الى كوخنا الصيفي في الجزيرة بكندا، وانضم الينا أبي وأمي واحتفلنا بانقضاء السنة الاولى على اجراء عملية الزرع. كانت أزهار الربيع في كل مكان تملأ الارض بهجة، فجمعت منها باقات كبيرة. وكنا نجلس في المساء أمام الموقد نصطلي

(٨) herpes zoster وهو ما يعرف بالـ"زونا".

ونصغي الى أصوات الاوزّ المهاجر ونسمع حفيف أجنحته وهو يحط على سطح الماء.

وعندما رجعنا الى بيتنا بعد أسبوع عدنا الى الاعتناء بالحديقة وزرعها، وكنا نجلس في الغسق وسط جمال الازهار والشتول النامية الزاخرة بالحياة. وكان الهواء الدافىء يحمل الينا شذا الربيع العاطر، والسكون شاملا لا يقطعه سوى مواء هرة أو صراخ طفل في المنزل المجاور. وكم نعمنا بتلك الامسيات الهادئة التي عشنا فيها لحظات من عمرنا كما يحلو لكل انسان أن يعيش حياته: عذوبة وسكينة وطمأنينة.

وبعودة الربيع بعد هجوع الشتاء دبت الحياة في كل الكائنات وارتدت الطبيعة أبهى حللها. كذلك عاد الي ربيع الحياة بعد شتاء مأساتي الطويل. وقد اكتشفت من خلال محنتي أمرين: أولهما مبلغ محبتي للناس ومحبتهم لي، وهي محبة ما زالت تبعث الدفء في قلبي. فليس هناك من يعول عليه في الشدة والأسى سوى الناس بعطفهم وغيرتهم. وثانيهما أن الحياة هي الحاضر. فالذي فات فات والغيب في يد الله وللانسان الساعة التي هو فيها. وخيل الي أن معاناتي لم تكن سوى فترة تثقيفية جعلتني أعي أهمية اللحظة الحاضرة وما تأتي به. لم يكن لدي متسع من الوقت للتفكير في ما يحمله الي الغد، لانني كنت منهمكة أتعلم كيف أعيش في الحاضر.

ربما كان أهم ما تعلمته في محنتي أن العالم جميل جداً لكنه حافل بالاخطار. وانني سعيدة لكوني أتيت اليه، وأنوي أن أستمتع ما أمكنني بفترة اقامتي على هذه الارض.

ميرندا وروبرت رصل

ترجمة الياس عقل

ميرندا رصل هي اليوم رسامة وشريكة زوجها بيل كروزييه في مؤسسة للنجارة في بوسطن. أبوها روبرت رصل، الذي عاونها في كتابة هذه القصة، هو أستاذ اللغة الانكليزية في كلية فرنكلين ومارشال في بنسلفانيا. وفي سيرته الذاتية التي نشرتها الـ"ريدرز دايجست" عام ١٩٦٣ يروي كيف يكون شعور من ينشأ أعمى.

أمّ في الحافلة

كانت الحافلة العائدة بي من بيت أمي مزدحمة بالركاب. ولكي أهدّىء الاولاد كنت دائماً أشير الى أشياء مهمة ينظرون اليها في الخارج. وهكذا، فما ان شاهدت محلا لبيع الحيوانات الاليفة حتى صرخت: "أنظروا، أرانب!"

كل الرؤوس في الحافلة استدارت مطيعة لتشاهد تلك الحيوانات الجميلة ذات الفراء الابيض في قفصها خارج المحل. بعد ذلك راح الجميع ينظرون الي كما لو كانوا ينتظرون تعليمات إضافية. ولكن لم يعد هناك ما يقال، إذ تذكرت فجأة أني تركت أطفالي عند أمي!

ك.غ.

اكتب واربح

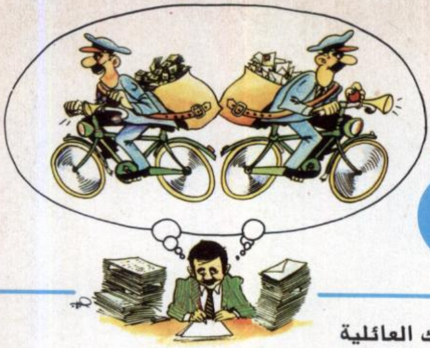

هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية
او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى
وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله
الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٤٨، المتن الشمالي، لبنان.

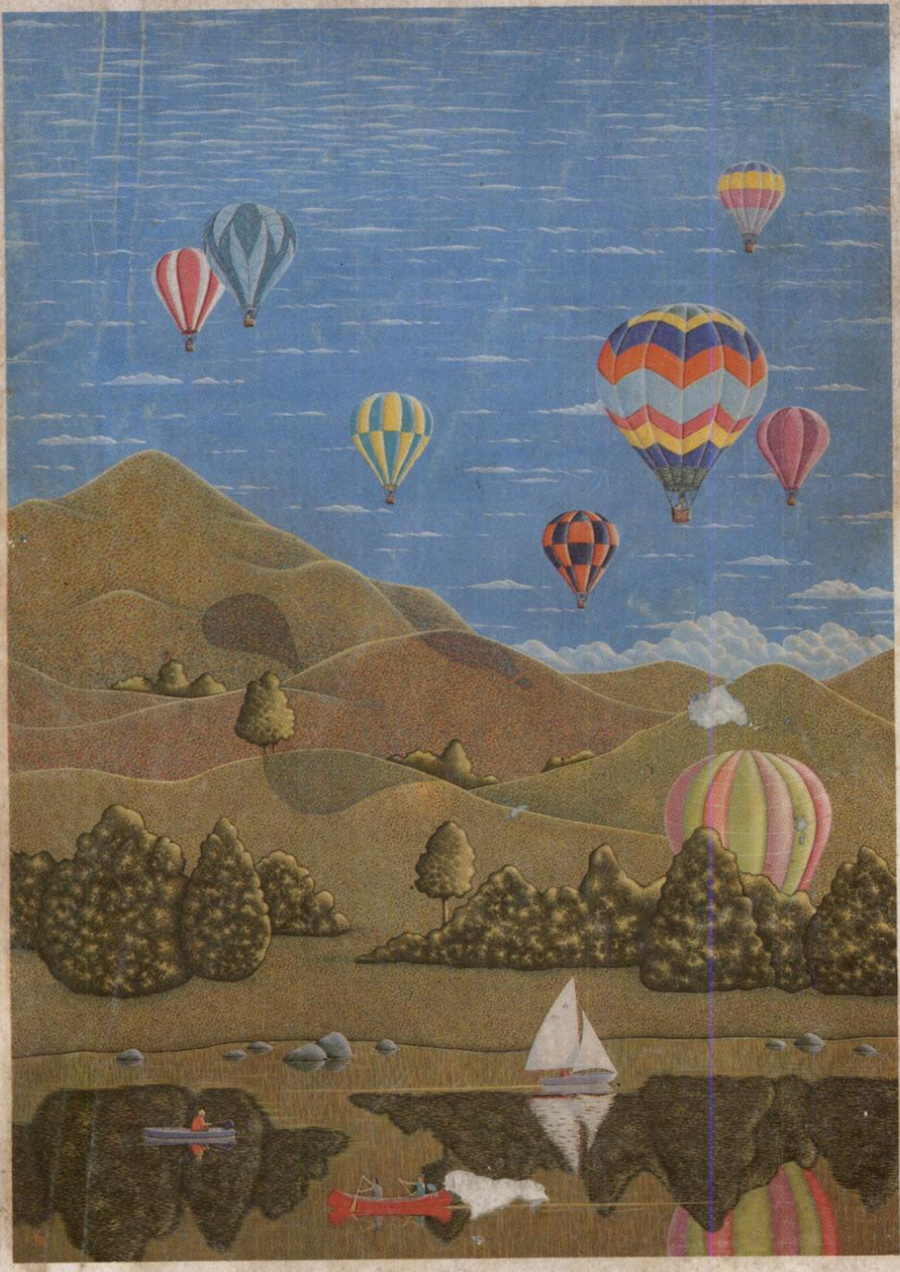

"متعة الصيف" للفنان ايفان ترمبلاي